

ظلال الخوف

shadows of fear

قصص

علاء محمود

دار اکتب



كتب PDF عربية

www.kutub-pdf-ar.com

ظلال الخوف

ظلال الخوف

علاء محمود

تصميم الغلاف: علاء محمود

تدقيق لغوي: د. إيمان الدواخلي

رقم الإيداع: 2014/ 20279

I.S.B.N: 978-977-488-318-7

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،

المرج الغربية، القاهرة.

المدير العام: يحيى هاشم

هاتف: 01144552557 – 01147633268

E – mail: daroktob1@yahoo.com

Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، 2015م

جميع الحقوق محفوظة ©

دار اكتب للنشر والتوزيع

ظلال الخوف

علاء محمود

قصص



دار الكتب للنشر والتوزيع

رَّعْشَاتٍ

أنعشتها رائحة اليود المختلط بهواء الإسكندرية، وبعثت داخلها مزيجاً من السعادة والحماسة والرغبة. السيارات ترق مسرعة، وهي تبحث بعينها عن عربة تقلها إلى مسكن الطالبات. رائحة المشويات، والمأكولات البحرية، و(الكبدة الإسكندراي) تتصاعد من داخل العديد من المطاعم المتراصة بالقرب من المحطة، وسائقي (المشروع) يصيحون باسم المناطق المتوجهين إليها، وقد ركنوا سياراتهم بجوار الأرصفة التي تزينها الأشجار، وقد بدأ الخريف في تجفيف أوراقها استعداداً لبرعها.

صليل معدني من أثر احتكاك عجلات الترام بالقضبان الحديدية، أخرج "هدى" من حيرتها. قالت لنفسها "لم لا" ثم سحبت حقيبة أمتعتها المزودة بعجلات مطاطية، متجهة إليه وقد استكان قليلاً والركاب يصعد بعضهم، ويهبط بعضهم الآخر. صعدت درجاته القصيرة، بعد أن أمسكت بالعمود الحديدي، الذي ساعدها في جذب جسدها المتلئ قليلاً إلى الداخل، وقالت لنفسها " تجربة جديد أحب أن أخوضها. لو طريقه مختلف عن طريقي، سأهبط في أقرب محطة لمسكني، وأستقل وسيلة أخرى" لكن لحسن حظها كان طريقه قريباً للغاية من طريقها.

جلست مستكينة ترمق الناس، وتستمتع بمراقبة الشوارع والمنازل، والحوال ذات اللافتات المضئية. تحاول جاهدة إزالة الرهبة وإحساس الغربة الذي ينسج داخلها، بعد أن غادرت بلدتها كي تلتحق بالجامعة، وداخلها ثمة أمل أن كل شيء سيكون على ما يرام.

لم يكن مجرد ضرب مبرح؛ بل كان أشبه بسلب الروح. لم تكن تصدق أنه سيواصل ضربها وهي على مشارف الشباب والنضج، واكتمال الأنوثة؛

لذلك بدا لها ما يحدث كابوس لن تستيقظ منه إلا بالمغادرة بعيداً. كانت فرصتها الكبرى في اختيار مكان لتكملة دراستها بعيداً عن يديه. أي أب هذا الذي لا يراع مشاعر فراشة رقيقة تحتاج إلى الانطلاق. قهفو إلى الزهور وأريجها. ما ذنبها إذا كانت مخلوقة شاردة دائماً. يذهب عقلها بها إلى عنان السماء، تخطو بقدميها كتل السحب المخملية. هي لا تدرك سبب انشغال عقلها الدائم بكل شيء، بأحداث المسلسل الذي تراه، أو برواية انتهت من تكميلتها. بالواقع المرير الذي يعيش فيه وطنها. لا تعلم حتى لماذا يخلق بها في عالم خيالي ساحر، تتخيل فيه نفسها أميرة تحيا حياة أخرى، تطوف داخل مملكتها بينابيعها الخلاب، وورودها الملونة عطرة الرائحة. أي قسوة تلك التي تجعل الآباء ينتزعون بناقن من الأحلام على شدة الألم؟

صحيح أنه هدهدها بمنع النقود عنها، لكن أي شيء بعيداً عنه هو جنة بالنسبة لها. هي ليست صغيرة، وستعمل في أوقات الفراغ والإجازات لتوفير ما تحتاجه من مصروفات. لن تعود للسترل مجدداً، على الرغم من اشتياقها من الآن لحضن والدتها الدفيء.

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تتذكرها أثناء مرافقتها لها إلى محطة القطار. كم تمنيت لو جاءت معها؛ لكنها كما قالت "لا بد أن تعتمد على نفسك من الآن، وأن تبعدني عن هنا" أمدتها كلماتها ببعض القوة؛ فقالت لنفسها "ماذا بك أيتها الحمقاء؟ لست أول فتاة تبعد عن أهلها. ماذا ستفعلن إذن عند الزواج؟"

ابتسمت على الرغم منها، وهي تراقب الشباب الذين يقطعون الطرقات كل في طريقه، ثم نفضت رأسها بقوة في محاولة لإبعاد تلك الأفكار عن عقلها، ولامت نفسها على التفكير في تلك الأشياء.

وقف الكمساري أمامها، وهو يضرب قطعة معدنية بحامل التذاكر.
أخرجت النقود من حقيبتها وهي تسأله عن مدى بُعد محطاتها؛ فطمئنها بأن
المسافة الباقية لا تزيد عن أربعة محطات.

نظرت إلى رقم البناية لتؤكد من أنها المقصودة، ثم دلفت داخلها
وبدأت تصعد الدرجات العتيقة، وقد هملت حقيبتها عالياً حتى لا ترتطم
بالسلم.

الطابق الأول.

الثاني.

الثالث.

توقفت بأنفاس مبهورة أمام الشقة التي تحمل رقم 5. بتوتر ضغطت
الجرس. لم يصل إلى مسامعها صوت رنين؛ فقدرت أن الجرس معطل.
رفعت كفها وبأعصاب مشدودة طرقت الباب. سمعت صوت حركة في
الداخل، وما هي إلا لحظات حتى أنفرج الباب كاشفاً عن وجه ممتلئ لفتاة
في مثل عمرها، وقد ظهر النمش على بشرتها خلف طبقة الكريم التي
حاولت إخفاءه خلفه، مع مسحة من الجمال. ابتسمت الفتاة وهي تسألها:

- هل أنت طالبة معنا؟

أومأت "هدى" برأسها؛ فسحبت الفتاة الباب، وهي تشير لها بالدخول
قائلة:

- تفضلي يا عزيزتي.

ثم أغلقت الباب خلفها، وهي تواصل:

- بقية الفتيات لم يحضرن بعد؛ فالدراسة ستبدأ بعد يومين.
وقفت "هدى" في منتصف الصالة ذات الأثاث المتواضع، تتفحص الفتاة. كانت على شيء من البدانة، وقد برزت مفاتها، وبطنها الممتلئة من ثوبها المتزلي الضيق، وكانت قصيرة القامة نوعاً. قالت مرتبكة:
- لقد فضلت أن أحضر مبكراً حتى أعود على المكان، قبل بدء الدراسة.

- حسناً فعلتي. أنا هنا منذ العام الماضي.
- ألا تزورين أسرتك؟
أطرقت الفتاة برأسها، وهي تقول:
- إنها حكاية طويلة.
شعرت "هدى" بالخرج؛ فأدارت الموضوع، وهي تتصنع المرح:
- أنا هدى. ما اسمك؟
- صافي.
- يا له من اسم جميل.
سحبته "صافي" من يدها، وهي تقول:
- هيا لتعرفي مكان حجرتك أولاً، وتبدلي ملابسك، وسأذهب أنا كي أحضر لك العشاء، ثم بعد ذلك سنشرثر طوال الليل إذا أحببتي.
سارت خلفها حتى دلفا إلى حجرة متوسطة الطول بها أربعة سرائر، وخزانة ملابس كبيرة الحجم.
قالت "صافي" وهي تشير للحجرة:

- لك الحق في اختيار الفراش الذي يناسبك.

ثم تركتها وغادرت الحجرة.

على مائدة العشاء جلست "هدى" تتأمل الطعام في أمتان كبير،
وتساءلت بفضول عن نوعية أحد الأطعمة؛ فقالت "صافي" متعجبة:

- ألم تأكلي (فتة) سابقاً.

- لكن شكلها مختلف.

ضحكت "صافي" بصوت مرتفع، وهي تقول:

- هذه (فتة شاورما)

- لقد أكلت (الشاورما) كثيراً؛ لكنني لم أتناولها على هيئة (فتة).

- أنت تعرفين تقليعات المطاعم. (فتة شاورما) و(فتة جهري) و (بيتزا
بالشاورمة). لقد أحببتها كثيراً؛ لذلك أعدها كلما سنحت الفرصة.

ثم أشارت إلى الشطائر، وهي تواصل:

- ولم أنسى كذلك أن أعد لك (كبدة إسكندراي) ممتازة؛ لستذوقي
أكل الإسكندرية.

- كنت أظن أن المأكولات البحرية هي ما يميزها.

- المأكولات البحرية، و(الكبدة الإسكندراي)، والكشري بالكبدة أو
السجق، وشطائر اللحم. أكلتها الشهيرة عديدة جداً.

بدأت "هدى" في الأكل بتردد في بادئ الأمر؛ لكن مذاقه اللذيذ نحى
عنها تردداتها، فقط الفضول غلبها لمعرفة كم ستدفع ثمنه؟ فليس مقبولاً أن
تستترف نقود زميلتها حتى ولو كانت بالغة الكرم؛ فهي فتاة متغربة مثلها
وتحتاج إلى كل قرش معها؛ لذلك سألتها بخجل عن ذلك.

أجابت "صافي" بلا اكتراث:

- هذا العشاء على حسابي الخاص، بعد ذلك سيكون لنا نظام متبع لن نحيد عنه. لا تقلقي نفسك يا عزيزتي.

قضيت "هدى" قطعة من الشطيرة، وهي تشعر بامتنان كبير تجاه تلك الفتاة، وودت لو صارت صديقة دائمة لها. سألتها بفضول:

- لم تخبريني بعد. لماذا لم تزوري أسرتك أثناء إجازة الصيف؟

- الطموح.

- لم أفهم.

رمقتها "صافي" بنظرة اشتركت مع ملاحظها في رسم تعبير ممتعض:

- الأمور المعتادة في الريف، أهلي لا يرغبون في أن أكمل دراستي الجامعية.

- هذا غريب. لقد اعتقدت أن هذه الطريقة في التفكير صارت من الحفريات.

- هكذا تفكير الأب الشرقي لا يتغير بمرور الأزمنة. لكنني لن أظلم أحد، المشكلة هي في سفري إلى هنا. أعتقد لو أن دراستي كانت في بلدتنا، لن يجد أبي وقتها أي غضاضة في تعليسي. لقد كان رفضه فئائي في البداية، ثم تركني أجرب أول سنة، وكله ثقة في أنني لن أتحمّل الغربة. أي غربة هذه ونحن في ذات الوطن، ثم أنه كان يزورني بشكل منتظم كل شهر. المهم أنه في عامي الثاني قرر أن يمنع عني تكاليف المعيشة، حتى أعود له؛ لكنني غيرت سكني كي لا يعثر علي، وتقدمت إلى عمل مسائي حتى لا أحتاج إليه مطلقاً.

شعرت "هدى" أن قصتها تتشابه معها كثيراً، الفرق هو أن والدها كان يضرهما كثيراً. سألتها بفضول:

- وماذا بعد الانتهاء من الدراسة؟ كيف ستعودين إليه، وماذا سيكون رد فعله؟

- مازالت أمامي سنتان؛ لن أفكر في أي شيء حتى ينتهيا.
ثم أخرجت من حقيبة يدها كشكول متوسط الحجم، وبدأت تخط فيه بضعة كلمات.

سألتها "هدى" بفضول:

- هل تذاكرين من الآن.

ضحكت "صافي" عالياً:

- لا يا عزيزتي. هذه قصة أكتبها.

- هل أنت كاتبة؟

- ليس بعد. لكن لدي بعض الموهبة أخرجها على هيئة قصص وروايات.

- قصص رومانسية؟

- لا بل قصص رعب.

ظهر العجب على وجه "هدى" وتساءلت داخلها كيف لفتاة أن تكتب قصص رعب؟

شعرت "صافي" بما يدور في خلدها فقالت:

- مشكلة القصص الرومانسية أن من يقرأها يظن أنها من تجارب الكاتبة الحياتية، ولا يصدق مطلقاً أنها من نسج الخيال. تخيلي أن كاتبة

ستكتب مثلاً عن فتاة خدعها شاب باسم الحب، وهي لم تقع في الحب قطاً؛ لكن القراء لن يدركوا هذا، وسيظنون أن هذا ما حدث لها فعلاً. ماذا لو عن حادث اغتصاب؟ أو عن فتاة لعوب؟ لكن الرعب بعيداً تماماً عن أي ظن ولن يصدق أحد أنني على علاقة بمصاص دماء مثلاً.

هزت "هدى" رأسها علامة على الفهم، وقالت:

- الفتيات مظلومات دائماً حتى في عالم الكتابة. ترى ما سبب ذلك؟
هل لأننا مجرد فتيات؟

- كلا بالطبع. السبب هو عقل الرجل القاصر على معرفة مكنوناتنا؛ فيلجأ للاستنتاج الخاطئ البعيد كل البعد عن الحقيقة. بالضبط كبعض مرضى الصرع التي تتشابه أعراضهم مع أعراض الإفراط في شرب الخمر، ستذهب عقولهم فوراً - عند رؤيته - إلى أنه وغد سكير لا مريض يحتاج إلى العلاج.

ثم أشارت بكفها:

- هل تمنعين إذا قرأها؟

ناولتها "صافي" الكشكول وهي تقول:

- لقد جئت بها خصيصاً لأخذ رأيك فيما أكتب؛ لأنه سيزيدني معرفة لحدود موهبتي.

شردت قليلاً ثم واصلت:

- شعور سيء ألا أجد من يمديني برأيه، أو بكلمات مشجعة تؤكد لي أنني أسير على الطريق الصحيح.

- أنا أثق في أنها ستكون تحفة أدبية يا صافي.

- ليس لهذه الدرجة؛ فأنا لازلت في أول الطريق.
- قرأت "هدى" عنوان القصة "رعشات" وابتسمت وهي تقول:
- لن أسألك بطبيعة الحال عن العنوان إلا بعد القراءة.
- بعد القراءة ستعرفين المعنى من خلال النص.
- أقصد سأقول لك إذا كان مناسباً أم لا.
- حسناً يا عزيزتي. بعد الانتهاء من تناول العشاء اذهبي لغرفتك لقراءتها بهدوء، وسأصنع لك كوب من الشاي ليساعدك على الانتباه واليقظ.
- لكني بهذا سأتعبك معي.
- لا تعب صدقيني. يكفي أنك ستشغلين عقلك بقصتي التي كانت - ربما - أنفه من إضاعة وقتك.

أسفل النافذة ذات الستائر المتحركة بفعل نسيمات الهواء، جلست "هدى" تقرأ القصة التي بدأت بداية غير متوقعة. جريمة قتل من فتاة لشاب خدعها باسم الحب. ابتسمت في سرها وهي ترى أن القصة على الرغم من أنها رعب؛ لكن مع ذلك بها لحة رومانسية، وأدركت أن أية فتاة على الرغم منها تجنح نحو الحب والوله؛ فهذا جزء لا يتجزأ من عواطفها. واصلت القراءة مجدداً بصوت هامس:

" شيء غريب أن أرى الجسد النابض بالشباب والحيوية، مجرد جثة ساكنة مهشمة الرأس. أين ذهبت الحركة الدءوبة؟ هل مجرد دقائق قليلة تحيل الحركة إلى سكون، والدفع إلى برودة؟ نظراته إلي بعينيهِ النابضة ببريق العشق، صارت مجرد عيني سمكة ألقتها الأمواج على رمال الشاطئ.

برودة مخيفة تعتري بدني مع رعشات محنومة. لقد شعرت بجمجمته تنهشم أسفل ثقل التمثال الذي يزين الكومود، ومن سخرية القدر أنه كان يرمز لكيوبيد إله الحب، صار الآن ملوثاً بدماء الكره والبغضاء. الستائر الحمراء المتحركة صارت تخيفني، وكأن شخص ما يختبئ خلفها. لا أحد هناك. مجرد هواجس لا أصل لها. لكن ماذا فعلت؟ ماذا لو جاء أحدهم الآن، فمايتي ستكون رهبة قاسية. كيف أتخلص منه؟ رباه. دمائه التي كانت تتدفق على يديّ كانت ساخنة لدرجة، إنها الآن باردة في طريقها للتجلط. ترى هل سأنجح في إزالتها عن الأرض الخشبية؟ ماذا لو تساقطت من بين الألواح؟ هل ستكفي السجادة القديمة المهترئة لإخفائها عن الأعين؟ لا بد من أن أتخلص من ذلك الشعور البغيض الذي يشل جسدي، ويقرع قلبي بدقات عاتية، وكأنه في طريقه للانفجار. لا بد من أحرك قدميّ المتخاذلتين الفاقدين للأعصاب والدماء. جسدي كله أصيب بما يشبه أعراض مرض السكري. رأسي كمن أصابته سكتة دماغية"

شدت القصة أعصاب "هدى" حتى أنها نهضت من رقدتها من فرط الحماسة، وكادت تسقط ذلك التمثال المعدني الذي يزين الكومود، والذي كان يرمز إلى كيوبيد إله الحب.

تأملت "هدى" التمثال بشيء من الرهبة والقلق؛ لكنه كان نظيفاً لامعاً كأنه قد تم شراؤه منذ سويعات. جلست مستكينة متفكرة حائرة. ستائر النافذة حمراء اللون، وتتحرك كأن أحد يختبئ خلفها. ماذا يعني هذا؟ ربما اتخذت "صافي" وصف الحجرة داخل القصة فقط، هناك كتاب كثيرين يفعلون ذلك.

واصلت القراءة وقد انتابتها بعض المخاوف.

" لا جثة لا جريمة؛ لذلك يجب أن أخلص منها تماماً بطريقة تجعل العثور عليها مستحيل. سأمزقها قطع صغير بالسكين. لكن ماذا سأفعل بالعظام؟ هل ألقها في الطريق ربما أكلتها بعض الكلاب الضالة؟ وماذا إذا رأي أحد؟ لا لن أقع في أخطاء القتلة البلهاء. سأخفي العظام هنا في المتزل، ربما في قلب ديكورات الأثاث. هذه "الأباجورة" على سبيل المثال تصلح لإخفاء الجمجمة، ومع بعض الإكسسوارات، واللمسات الفنية لن يلتفت إليها أحد، وعند رؤيتها سيظن الجميع أنها مجرد ديكور لخيال فنان مريض. أرجل المائدة كذلك يصلح لإخفاء العظام الطويلة كالقدمين والذراعين. أنا أجد الرسم على الزجاج، ولن تكون هناك أية مشكلة في الرسم على العظام"

توقفت "هدى" عن القراءة، وقد انتاب جسدها بعض الرعدة، وهي تطلع إلى "الأباجورة" التي تعلق الكومود، وبجذر ذهبت إليها تتفحصها، ثم تراجعت إلى الخلف بهلع؛ فمن بين القطع الملونة من الأقمشة المزينة بالخرز كانت تستقر جمجمة بشرية.

دارت الحجرة بـ "هدى" وقد انتابها شعور طاغ بالضيق. لا تعلم من أين يبدأ الخيال، وأين ينتهي؟ هل هي مجرد قصة كتبها فتاة ذات عقل مريض، أم قاتلة سافكة للدماء؟ هل تواجهها، أم تواصل القراءة؟ ربما كانت مجرد دعابة قاسية منها لتخيفها، وهي تعلم أنها سترى تلك الأشياء، وتدرك الشبه بين الحجرة في الحقيقة، ومثيلتها داخل القصة؛ فليس من المعقول أن القاتل مهما بلغ به من هوس، أن يفضح نفسه.

واصلت القراءة بأعصاب مرتعدة، وخوف بدأ في التمدد ليغطي على كيانها كله.

" اللحم أمره ليس عسيراً، يكفي تقطيعه شرائح، وإخفائه داخل
الثلاجة. ربما صنعت به وليمة لأحدهم دون أن يدرك أن ما يتناوله لحم
جثة بشرية، وربما صنعت من كبده بعض الشطائر كذلك، ويوماً فيوم
ستتلاشى نهائياً داخل أمعاء الغافلين"

لم تستطع "هدى" تكملة أحداث القصة الشيعة عند هذا الحد، وقد
انتابها شعور عارم بالغثيان، وبدوار اكتنفها وسحب من جسدها الدماء.
حاولت النهوض وهي تفكر في الهرب من ذلك المكان المقبض الكتيب؛
لكنها سقطت على الأرض، وقد أصابها الرعب العنيف بما يشبه الشلل.
هل ما تناولته على العشاء لحم جثة؟ هذا شيء مريع، يجعلها تريد أن تقيء
معدتها نفسها.

تقيأت - بالفعل- بعنف شديد، حتى شعرت بالمذاق المر لعصارة
معلقها. تساءلت وهي تشعر بالألم أي شخص معتوه يفعل شيئاً كهذا؟
أنشبت أصابعها في السجادة العتيقة المهترئة التي تفرش الرضية، عليها
تساعدها في النهوض، ثم بدأت تستند على حافة السرير؛ لتكتشف أن
أرضية الحجرة تغطيها ألواح خشبية.
سحبت السجادة بقسوة وعنف؛ فرأت ما يؤكد شكوكها إلى حد
اليقين.

كانت هناك بقعة جافة ذات لون بني باهت، بدت لها كبقعة دم حاول
أحدهم تنظيفها، ولم يفلح في ذلك تماماً.

- هل أعجبتك القصة؟

ارتعدت من صوت "صافي" المفاجئ، وحاولت الالتفات لها، وهي مازالت مستندة على حافة السرير؛ لكنها فشلت في هذا، مع شعور الضعف والرعب الذي أحتل بدنها.

عرفت أنها تتقدم تجاهها من صوت وقع أقدامها على الأرضية الخشبية، واكتفتها رعشة محمومة من جراء ملمس كفها البضة على كتفها، وصوتها يتساءل بلهجة ساخرة:

- هل أَرعبتكِ القصة؟

ثم انطلقت ضحكاتها الشامتة ترح أركان الحجر.

أجابتها بصوت مرتعد مهزوز:

- أنتِ لا تنتمين للبشر بصلة. أنتِ شيطانه.

- ولم؟

- لأنكِ قاتلة مهووسة.

صمتت قليلاً لتلتقط أنفاسها، ثم واصلت:

- ولأنكِ جعلتيني أتناول ذلك الشيء دون أن أدرك ماهيته. أنتِ بشعة. بشعة.

أدارتها "صافي" نحوها، وهي تقول:

- أنتِ لا تفهمين أن الرعب يميزه الإحساس والوصف. الشعور بملمس الدماء اللزجة، وهي تغطي كفيكِ. الجثة التي كانت تتحرك وتتكلم منذ دقائق معدودة، ثم صارت خاوية الروح. الشعور بالقتل.

نظرت "هدى" لها بنظرات فزعة:

- هل تقصدين... هل تقصدين أنك قتلتني لـ...
- لم تستطع إكمال سؤالها؛ لكنها سمعت الإجابة العجيبة:
- نعم. لقد قتلته كي أضيف الوصف والمشاعر داخل القصة.
- أنت مجنونة.

- ومن منا العاقل؟ ثم كيف تعرفين أن هذا هو الجنون؟ ربما كان الجنون هو العقل، والعقل هو الجنون. إنها مجرد مصييات ونسب تختلف حسب رؤية المرء لها. بالضبط كالهواء الذي نراه شفافاً؛ لكنه على الرغم من ذلك يحمل داخله موجات وذرات. كالصوت الذي نسمعه دون أن ندرك أن هناك أصوات لا تلتقطها آذاننا. كل شيء حولنا خادع، ولا يظهر حقيقته الأصلية؛ لكننا نصر أن الحقيقة هي ما نراه، وما نسمعه، وما نذوقه. حتى الحواس خادعة، لا نعلم عنها شيئاً إلا عن طريق الإشارات التي يرسلها المخ.

- الصواب بين والخطأ بين.

- حتى مفهوم الصواب والخطأ يختلف من شخص لآخر. ألم ترتكبي خطأ قط وأنت على يقين أنه عين الصواب؟

صمتت "هدى" عند هذا الحد، وهي تحاول التقاط أنفاسها المتقطعة؛ بينما واصلت "صافي" وهي تقرب وجهها منها حتى شعرت بأنفاسها الحارة:

- أشعر أنك ارتكبت خطأ ما. ربما حاولتي إخفاءه؛ لكنك لم تنجحي في هذا.

سألتها "هدى" وهي تشعر بالحيرة:

- لكن لماذا؟ لماذا جعلتيني اقرأ القصة، وأنت تعرفين أنني سأكتشف جرميتك؟

- هذا هو المقصود تماماً.

- لا أفهم.

- الرعب يا عزيزتي. كي تشعري بالرعب لا بد من أن تساعدك البيئة المحيطة في الإحساس به. أن تشعري بلمسه البارد يزحف على ظهرك كأصابع جثة.

- وماذا تستفيد من هذا؟

- لذة النجاح. النشوة التي تملكيني وأنا أرى قصتي تهر كيانك، وتلعب بمشاعرك، وتبث الخوف العاتي داخلك. القصة المربعة الناجحة هي ما تخيف القارئ حتى النخاع، وتسلب منه الراحة، وتورق ليله.

- كما قلت سابقاً: "أنت قاتلة مريضة، وتحتاجين حتماً إلى علاج سريع"

ثم توجهت نحو باب الحجرة، وهي تواصل:

- لندع الشرطة تقرر هذا.

أمسكتها "صافي" من ذراعها بقسوة وعنف، وهي تهتف بشراسة:

- ومن سيسمح لك بهذا؟

ثم جذبتها بعنف حتى كادت توقعها أرضاً:

- هل ظننتي أنني سأجعلك تغادرين بهذه البساطة بعد معرفتك كل

شيء؟ لا يا عزيزتي أنت مخطئة في هذا؛ لقد كانت القصة هي الخطوة الأولى، وahan الآن وقت الخطوة الثانية والأخيرة.

ثم تناولت التمثال الحديدي، وهي تهوي به على رأسها، وتقول:
- قتلك.

أبعدت "هدى" رأسها بعيداً عن التمثال القاتل، وزحفت مبتعدة إلى
ركن الحجرة محاولة حماية نفسها؛ لكن ضربة قاسية أصابت قدمها،
وجعلتها تصرخ ألماً.

هتفت "صافي" بشراسة:

- إلى أين تزحفين أيتها الحمقاء؟ الحجرة صغيرة على الاختباء.

شعرت "هدى" بهذا بالفعل، وأدركت أن الحل الوحيد للدفاع عن
نفسها هو الهجوم؛ لذلك هضت بأسرع ما تستطيع مع كل تلك الآلام
النفسية والجسدية التي أصابتها، والتفتت إلى الفتاة المخبولة، وهي تقول
بلهجة متحدية:

- أنا هنا أيتها المخبولة.

هجمت عليها "صافي" والتمثال الحديدي ما زال يستقر في يدها، وقد
رفعته عالياً استعداداً لشج رأس "هدى" التي تنحت بعيداً عن الهجمة، ثم
تناولت الأماجورة وطوحتها بعنف تجاهها؛ لتتهشم من جراء الارتطام
برأسها.

تجمدت برهة وهي ترى خيط من الدماء يسيل من بين رأس "صافي"،
التي انتهزت الفرصة على الرغم من إصابتها، وضربت رأس "هدى"
بالتمثال.

- هوى والدها بالعصا على جسدها، وهو يصيح بغضب:
- عندما أناديك تأتي بسرعة.
- بكت من شدة الألم، وقالت من بين دموعها:
- لم أسمعك تنادي يا أبي.
- ضربها مرة أخرى، وهو يواصل:
- وبماذا كان عقلك منشغل؟
- واصلت البكاء، وراحت تتوسل إليه:
- أرجوك يا أبي. هذا مؤلم جداً.
- حتى تتعلمي جيداً، وتبلي النداء بأسرع ما تستطيعين.
- كان الألم مبرحاً ككل مرة؛ لكن وقعه على جسدها مختلف. لأول مرة تشعر بالمهانة، وأنها مجرد حيوان لا يمت للبشر بصلة، ومع شدة الضرب شعرت أنها تنفصل عن العالم، ولم تعد تشعر بشيء إلا الغضب الذي يحرق عروقها، ويلهب أعصابها.
- وقفت والدموع قد تجمدت على عينيها، وهي تهتف:
- لا.
- ثم دفعته في صدره بقوة، وهي تواصل:
- لن أسمح لك بإهدار كرامتي.
- بكت والدها من ردة فعلها؛ فانتهزت هذه الفرصة، وركضت إلى المطبخ لتأتي بما تدافع به عن نفسها.
- السكين.

ركض خلفها كالجنون وهي يصيح:

- هل بلغت بكِ الجراءة لتفعلي هذا.

بسرعة محمومة أخذت تفتش درج المطبخ، بحثاً عن السكين وسط الشوك والملاعق التي تملأه؛ لكن ألأم مبرحة أصابت رأسها، من جراء جذب والدها لها من شعرها.

صرخت بأقصى ما تستطيع، وهي تغمد السكين داخل صدره:

- لا!!!!!!.

رأت الدماء تنبثق بغزارة من موضع الجرح القاتل. واصلت الطعن بهستريا حتى مع سقوط والدها أرضاً، ونظرة ذاهلة تطل من عينيه، مع رجفة أصابت جسده.. الدماء تغرق الأرضية وتبلل قدميها، وجسدها يرتجف برعشة محمومة، بينما جسد والدها كان قد توقف عن الارتجاف إلى الأبد.

أفاقت "هدى" من سيال الذكريات فجأة، وألم هائل يدق رأسها. التمثال الحديدي يستقر في كفها، وقطرات الدم تتساقط منه بالقرب من جثة "صافي"، التي استقرت على الأرض مهشمة الرأس.

لقد اختلطت ذكريات قتلها لوالدها؛ بواقع قتلها لـ"صافي"، شعرت وقتها أنها انسلخت عن الواقع، أثناء دفاعها عن نفسها. الاثنان صارا واحداً، والماضي القريب أندمج باللحظة الحاضرة. لقد هربت بعد قتلها لوالدها؛ لتقتل مجدداً. لكن هذا ليس ذنبها، في كلتا الحالتين كانت تدافع عن نفسها وكياها. ليست قاتلة مهووسة كـ"صافي" بل الظروف العجيبة هي ما دفعتها لهذا.

ماذا ستفعل الآن؟

على الرغم من الصدمة التي أصابت والدتها؛ لكنها ساعدتها على الهرب بعد إخفاء الجثة بطريقة لن يعثر عليها أحد.

ماذا تفعل الآن في الجثة الثانية؟ هل تفعل بها كما فعلت "صافي"؟ هل تأكل لحمها، وتخفي عظامها؟

لا. ليست لديها القدرة على فعل ذلك. لا يوجد أمامها إلا حل واحد فقط. حرق الشقة بالكامل، والهرب إلى أي مكان بعيد. النار ستحرق كل الأدلة، وكل الشرور.

ابتعدت عن البناية، وقد بدأت النيران تلقي بأدختها من نوافذ الطابق الثالث. لم تكن تعلم إلى أين ستذهب في هذا الوقت من الليل؛ لكن قدميها قادتها رغماً عنها إلى الشاطئ، التي كانت أمواجه تداعب أطراف الرمال.

نسمات الهواء المشبعة باليود تهب عليها، وتداعب شعرها الأسود، وتمنحها شعور عارم بالعطف والحنان، التي كانت تمنحها لها والدتها. هي تعلم أنها لن تراها مجدداً إلا بمعجزة، ولن تستطيع العودة إلى بلدتها كذلك قطاً. يجب عليها الهرب. لكن إلى أين؟ المكان الأول التي لجأت إليه كان مليئاً بالجنون والشر. هل تبحث عن مكان آخر، أم أن البشر كما هم في كل مكان؟ قلوبهم ممتلئة بالقسوة والعنف والشر.

أرتعش جسدها وهي تتذكر مجدداً تفاصيل ما حدث، وشعرت بحزن عميق وهي تدرك أنها لن تجد حوض دافئ يحتويها، ويذهب عنها بتلك الرعشات بعيداً. لن تجد أحسن عليها من تلك النسمات، ولن تشعر بالأمان

قطاً وهي ترمق أعماق البحر المدهشة. هل تلجأ إليه؟ هل تجد بين أحضانة
السكينة والهدوء؟

تقدمت إليه برقة كفراشة تخطو فوق السحاب المخملي، وخاضت قليلاً
داخل مياهه حتى احتوتها، ثم بدأت بالسباحة إلى أعماقه، وهي تتمنى أن
يظهر جسدها، ويزيل عنها كل الهشوم.

واصلت السباحة إلى الأمام ببطء حتى امتزجت معه، وقد ازداد
شعورها بالأمان والحنو. رويداً رويداً غابت في الأفق، ولم تبقى خلفها إلا
الأمواج المتراقصة التي تداعب أطراف الشاطئ.

صحراء الجنون

شتان ما بين الحر القائظ في موطني (مصر)، وبين ذلك الحر البكر
الملتهب المسلط عليّ، وأنا أخطو داخل صحراء الربع الخالي المترامية
الأطراف، تائه بين الجبال والكتبان الرملية الشوهاء. حرارة رهيبية مسلطة
على جسدي تكاد تشويه شيا، والمدى يخلو من أي بقعة ظليلة تصلح
لتكون درعاً يحميني من سوط الشمس الناري. السكون له درجة عجيبة لم
ألتسها في حياتي قط. سكون يطبق على آذنيّ، وكأنني فقدت حاسة
السمع إلى الأبد، ومع ذلك أستطيع سماع وشوشة الهواء، ودحرجة كرات
الأعشاب الجافة - التي أجهل مصدرها - على الرمال الناعمة التي لم
يحدثها إنس ولا جان من قبل. القيص مشبع بالعرق خاصة من ناحية
الظهر، الذي أنتشر فيه خدر خفيف لا أعلم سببه. عضلات فخذيّ أنتشر
فيهما الألم، وكأن قد تم تضفيرهما معاً، من جراء مقاومة الرمال لهما.
الحذاء امتلأ بجبات الرمال القاسية، وجاء معها ألم حاد إلى باطن قدميّ،
ليست لدي أية قوة لخلعهما وتنظيفهما. يبدو أن ساعة الموت تدنو مني
بسرعة؛ لأصير معها جثة مدفونة في الرمال، أو هيكل عظمي أكلت
الذئاب لحمه.

لو كان هذا ثمن غربيّ فهو ثمن قاس حقاً، وليت المشكلة اقتصرت على
موتي؛ لكن حزن أسرتي وجهلهم بما حدث لي أو مكاني، سيظل يدميهم إلى
الأبد.

رأسي يثقل والموجودات تتراقص أمامي. لا يجب الاستسلام الآن، لا بد
لي من المقاومة عليّ أنجح في البقاء حياً. لكن كيف للصخور أن تتحرك؟
ألحها تتحرك حركة بطيئة للأمام، وتقتز كقط ينفض عن جسده الماء.

يتقدمون بحركة واهنة تجاهي، وأنا أتلقت حولي في يأس بحثاً عن الخلاص،
وداخلني تعيث عاصفة من الرعب. الصخور تتقاذف نحوي، وقد صارت
غربان سوداء عملاقة لها أعين حمراء، أجسادها تتمدد خلفها كخيوط من
الدخان. أجنحتها هائلة تحتك بقرص الشمس فتطير من أطرافه شواظ
نارية، وتتساقط فوق الرمال بعد أن خبا بريقها، وتحولت إلى ما يشبه
القواقع. الطيور الدخانية تدور حولي، وتنقض عليّ واحدة بعد الأخرى.
أدور معهم وأنا أحاول إبعادهم بيدي، ثم أنطلق راكضاً في سباق محموم
متواز مع الموت، لا أعلم من منا سيصل أولاً. أصعد تبة عالية عليها تكون
عائقاً أمام تلك الأشياء. المعاناة مريرة مع إجهادي وآلامي وعطشي؛ لكنني
نجحت في الصعود لأتوقف مكاني مدهوشاً مما تراه عيني.

فعلى الجانب الآخر من التبة، كانت هناك سفينة بحرية كثيبة الشكل
تمخر عباب الرمال، وقد فردت أشرعتها إلى عنان السماء، حتى أنها كادت
أن تطمس منحى الأفق.

صورة ابنتي الحبيبة ذات العشر سنوات هي ما تؤنس وحدتي. نظرة
واحدة إلى وجهها الملائكي تنسيني الإحساس العارم بالوحشة، والغربة
داخل عملي الصحراوي الشاق. هدير الحفار الضخم وهو يثقب الأرض
هو الشيء الوحيد الذي يؤنسني؛ فلولا صوته لكان الصمت المحيط قاتلاً.
حتى رائحة السخونة التي تتصاعد من الرمال الشاسعة المحيطة بمنطقة
العمل، تساعد في هذا أيضاً.

تحسست بأناقلي ملامح ابنتي، وشعرت ببعض الشجن والحزن لضمها
إلى صدري. كم أفتقدك يا صغيرتي؛ لكنك تعلمين أن سبب غربتي وعذابي
هو تأمين حياة كريمة لك ولوالدتك.

لحت مساعدتي وهو قادم مسرعاً، وهو يصيح بشيء ما، وعند اقترابه سمعت ما يقول:

- القوات السعودية ستشن حرباً على "الحوثيون"¹* الآن. لقد جاءني بلاغاً بوجوب الإخلاء حتى لا يصيبنا القصف.

كنت على شيء من المعرفة بما يحاوله "الحوثيون"، من إتباع نهج "بدر الدين الحوثي" الذي تمرد* على فتوى علماء الزيدية في اليمن، والتي تقضي بأن شرط النسب الهاشمي للإمامة صار غير مقبول في هذا العصر.

تأملت جبل الدخان الذي يلوح في الأفق، ثم قلت بحيرة:

- وإلى أين سنذهب؟ هل سأرجع إلى وطني.

أجاب وهو يتعد:

- لا أعلم. المهم الآن هو أن نبتعد بقدر الإمكان. الطائرات في طريقها للقصف.

أسرعت خلفه وأنا لا أعرف أين سنذهب. ثم تذكرت أنني يجب أن أجمع أشتائي تسحباً للظروف.

دلفت إلى داخل الاستراحة، وأخذت أجمع حاجياتي داخل حقيبة جلدية كبيرة الحجم. لم أنسى كذلك التأكد من أن جواز سفري داخل الحقيبة، ربما احتجت إليه لو حدث وغادرت البلاد.

¹ * في عام ٢٠٠٩ دخل "الحوثيون" حرباً مع السعودية، حيث أعلنت السعودية أن "الحوثيين" احتلوا جبل الدخان، واعتبرت السعودية أن "الحوثيون" قد تجاوزوا الشريط الحدودي، وخرقوا سيادة السعودية على أراضيها.

تعالى من السماء صوت الطائرات وهي تخلخل حاجر الهواء؛ فجذبت
حقيقتي مسرعاً إلى الخارج، أراقب ما يحدث.

كانت الطائرات في طريقها لجبل الدخان، وسرعان ما بدأ القصف
الذي حطم السكون المميز للسكان، وارتفعت من مواقع القصف الكتل
النارية المختلطة بالرمال المتطايرة، وكأن المكان قد صار جحيماً حقيقاً.

ابتعدت سيارة تحمل عمال الموقع عن المكان؛ بينما حثني مساعدتي،
وقد جلس خلف مقود سيارة دفع رباع صغيرة، وهو يصيح:

- هيا لنبتعد بسرعة.

قفزت لأجلس بجواره، ومعني حقيقتي، وعلى مقربة منا دوى انفجار
هائل أصابني بالرعب، ثم سرعان ما انطلقت السيارة تشق طريقها داخل
الصحراء، التي بدت لي متشابهة وشاسعة باتساع مهول، ومن ورائنا كان
القصف ما زال يدوي في ازدياد متصاعد.

عرفت بعد قليل أننا قد ضللنا طريقنا داخل الصحراء. كانت عينيّ
المساعد تنبش الطريق بحثاً عن السيارة الأخرى، أو أي علامة على وجود
حيأ. لم يكن هناك شيء على مرمى البصر إلا المساحات الشاسعة من
الرمال الجرداء.

سألته بقلق:

- ماذا سنفعل الآن؟

أخذ يبحث في حقيبته عن شيء ما، وهو يقول:

- لا تخشى شيئاً. سنتصل بهم وسنعرف...

هتفت به وأنا أشاهد السيارة تقترب بسرعة قصوى من تلك الصخور:

- أخطر.

لكن السيارة كانت قد ارتطمت بهم بعنف، وقفزت في الهواء بطريقة شبه دائرية؛ كحركة عقرب الساعة، ثم هوت منقلبة رأساً على عقب.

دارت الدنيا حول رأسي، وانتشر الألم في جسدي؛ لكن استبسلت في الخروج، وبدأت في الزحف عبر أحد النوافذ التي انبعجت، وقشمت زجاجها إلى قطع صغيرة، ثم درت حول السيارة ناحية عجلة القيادة؛ كي أجذب مساعدي للخارج. هو الوحيد الذي يستطيع التصرف في هذه الظروف. لكن للأسف كانت إصابته قاتلة.

حاولت البحث داخل حقييته عن أداة اتصال. وجدتها بالفعل لكنها كانت مهشمة من جراء الحادث.

وجدت نفسي بعد ذلك تائهاً داخل الصحراء المخيفة، وأرضها التي تحمل بقايا حياة بحرية من زمن غابر. الماء قد نفذ، والشمس قد بدأت في تعذبي، وجسدي قد أستهلك كل طاقته، ولم يبق إلا انتظار الموت.

أفقت من ذكرياتي على صداع رهيب يدق رأسي، وشعرت بملمس الرمال القاسية تحت وجنتي. فتحت عينيّ ببطء وأنا لا أدري ماذا أصابني، ثم تذكرت تلك الأشياء المخيفة التي كانت تطاردني؛ فهبت واقفاً أتلفت حولي بحثاً عنها. لم أجد لهم أي أثر بطبيعة الحال؛ فلقد كانوا مجرد هلاوس أصابتني من شدة الحر والعطش؛ لكنني لحت على مقربة جماعة من البدو يجلسون حول نار موقدة، وبجوارهم صخرة ضخمة بدت لي في ظلام الليل كسفينة بحرية. تأملتهم برهة وأنا لا أعرف من هم، وماذا جاء بي إلى هنا؟ على الأرجح هم وجدوني فاقد الوعي فقاموا بإنقاذي. تحركت نحوهم بخطى بطيئة، وأنا أقول:

- السلام عليكم يا أهل العرب.

الفتوا لي، وقال أحدهم وهو يلوح بيديه:

- هيبوه بدينك*؟

لم أفهم ما يقول، وعرفت أنهم يتحدث بأحد اللغات المندثرة، والتي تنتشر بندرة بين قبائل الربع الخالي، وقدرت أنها اللغة الحميرية** أو المهرة، أو ربما لهجة أخرى منحدرية من أي منهما. تقدمت نحوها، ولا علم لي بالطريقة التي سنتخاطب بها، ولكنني سأحاول أن أعمل عقلي في الفهم.

أشار لي كي جلس، ومد يده بقدرح قائلاً:

- تحوم حموه***؟²

تناولت القدرح وتشمسيت ما فيه؛ فوجدت أن ما به ماء. قربته من فمي وجرعته مرة واحدة، وشعرت بعدها بالراحة تغزو بدني. تناول من يدي القدرح وناولني طبق به أرز معجون باللبن، وفوقه قطعة لحم، عرفت أنها من لحم الماعز الذي يستقر فوق النيران. بدأت في التهام الطعام الذي كان شهي المذاق على الرغم من افتقاده إلى الملح، وتأملت المكان حولي. كانت حولنا على مساحات شاسعة تمتد الكثبان الرملية والتلال، وبجوار مجلسنا كانت تستقر تلك الصخرة العملاقة الشبيهة بالسفينة، وأسفلها كانت تستقر مجموعة من الجبال، وقد استكانت فوق الرمال، ثم شاهدت ما جعلني أصعق، وقد تملكني شعور بالشفقة المنزوجة بالتعجب الشديد؛ فلقد كانت هناك فتاة شابة مكبلة بالحبال، ومكسمة الفم، تستقر بجوار الجبال في وضع ذليل، وقد تم غرس ثلاث مشاعل متأججة بالنيران.

² * كيف بدنك أو كيف صحتك؟

نقلت أنظاري بينها وبينهم، ولوحت بكفي تجاهها، محاولاً سؤلهم عن سبب فعلهم هذا. بادلوني النظرات، وقال كبيرهم شيئاً بلهجة حادة غاضبة، فهمت منها أن لا شأن لي بذلك

شعرت بنيران الغضب تتأجج داخل عروقي، وصورة ابنتي تتقافز داخل عقلي، وقارنت بينها وبين تلك الفتاة المكبلّة المسكينة، وسألّت نفسي لو كانت هنا في مثل موقفها هل كنت سأتركها؟ بالطبع لا.

هضت من فوري، وذهبت تجاهها، وكلّي تصميم على إنقاذها من بين براثن هؤلاء الهمج، الذين يعيشون بمنطق العصور الوسطى؛ لكنني تجمدت مكاني عندما شعرت بذلك النصل الحاد يستقر فوق رقبتني، مع تكبيله قوية لذراعي، وصوت يقول:

- تامل هيشن؟^{3****}

وقتئذ عرفت ما يجب علي فعله، وأني يجب أن أخلصها من بين أيديهم مهما كان الثمن.

ظللت ساهراً وأنا أتصنع النوم، وعقلي يفكر في تلك الفتاة المسكينة. سنوات عديدة من التحضر والرقى تمر أمامي عيني، وأقارن بين المكانة التي وصلت لها المرأة في أي مكان، وبين الحياة البدائية التي ألمسها هنا.

³ ** اللغة الحميرية يعود أصلها إلى الدولة الحميرية الشهيرة التي تأسست قبل 115 سنة قبل الميلاد على يد الملك "ذي ريدان الحميري"، ولغة المهرة منحدره منها.

*** تريد ماء؟

**** ماذا تفعل؟

بدأ النوم يغزويني. السبب هو الإجهاد الذي عانيته طوال اليوم بالتأكيد. ثقلت رأسي وغفوت سنة من النوم. يبدو أنها ليست سنة لأن الجميع غاف مكانه، ولم يبق أحد مستيقظاً إلا شخص واحد يقف على مقربة من النيران، نفس الشخص الذي هددني بالخنجر. يبدو أن مهمته هي حراستهم من أي هجوم ليلي قد تسببه كائنات الليل المتوحشة كالذئاب، وربما من واجبه حراسة الفتاة كذلك. نهضت ببطء ثم بدأت التحرك نحوه. رماني بنظرة صارمة عندما اقتربت منه، وسألني شيئاً ما؛ فجاءت إجابتي على هيئة ضربة قاسية من صخرة على رأسه.

رمى الصخرة جانباً، وبحث داخل ملابس من الخنجر، وما أن وجدته حتى بدأت في التسلل بحذر تجاه الفتاة، التي انتفضت عند رؤيتي والسلاح في يدي. طمأنتها بإشارة من يدي، وأخذت في تمزيق قيودها، وإبعاد الكمامة عن فمها.

شهقت تعب الهواء، ثم قالت لي رقة:

- شكراً لك.

نهضت بنشاط غير عادي، وهي تجذبني من ذراعي إلى ما خلف الصخرة الضخمة. ملامحها ساحرة بحق، ولها جمال أخاذ يسحر القلوب. شعرها

يصل أسود ناعم بالغ الطول. وجهها يحمل سمرة فاتنة.

سألتها مندهشاً بصوت خافت:

- هل تتكلمين اللغة العربية؟

غرقت في بحر عينيها السوداوات، وهي تجيب:

- نعم.

- كيف؟ ألسـتِ من قبيلتهم؟

هزت رأسها نافية فتماوج شعرها كشلال من حرير.

التصقت بي وهي تقرب شفاهها من شفاهي بدلال؛ لكنني ابتعدت عنها،
وأنا أقول بخرج:

- أنا متزوج وأحب زوجتي.

تأملتني لحظات بسكون، ثم قالت:

- أبتعد عن هنا، وسد أذنيك.

- ماذا؟

- أبتعد عن هنا بأسرع ما تستطيع. لقد ساعدتني وهذا أقل ما أقدمه
لك.

شعرت بالحيرة من كلماتها، وهمت بسؤالها عما تقصد؟ لكن ملاحظتها
تبدلت فجأة بطريقة أقشعرها بدني، وأصابني فزع رهيب.

تراجعت من الرعب إلى الخلف، وأنا أشاهد تحولها الشنيع. فمها وقد
برزت منه أسنان حادة مخيفة، وعينيها التي تلونت بلون الدم. حتى بشرتها
صارت مجمدة باعثة على الرعب والنفور. لم تكن فتاة بأي حال من
الأحوال. كانت مخلوقة شيطانية.

بدأت أركض داخل الصحراء مبتعداً بسرعة جنونية. لا أعرف إلى أين
أذهب؟ ولا أين تقوداني قدماي. نظرت خلفي لألمح تلك المخلوقة التي لا

تمت لعالمنا بصلة، قد اعتلت الصخرة؛ بيديها اللتان صارتا على هيئة منجلين مخيفي الشكل. عند وصولها للقمة رفعت رأسها إلى أعلى، وبدأ لي أنها ستهم بالصراخ لسبب لا أعلمهن، ولا أعرف ما فائدته إلا إيقاظ الجمع النائم، وإثارة غضبهم.

تذكرت تحذيرها بشأن سد أذني؛ فوضعت كفيّ على أذنيّ، وأنا أواصل الركض.

انطلقت من حلقها صرخات عالية حادة رهيبة. صرخات مزقت سكون الليل، وهدوء الصحراء تمزيقاً، خلخلت الهواء، ورجت الأشياء من حولي.

واصلت كتم أذنيّ لأمنع تلك الصرخات الرهيبة من تمزيقهما. سألت نفسي في ذهول "إذا كانت صرخاتها بالغة القوة، وأنا على مبعده منها، وكاتم لأذنيّ؛ فماذا سيحدث لهم، وهم عند مركز الصوت؟"

كنت أريد عن الابتعاد عن كل ذلك الجنون بأية طريقة؛ لذلك واصلت الركض لما بدا لي ساعات طويلة، ولم أتوقف إلا عندما تملكني الإجهاد، وسقطت فاقداً لكل معاني الإدراك.

أفقت فجأة فوجدت نفسي أرقد على فراش مريح، وعلى مقربة مني كان هنا طبيب يتكلم مع رجل يرتدي الملابس العسكرية السعودية. لمح الطبيب إفاقتي فتقدم تجاهي، وهو يسألني:

- هل أنت بخير؟ بماذا تشعر؟

أجبت ببطء من فرط الإرهاق:

- مرهق، وأشعر كأن رأسي تكاد تتمزق.

- لا تقلق. بعض الطعام والماء، وقليل من الأدوية، وستعود بخير حال.

رمقني ضابط الجيش بنظرة ثابتة، وقال:

- لقد وجدنا بعض رجال أحد القبائل، وقد لقي معظمهم مصرعه بما يشبه السكتة القلبية، وآخرون تم تمزيقهم بوحشية بشيء يشبه المنجل، ومن تبقى على قيد الحياة أصابه جنون المطبق. هل تعرف أي شيء عن هذا؟

أومأت برأسي إيجابياً، ثم حكيت له كل شيء. بعد أن انتهيت سألته بلهجة حائرة:

- لا أعرف هل ما حدث حقيقة لمستها بنفسي، أم هذيان أصابتني به الصحراء؟

نقل بصره بيني وبين الطبيب، ثم قال وهو يغادر:

- بل حقيقة للأسف.

حاولت الجلوس، وأنا أمسك يد الطبيب، وأقول:

- أرجوك أخبرني، هل تعرفون ما هي، وكيف فعلت هذا؟

سحب يده من كفي، وقال بلهجة مشفقة:

- أهد ربك على أن نجوت من كل هذا.

- أرجوك أخبرني.

شرد بصره قليلاً في السقف، ثم قال:

- ما أسمعه عنها أنها مخلوقة مخيفة تعيش في اليمن أو على الحدود القريبة منها. يقولون أنها تعيش كذلك في بعض دول الخليج العربي، وهناك

من يؤكد أن لها ابنة أو شقيقة تدعى الصياد. هناك حكايات عن أنها تغوي الرجال في الليل، وتسحرهم بجمالها، ثم تهجم عليهم لتزقهم وتلتهمهم. البعض يؤكد أنها قوى لحم الصغار كذلك.

سألته وقد تملكني الرعب مما أسمع:

- وهل لها اسم؟

أجابني وهو يغادر بلهجة أقشعر لها جسدي:

- أم الدويس*.⁴

بعد عدة أيام كنت قد استعدت كامل صحي الجسدية؛ لكن صحي النفسية كانت قد أصيبت بالتدخل، مما لاقيته من أهوال الصحراء، والرعب والجنون مع "أم الدويس". أشعر أنني لم أعد كما كنت، وأن شيئاً ما بداخلي قد تغير إلى الأبد، وخوف لم ألتسه من قبل يزورني في غفوتي، ويملاها بالكوابيس المريعة، ويمدني بالرجفة. صرت أستيقظ فرعاً من رؤيتها في منامي، وهي تطاردي عبر دروب الصحراء الممتلئة بكائنات بالغة الشناعة، وأستيقظ فأراها في كل ركن وزاوية، بأسنانها الحادة، ويديها المنجلية الرهيبة، تحاول أن تمزق جسدها وتلتهمني بشراسة.

لذلك كان قراري بالسفر، والعودة إلى زوجتي وابنتي الوحيدة، اللتان أفقدتهما بشدة، وأفقد وطني كذلك. وجودي هنا لم يكن لي غير الغربة

⁴ * تعرف أيضاً في بعض المناطق بأم الصيان. تشاع عنها الحكايات في مناطق اليمن الجبلية، كما تتواجد في المناطق الساحلية بصيغ مختلفة، وتوجد أيضاً في بعض دول الخليج العربي خصوصاً في المناطق السعودية الحاذية لليمن والقريبة منها.

والوحشة، ووجودي بينهما ومعهما ربما كان فيه الشفاء لي. أريد أن أبتعد
بأية طريقة عن تلك الصحراء المخيفة، برمالها وصخورها وكثبانها الرملية،
وعن شمسها اللافتة المستعرة، وحكاياتها المخيفة.
أريد أن أبتعد نهائياً وللأبد عن كل هذا الجنون.

فزع

كعب حذائها يدق الأرض؛ ليشرخ السكون. ترمق عقارب ساعتها
بقلق، وتنقلها إلى الطريق الهادئ الصامت إلا من صوت الرياح التي بدأت
تهب، وتعبث بخصلات شعرها الأسود الناعم.

ترى هل سأجد وسيلة تقلني إلى المنزل؟

تساءلت والقلق يدب في قلبها، ويؤرق عقلها.

تباً لهذا العمل البغيض، وتباً لزميلتي "هناء"

تذكرت الساعات القليلة الماضية، عندما كانت بين جدران المشفى
الدافئة، وروائحها المميزة التي تعودت عليها. قوانين العمل صارمة " لا
تستطيع الذهاب إلا عند مجيء زميلتها، وتسلم النوبتجية منها" تعلم هذا
يقيناً، وكانت تدعو الله ألا تتأخر زميلتها قطاً، أو ألا تجيء مطلقاً. في كلا
الحالتين هي الفائزة. لن تتأخر عن العودة في الأولى. في الثانية ستقضي
ليلتها بالمشفى. لكن القدر كان يخطط لها أن تتأخر زميلتها، وتضطر هي
إلى العودة للمنزل متأخرة.

بحشت بعينيها عن سيارة أجرة؛ فهذه هي الوسيلة الوحيدة في مثل هذا
الوقت المتأخر من الليل.

تتوقف قليلاً أسفل تلك المظلة الأسمنتية، التي تعلو مقعد خشبي فقد
العديد من ألواح الخشبية، وصار لا يصلح للجلوس.

الطريق خال تماماً من المارة، والسماء بدأت تلتقط أنبائها وبنائها من السحب الشاردة، وتجمعهم معاً. الحزن والهلم جعلهم يبرقون ويرعدون. ما هي إلا لحظات وتتساقط دموعهم مدراراً.

شعرت أن دموعها تكاد تتساقط مع زخات المطر الشحيحة. الليل يخيفها، وكذلك القلق على والدتها القابعة في المنزل بمفردها. لابد أنها أدركت سبب تأخيرها، ولن تدع القلق يهزمها، ستنتصر عليه بأسلحة البديهة.

البرودة تذرهما كرداء صنع من نسيج ثلجي، والهواء الذي تتنفسه صار له لون وكثافة؛ كالأبخرة الصاعدة من قلب مرجل ساخن.

كعادة آلية اكتسبتها مع الوقت، أخرجت علبه سجائرها، ولقمت فيها بواحدة؛ لتشارك دخالها بأنفاسها المتكاثفة. لكن الرياح الباردة بعثرتهما معاً إلى غياهب الجهول. كل الهوم الملقاة على عاتقها جعلتها تمارس مثل هذه العادة السيئة. لا تتذكر يقيناً متى أو كيف قد بدأها؟ لكنها تدرك تماماً أنها لن تتركها أبداً، بعد أن صارت هي والسيجارة صديقتان لا تفترقان، وتتشاركان في كل ذكرى سيئة، حتى تعودت على مشاركتها داخل حقيبة يدها، وبين أصبعيها بشكل شبه دائم.

حملت لها الرياح أصوات ضحكات، تنبعث من فمي شابين يترجلان على الجانب الآخر من الطريق. ألقت السيجارة ودهستها بطرف حذائها المدبب. لا تريدهما أن يعتقدوا بها السوء، ويبدأن في مشاكستها. هي تعلم أن رقتها المرفقة، ونبرة صوتها الحاملة؛ ستكونان ضلها في ظل مواجهة حتمية.

أخذت تدعو الله في سرها أن يكونا مجرد شابين محترمين، لكن في داخلها تدرك أن هذا لم يعد متاحاً في هذا الزمن، وهذا ما جعلها تظل

عزباء، وهي على مشارف الثلاثين من عمرها. كلهم محترفون يجيدون انتقاء الكلمات وجمعها معاً؛ لتشكيل جمل تضرب مراكز حواسها الأنثوية، وتجعل القلب يرتجف من الوله، وتوصد العقل والعينان اللذان يحاولن تنبيهها، لكنها أبداً لا تكثرث، ولا تصدقهم إلا عندما تعلم النية الحقيقية للمحبين؛ لذلك تعلمت شيئاً مهماً من الزمن، أن من يقدم لها قلبه، يقدمه لها في المنزل، وأمام أسرتها وجيرانها. خطبة رسمية تكشف لها بين من يعبت ومن هو جاد. من يرفض فهو عابث. العجيب في الأمر أن كل من عرفتهم تعللوا بحجج مختلفة، مما يدل على حجم العابثين في هذا الوطن.

ترنو إلى الشابين وكل أملها أن يرحلا بسلام، ثم تنقل بصرها إلى الطريق؛ لتنبش عن سيارة أجرة تنتشلها من كل هذا الخوف والقلق والتوتر.

الشابين يلمحانها، ويبدأ أحدهم بالإشارة إلى الآخر، وهو يحادثه بكلمات وصل إلى آذنيها القليل منها، وبدأ عقلها يفندهم ويبعث الإدراك إليها؛ كي تنقل خطواتها مبتعدة عن المكان. لا تذكر الكلمات بشكل واع، لكنها تدرك أن عقلها دائماً على صواب.

كعب حذائها يضرب الإسفلت، ويتلاشى صوته داخل عويل الرياح، وقطرات المطر التي بدأت تنفجر على أرض الطريق كقنابل مائية.

أدركت وهي تشعر بنقرات المطر، أن الشابين عرجا خلفها. أصوات خطواتهما دلت على ذلك. حركت قدميها أسرع؛ كي تقطع مسافة أكبر؛ لكن (التاير) الضيق التي ترتديه، كان يجبرها على تحديد خطواتها، ولا يسمح لها بالمزيد، ويبدو أن الحذاء المرتفع تشارك هو الآخر باهتزازة في جعل خطواتها أقل سرعة، حتى لا تتعثر على الطريق المندى الزلق.

الشابين مازالا يلاحقنها بطريقة تدل على نيتهما المبيتة. لقد صار لديها يقين تام على أن الإمساك بها، هو جل غايتها؛ لذلك واصلت طريقها، وهي تشعر أن أنفاسها تكاد تتجمد من الرعب والبرد معاً.

هي تدرك أن هناك طريقان فقط هذه الليلة. أن تقرب أو تموت. لن تدع للخيار الثالث أي مجال. لن تفرط في شرفها أبداً من أجل شابين فاشلين مغيبين العقل، هي تدرك هذا الآن، نبرات صوتهما عندما جاءها كانت ثقيلة من أثر الإدمان. غسلها بالمشفى كمرضة جعلها على علم تام بما يفعله المخدر في مركزي الوعي والنطق. ربما لهذا أنبأها عقلها أن تقرب في الحال.

تنتفض باشمئزاز عندما يمسك أحدهما بذراعها. لقد تعودت دائماً على حدود قامت بنائها بينها وبين زملائها، وبين الأطباء كذلك. حدود تعلستها من البيئة المحافظة التي ترعرعت بها. لا أحد يلمسها مطلقاً ولو عن طريق الخطأ، ولا مصافحة كذلك.

لذلك جاءت ردة فعلها بطريقة أوتوماتيكية بحته، وساعدها على ذلك حالة الاشمئزاز والنفور من جراء ملامسة غريب لذراعها. صحيح أنها تتدثر بستره تتناسب مع تلك الأجواء الباردة؛ لكن القوة التي أمسكها بها جعلتها تستشعر أصابعه إلى حد كبير.

دوت الصفعة على خده الأملس الحليق، مع عبارة متجانسة خرجت من حلقها:

- كيف تسمح لنفسك بلامستي أيها الحقيير؟

يرتبك الشاب لحظات، وقد عجز عقله التائه وسط الضباب عن اتخاذ أي قرار، تستغل هي تلك اللحظات؛ لتواصل ابتعادها، وهي تشكر عقلها الذي ساندتها في تلك اللحظة العصبية.

الشاب يردد عبارات بذينة من خلفها متوعداً بالانتقام، ويبدأ في العدو ناحيتها.

يقطع الطريق عليها، وهو يشهر مديته بعد أن أخرج نصلها بواسطة أصبع الإبهام؛ بطريقة تدل على الحنكة والمهارة.

- سأشوه وجهك الجميل جراء تلك الصفعة.

مع كل الحياة البائسة التي عانتها، لم تواجه شيئاً كهذا؛ لذلك تراجعت بذعر طاغ، وبدأت نبضات قلبها تقرع بين جنبات قفصها الصدري بسرعة مكوكية. شعرت كذلك بساقيها تتخاذلان أسفلها، حتى كادت تجلس على قارعة الطريق.

زميله يمسك بذراعه، ويحثه على الذهاب وتركها لشأها. هنا تتضح لها بعض الحقائق. أحدهما يرى نفسه سيد الكون ويمتلك الشجاعة لفعل أي شيء، بينما الآخر جبان بطبعه ويخشى كل شيء. الأول بالتأكيد حاول أثبات قدرته على مغازلتها وربما اصطحابها معه إلى المنزل، بينما الثاني يحثه على أن لا داع لهذا، أو ستعرض للتوبيخ على يديها.

الأول الآن يشعر أن كرامته أهدرت أمام زميله، وعليه الانتقام؛ لذلك إذا أرادت الفوز في هذه المعركة لا تحتاج إلى مهاجمة الاثنين، يكفيها أحدهما وقد عرفته الآن.

بطرف حذائها ضربته بين ساقيه لتتعالى صرخاته إلى عنان السماء، بينما الآخر كما قدرت تماماً وقف يتأمل زميله عاجزاً عن التصرف.

ركضت كما لم تركض من قبل. طوحت حذاءيها بقدميها بعيداً وركضت حافية. يجب أن تخفي تماماً قبل أن يتحرك خلفها.

لملمس الإسفلت تحت قدميها كملمس مبرد حديدي. قطع صغيرة قاسية من الحجارة تتوارى داخله؛ لكن عليها التحامل بيسالة. تعبر الطريق إلى الجهة المقابلة. هناك بنايات عديدة تستطيع الاختباء داخلها، أو حتى طلب المساعدة. الشابان خلفها الآن. تستطيع سماع خطواتهما المختلطة بأصوات اللهاث. تعبر بين الفراغات الكامنة بين العمائر. فراغات أشبه بالمتاهة. لو قفرت إلى مدخل أحد البنايات سيشاهدكما بالتأكيد، وستكون كمن يسهل عليهما الأمر. لا. يجب أن تتخير اللحظة المناسبة.

الخطوات تدق خلفها يالحاح. تنظر وراءها بفضول لمعرفة مدى قدرتهما على رؤيتها. لقد اقتربا كثيراً بحق. تدور خلف بناية قريبة، وهي تأمل أن تكون هناك مداخل عديدة لاحتوائها. هذا سيشتهما كثيراً. تجد مدخل مناسب لكن عند اقتراحها تجده مسدوداً بجائط من القرميد.

تأمله مدهوشة لكن اقتراحهما جعلها تتحرك بسرعة. تفكر قليلاً أنهما لن يستطيعا معرفة أنها تختبئ داخل هذه البناية تحديداً. عقلهما لن يستوعبا الأمر؛ لذلك دارت دورة واسعة كي تبعدهما، وعادت مرة أخرى إلى تلك البناية، وبسرعة محبومة بدأت تتسلق أحد المواسير إلى أعلى، وهي تشعر ببعض الغبطة من سرعة تفكيرها، وكذلك لما تتخيله سيحدث لهذين الشقيان. سيعجزان حتماً عن إدراك أين ذهبت أو أين تلاشت؟

واصلت تسلق الماسورة الزلقة، وهي تنظر إلى الأعلى. المشهد كان مهيباً بحق وهي ترى نهاية البناية التي كلح لونها، ومن فوقها الأمطار تتساقط من قلب السحب الداكنة كآلاف من الخيوط الفضية المتقطعة. (التاير) الضيق جعل تسلقها في غاية الصعوبة؛ لذلك رفعته إلى خصرها كاشفة عن بنطال من الجيتر كلح لونه. واصلت الصعود بيسالة، وهي

تشعر بعضلات ذراعيها تكاد تتمزق، وبألم ينتشر في باطن كفيها؛ لكنها تماسكت بإرادة حديدية، ورغبة قوية في النجاة.

بدأت تقترب من نافذة صغيرة مهشمة النوافذ؛ فدفعتها بلهفة، ودست جسدها في فراغها. هنا سمعت صوت أحد الشابين يأتي من أسفلها. دفعت جسدها للداخل بلهفة؛ لتسقط فوق أرضية من السيراميك، وقد غطتها بقعة سميكة من الأتربة.

ألتهى السقطة؛ لكنها تحاملت وأسرعت بالوقوف مستندة على الحائط. مدت عنقها قليلا عبر النافذة التالفة التي بلى خشبها، ثم تراجعت في لمح البصر عندما وجدت الشابين يتسلقان ماسورة الصرف في سرعة. كيف لحاها؟ ماذا تفعل الآن؟ لقد صارت داخل فخ مطبق.

لم تملك شيئاً بطبيعة الحال غير أن تغادر إلى باقي البناية، ربما وجدت مكاناً مناسباً يخفيها عن أعينهما.. غادرت الحمام إلى هو مظلم كئيب الشكل، فارغ تماماً من أية قطعة أثاث، ثم تقدمت بخطوات عطشه للهرب من باب الشقة الذي كلح لونه وتساقط طلاءه، وما هي إلا لحظات وكانت واقفة في ظلمة أشد عند درجات السلم الداخلي للبناية. ظلام مهيب لا يبدده الضوء الشحيح القادم من فتحات صغيرة تعلو الدرجات. تذكرت أعواد الثقاب التي تشعل بها سجائرهما. أخرجتها وأشعلت واحداً لينير لها طريقها.

بدأت في ارتقاء الدرجات بسرعة مشبوبة بهستريا أنثوية. لقد رأت في الخارج أن البناية تتكون من ستة طوابق.. تستطيع ببعض الذكاء اختيار أنسبهم للاختباء.

داست بقدميها كتل الأتربة التي تعلو كل درجة؛ لتتناثر حولها مشكلة سحب غبارية ضئيلة الحجم، عطنة الرائحة.. فكرت برهة أليس هذا دليلاً على مكان تواجدها؟ ماذا تفعل لطمس تلك الآثار؟

دققت النظر.. الدرجات مظلمة حقاً؛ لكن الطرف الأيمن أكثر إظلاماً.. تستطيع أن تخطو عليها مع قليل من الحذر والخفة.. ربما كذلك لو استعملت أطراف أصابعها فقط أثناء الصعود، والتعكز على الحائط.

بدأت تنفذ فكرتها على الفور.. تمد طرف قدمها اليسنى وترتقي درجة، وبالسرى الدرجة التي تليها.. الصعود لصق الجدار حتى لا تفقد توازنها.. طابق وراء طابق.. الثواني تمر كالساعات، والرطوبة تزيد جسدها رجفة وقشعريرة.. كأنها في قلب مبرد لحفظ المأكولات.. هي تسكن بناية يقيناً؛ لذلك تساءلت متعجبة عن سر تلك البرودة الشديدة الشبيهة بمستودع من الجليد؟ البرودة تزداد كلما اقتربت من الطابق الرابع.. هل لقربه من السطح؟ هكذا فكرت.. لا.. السطح بعد طابقين آخرين.. هكذا أجابت.

بلغ فضولها أشده، وتناست للحظة المطاردة القائمة.. توقفت عند ذلك الطابق، وهي تقول لنفسها " ربما هذا أنسب مكان للاختباء "

لا تعلم هل الفضول هو محركها، أم اختيار العقل؟ لكن قرارها جاء في سرعة وتصميم، ولن تحيد عنه مهما حدث.. تقدمت قليلاً تقطع الممر الذي يفصل بين الشقق.. البرودة تزداد حتى أن الجدران بدأت تتلون بالأبيض الثلجي.. حبيبات صغيرة من الثلج انتشرت على الجدران بداية من منتصف الممر إلى نهايته..

تحسست ما تراه بأناملها وهي تردد " شيء عجيب حقاً! من أين تأتي هذه البرودة يا ترى؟ "

تأملت أحد الأبواب القريبة منها، وأكملت " ربما من هنا؟"

تناهى إلى سمعها صوت الخطوات التي ترتقي السلم.. أنها ذعر مفاجئ، ولامت نفسها " هل هذا وقت الفضول يا بلهاء؟" ثم دفعت الباب، وهي تتننى ألا يكون مغلقاً، ولحسن حظها تحققت أمنيته بأسرع ما يكون.

دلفت إلى الداخل، وقلبها يتخبط بين جنبات صدرها، ويعلو صوته كقرع الطبول.. ببطء شديد أغلقت الباب، ووضعت أذنها اليمنى تسترق السمع إلى الخارج؛ لتعلم إلى أين سيذهبان هذين الشقيين ؟

صوت خطواتهما يتوقف في ذات الطابق، وصوت همستهما يعلو في قلب السكون المحيط.. لقد جذبتهم البرودة كما جذبتها هي، ويبدو أنهما سيعرفان مخبئها لو حاولا البحث عن مصدر الثلج..

" أيتها الغيبة لماذا لم تفكري في هذا الاحتمال؟"

قالتها وهي تشعر بالسخط على فضولها الغير مبرر.

صوت الخطوات يقترب من مخبئها.. نظرت خلفها عليها تجدد أي مهرّب.. ربما الشرفة مثلاً، أو حتى خزانة ملابس.. لكن عينيها اتسعتا برعب شديد عندما رآته يقف بمنتصف الردهة، وقد غلفه الظلام وتلفح به، وتذكرت على الفور هذه البناية.. إنها هي ذاتها التي سمعت عنها الشائعات، وذاع صيتها بين العامة باسم "عمارة الأشباح"

لم تشعر في حياتها بكل هذا الرعب.. كان رعباً عارماً كالإعصار.. أطاح بخلاياها، وعصف بكيانها، وكاد يوقف قلبها عن أداء وظيفته.

تراجعت مترنحة إلى الخلف، وهي ترمق ذلك الشيء.. استندت إلى الباب، ومدت كفها لتلمس مقبضه، وهي تشعر أن ذلك الشبح سينقض عليها فجأة ككلب مسعور؛ ليسزقها أرباً.

هل ذلك هو سبب البرودة؟ لقد رأت في أحد الأفلام أن هناك فجوة يعبر منها الأشباح، ويطلقون عليها قلب المكان، وتتميز بالبرودة الشديدة.

همت بمغادرة المكان بغتة؛ لكنها تسمرت كشجرة عتيقة عندما تذكرت أن هناك من يطاردها في الخارج، ولم يكن أمامها إلا اختيارين.. أن تكشف مخبئها للشقيين، أو تظل هنا محتجزة مع شبح مخيف.. وكان الاختيار عسيراً بحق.

تحرك.. في حركته سرعة وضبابية.. في لحظة كان هناك ثم صار هنا.. كيان مجسد للرعب، أو رعباً صار مجسداً له هيئته وأبعاده.. تبدى لها شفيفاً دخانياً، وجملت ملامحه سمات وجوه الموتى المتآكلة.. كان قريباً جداً تلفحه أنفاسها، ويصم آذنيها زئيره المتحشرج، وتحقق فيها نظرات عينيه البيضاء التي تشع ضوءاً باهت عجيب..

اللحظات ثقيلة في تنقلها كالساعات، والهجوم بدأ قبل أن تفكر حتى فيما سيفعله.. لطمات وخربشات انمالت عليها، وسبح جسدها في فضاء الحجرة يضرب السقف، ويرتطم بالجدران، ثم أنقلب كل شيء أمام بصرها، الحجرة انعكست رأساً على عقب.. لا هي التي التصقت بسقف الحجرة متحدية كل النظريات الفيزيكية.. ولم تملك شيئاً إلا صرخات مدوية عبرت حلقتها، وطافت بجدران الحجرة؛ لتعبر إلى الخارج، وتنبه

الشابين لمخبتها؛ لينقسم الرعب إلى شقين هي محصورة بينهما؛ كعصفور صغير يهرب من الصياد ليسقط بين فكي غر هائج.

ارتطم الباب بالحائط اثر دخولهما المفاجئ.. واعتدلت الحجرة أمام بصرها عندما سقطت فجأة فوق رءوسهما.. تأوهت من شدة الألم الذي خفف جسديهما كثيراً من أثره.. وقفت بصعوبة شديدة محاولة الهرب من هذا الجحيم؛ لكن أحدهم أمسكها من ساقها اليمنى.. تركله بعصية في محاولة للخلاص، وتنجح فيما تصبو إليه.

تركض إلى الخارج بسرعة مكوكية؛ لكنها تترلق على الأرض المغطاة بطبقة رقيقة من الجليد.. تدور الدنيا حول رأسها.. الظلام يغلف عقلها، ولا يخترقه إلا صوت صرخات عاتية من فم أحد الشابين.. يقذف شيء من الداخل، ويسقط أمام عينيها مباشرة.. ترنو إليه برعب قاتل.. إنه أحد الشابين، وقد صار جسده كحبل مجدول، بينما عينية التي فقدتا بريق الحياة، تحدقان إليها، وقد ارتسم حولها تعبير بالغ لمعنى الفزع.

صرخت بكل طاقتها: " لا.. لن تكون هذه نهايتي أبداً"

اعتمدت على كفيها في النهوض، وبدأت في محاولة جديدة للفرار.. تسارعت خطواتها تدريجياً، وهي تعدو مبتعدة.. لا تعلم إلى أين المفر، والبنية مسدودة بالقرميد؟ لقد كانت فكرتها غبية للغاية.. ألم يجول بذهنها للحظة تلك الأحاديث والشائعات عن البنية.. هل السبب وراء عدم خروجها من المنزل إلا للعمل، أن تصير جاهلة بمعالم الإسكندرية؟ ألم تذكر قطاً أن بنية الأشباح تقع في هذه المنطقة تحديداً؟

هبطت إلى الطابق الثالث، وهي لا تدري بعد كيف تفر؟ أفضل طريقة هو التزول كما صعدت.. لكنها لم تصعد من خلال المواسير إلا لعلو طابق واحد.. يجب عليها الآن إلى الهبوط للطابق الأول مرة أخرى؛ حتى يكون هروبها أسهل.. لو فكرت في الهرب من الطابق الثالث ربما تترلق، وتهوي جثة هامدة مهشمة على الأرض بالأسفل..

توقفت بغتة عن الهبوط، وتساءلت بفرع: " من أين جاء الحائط الذي يسد الطريق؟! "

تراجع الفتى - الذي صار وحيداً - بذعر مهيب.. تدافع إلى عقله سيال من ذكريات هذه الليلة، عندما أخبره صديقه أنهما سيقضيان سهرة من سهرات ألف ليلة وليلة.. هو، ومخدرات، وفتيات.. موسيقى، وأطعمة، ورقص، وخمر.. في البداية كان يرفض مثل تلك الأشياء، ولم يكن انخراطه فيها بمحض إرادته؛ لكن فشله المتتالي الذي يقابله بعد تخرجه من الجامعة، جعله يبحث عما يبقي عقله بعيداً عن هذا العالم الخطأ.. فشل في شغل وظيفة، وفشل في الزواج.. حتى لو كان قد نجح في العمل، كان سيحتاج إلى مئة عام كي يوفي متطلبات الزواج؛ لذلك جاءت موافقته على مجالسة الفتيات، بعد أن كان لا يرضى إلا بالمخدر الذي ينهب به إلى فردوس خيالي ممتلئ بمروج خضراء، وورود زاهية الألوان.. شلالات من الفضة، وأراض من الذهب.. كان يجد هناك ما لم يجده على أرض الواقع؛ لكن هذا للأسف كان في البداية فقط.. عندما بدأ في الانخراط لم يعد للفردوس وجود.. صار جحيماً به صنوف عديدة من العذاب.. الرغبة الملحة إلى تذوق المخدر مع انعدامه، صارت كالرحايا تطحن جسده، وتمزق عقله..

العجيب أنه كان يظن أن المخدر سيكون ماثلاً أمامه كلما أحتاحه كما أفهمه صديقه؛ لكنه عرف بعد ذلك أنه ككل شيء في الحياة له ثمن، وله مجهود يجب أن يُبذل في سبيل الحصول عليه..

عندما ذهب اليوم إلى اللجنة المنشودة لم يجد مبتغاه.. ما وجدته هو حفنة من المدمنين شاحبي الوجوه، محطبي الأحلام والطموحات؛ لذلك كان الخروج من هذا المستنقع قراره، بعد أن وبخ صديقه لكذبه عليه.. وأثناء جداهما في الطريق، أشار له صديقه إلى تلك الفتاة التي تسير وحيدة، وأكد له بعد إصراره على الرفض أنها من فتيات الليل، ثم ذهب لإثبات ذلك أمام ناظره.. وبدأت المطاردة التي أرغم على الخوض فيها، حتى انتهت هنا داخل هذه البناية العجيبة، وأمام ذلك الشيء المخيف الذي لم يرى مثله إلا في أفلام الرعب.. لم يكن يصدق أن تلك الأفلام الخيالية ستتحول إلى واقع ملموس..

وقف في تلك اللحظة مجمداً كشعة مصبوبة داخل وعاء زجاجي.. بينما صديقه ملقى في قلب المر، وقد تحول جسده إلى شيء ما، لا يربطه بالبشر.. شيء أشبه بخرقة قماش مجذولة..

أقترب الشبح منه ببطء، ودار حوله كأنه يعاينه قبل الانقضاء.. حاول التحرك هرباً لكن جسده رفض تلبية إشارات عقله، ولم يمنحه إلا ارتجاف وراء ارتجاف.. الشعور الأبدي أمام الرعب..

شهق فجأة بألم، وهو يشعر بتلك القبضة الباردة تخترق ضلوعه، وتعتصر قلبه.. توالى شهقاته في سرعة، ثم أطلق صرخة حادة عالية..

انتهت ليلته نهاية لم يكن يتوقعها.. نهاية كانت في بدايتها حلم جميل، وجاءت نهايتها كابوس مجسم على أرض الواقع..

وانتهت حياته كذلك إلى الأبد.

ضربت الصرخة كيانها كصاعقة أصابت شجرة مبللة بالمطر، و
انتشرت القشعريرة على ظهرها كثعبان بارد يتلصص خطاه..

أقسى شعور يتملك المرء هو الشعور بالظلم.. ألم يكفها كل الظلم
الذي عانته منذ أن وعت الدنيا.. فقر يصاحبها كظلمها، وقسوة تضرب
كل خطوة تخطوها على سلم الحياة.. عاصفة هوجاء من اليأس والإحباط
ترج قارب وجودها.. لا حب.. لا أمل.. لا صدق.. موجة وراء موجة
ترعزع ثقتها في أن ثمة فرج قريب.. العمر يمضي وما زالت كما هي..
ذات المنزل، وذات الحياة، وذات العمل.. لم ترتقي خطوة واحدة إلى
أعلى.. الآن أيضاً يطاردها الظلم.. تأخر زميلتها، ومحاولة اختطافها، وذلك
الشبح..

تنبّهت فجأة إلى من يقف أعلى السلم.. لقد جاء إليها مرة أخرى
ليقتص منها.. صرخت برعب: " ماذا فعلت لكم؟"

لم يبال بصرختها، وواصل الهبوط.. هو نفسه لا يعلم من أين جاء؟،
ولماذا؟

كل ما يعرفه أن الخوف ينعشه، ويمدده بطاقة لا نهائية للتوحد.. تمنحه
شعوراً لا يوصف.. تمزيقه للبشر يفجر أمامه كل مخاوفهم.. تتطاير أمامه
كشلالات من مياه الحياة، وتغمره بغذاء شهى يمنحه إحساس غامر
بالانتعاش.. منذ متى لم يقابل البشر؟ منذ متى لم يواصل لعبته الأثيرة في
إفزازهم؟

لقد جاءوا إليه على طبق من ذهب.. بعد أن ظل حبيساً جائعاً لسنوات
كُثر، لا يجد لنفسه مخرج.. الآن أمامه الطبق الرئيسي على مائدة العشاء..
المرأة وما تحمله من كنوز المخاوف.. هو يدرك هذا يقيناً، ويستشعره..
رعب يمنحه القوة بعد الضعف الذي عاناه منذ أيام حبسه.. فزع يكفيه
للهرب من داخل حدود هذا المكان.. خوف ينعش حواسه، ويمنحه قدرات
فقدتها مع الزمن.. قدرات بعث الخوف إلى البشر، وإفراغهم.

تراجعت حتى التصقت بالجدار، وهي ترمق هبوطه.. عجز عقلها في
إيجاد حل مناسب للفرار.. منفذ السلم المؤدي إلى الأسفل تم سده بطريقه
خارقة.. ليس أمامها إلا اقتحام أحد الشقق، والهروب عن طريق مواسير
تصريف المياه..

ركضت في قلب الممر تتلمس الأبواب، حتى وجدت أحدهم مفتوح..
دفعته ودلفت إلى الداخل، وبحث بسرعة عن الحمام.. لكن مفاجأة قاسية
كانت تنتظرها.. لا مكان في الداخل إلا الصالة.. كل الحجرات الأخرى
تلاشت تماماً وكأنها لم تكن..

قدراته التي عادت معظمها كانت تشتمل على قدرة مهمة للغاية..
طمس عقول البشر وإيهامهم بما يريد.. هو يعلم أن كل شيء في مكانه؛
لكن قدرته جعلتها لا ترى إلا ما يريد.. كان يسد أي منفذ أمام عقلها،
حتى يسجنها في منطقة واحدة؛ كي لا تستطيع الفرار من قبضته..

تراجعت إلى الخلف بفزع، وهي تصيح: " ماذا تريد مني؟ "

جاوبها بزمجرة مخيفة؛ فلم يكن النطق يوماً من قدراته.. حتى لو استطاع
بماذا كان سيخبرها؟

هل يخبرها أن الفرع يقويه، وأن الرعب غذاءه؟!

انتشرت على الحوائط أشياء غريبة كأغصان اللبلاب؛ لكن الخضرة أو الأوراق لم تدخل في تكوينها، بل كانت مادتها من الدم والأنسجة البشرية..

صرخت الفتاة كما لم تصرخ من قبل، وتطاير من أديم جسدها رذاذ الخوف، وهبط كالأمطار على بدن الشبح، الذي رفع ذراعيه عالياً؛ ليقتص قدرًا وفيرًا من الطاقة الخفية، ثم بدأ هجومه كي يزيد من فزعها..

ضرب بها الحائط، وألقاها أرضاً، ثم جذبها من قدميها، وجرها خلفه..

حاولت التلصص، وهي تواصل الصراخ.. فكرت في حياتها السابقة، ووالدها التي تنتظرها الآن في قلق.. لم تجد وسيلة مناسبة للهروب؛ لكنها لن تستسلم لقبضة ذلك الشيء..

حاولت التثبيت بأرضية الصالة؛ لكن قبضتها لم تمسك إلا الأتربة التي تطايرت، واندفع جزء منها إلى صدرها.. سعلت بشدة، وهي تحاول الفرار باستماتة، وهنا وجدت جسدها يزحف على الجدار.. أنهاها فرع بلا حدود، وهي تفكر بنهايتها البشعة في قلب هذا المكان المخيف..

سقطت على الأرض بقوة، بعد أن تركها الشبح، وشعور عارم بالنشوة ينتابه.. هذه طاقة هائلة بحق تتصاعد أمامه وتتلوّى كالإعصار، لقد حانت الخطوة النهائية.. قتلها بأكثر طريقة إفزاعاً ورعباً في الحياة.

وقفت تترنح من شدة الألم والرعب.. عقلها يفكر بسرعة في البحث عن مخرج، وذلك الشيء يقف أمامها، ويتأملها كضبع شره..

تراجعت خطوة للخلف، ثم رمقت الشرفة الوحيدة في المكان، وبدأت تعدو تجاهها، ثم مدت يديها، وحركت قدميها لتساعد جسدها على القفز.. تحرك الزمن بطيئاً رتياً.. جسدها يسبح في الفضاء، وخيوط المطر تتساقط حولها كخيوط مائية متصلة.. كتل السحب ترمقها بشرود، والبرق يتلاعب على سطحها.. الأرض تقترب ببطء.. الحياة تمر بسرعة داخل عقلها منذ مولدها، وحتى هذه اللحظة، ثم يتسارع كل شيء فجأة، ويظلم عقلها، بعد أن ارتطم جسدها بالأرض.

كما أظلم عقلها عاد يضيء.. الألم يحتل جسدها، وينهشه بشدة.. نظرت إلى جسدها الغائب داخل سترة من (الجبس)، ثم نقلت بصرها إلى حدود المكان..

- حمد لله على سلامتك.

رمقت قائلتها لتجدها زميلتها "هناء".. تلك الفتاة التي كانت السبب في جعلها تواجه كل تلك الأهوال؛ بسبب تأخرها.. وأدركت كذلك أنها تقبع في ذات المشفى التي تعمل بها..

سألها زميلتها باهتمام:

- ما الذي حدث لك، وجعل جسدك يتحطم بهذه الطريقة؟

تأملتها بشرود، ثم أشاحت بوجهها إلى الجهة الأخرى، بينما الدموع كانت تنساب على خديها.

لا يعلم من هو أو من أين جاء؟

كل ما يعلمه أن عليه الانتظار في قلب ذلك المكان البارد.. ضحكات
مختلطة تضرب مسامعه.. لقد جاءوا إليه حاملين غذائه..
أربعة من البشر.. ولدان وبنتان.. يبدو أنهم ظنوا أن البناية مكان
مناسب لهم، وظنوا كذلك أنها خالية.. لا يدركون ما ينتظرهم في الداخل،
وأن ما بداخلهم يمثل كثر له..
كثر له مفتاح واحد فقط..
الفرع.

حشد الموتى

الطريق طويل، موحش، مهجور. لا ضوء. لا بشر. لا همس.

الأشجار القليلة المتناثرة مخوخة من الداخل، وقد تجردت من أوراقها، أمست كشواهد القبور تدل على أن لا حياة هاهنا. الأراضي الشاسعة منخفضة عن سطح مياه البحر؛ لذلك صارت مستنقعات خربة مليئة بالماء الآسن، وقد غطى سطحها غاز الميثان، وغمام من الذباب يثر وهو يحرك أجنحته السلوفانية الزرقاء.

المتزل ذاته مقبض مخيف. الظلام يحفه من كل حذب وصوب. من الخارج، ومن الداخل. تشققت حوائطه، وكلح لوفها، ونشعت عليه الرطوبة كحبيبات هشة من الملح، وقد تساقطت قشرته الخارجية؛ لتكشف عن الكتل القرميدية الحمراء بلون الدم.

اصطكت أسنانه بفعل البرودة الشديدة، وتصاعد من فمه البخار المتكاثف وهو يشهق ويزفر من جراء الجهد الذي بذله للوصول إلى هنا. طرق الباب وارتجف من الصوت الكثيب الذي تردد داخل جنبات المتزل الأجوف، واقشعر جسده بفعل الخطوات التي تدق الأرض ببطء ورتابة.

وصل إلى مسامعه صوت صلصلة، قبل أن ينفرج الباب بصريير مرعب؛ ليكشف عن جسد امرأة تتوارى بين الظلام المدلهم السابح بالداخل.

تنحنح وهو يللم أطراف سترته عليها تمنحه بعض الدفء:

- هل هذه أنتِ يا سارة؟

أتاه صوت مشوه أجوف من حلق المرأة:

- لا. أنا صديقتها.

شعر بالرعب من صوتها وطريقتها في الرد، ويبدو أنها شعرت بهذا؛
فقالت بلهجة حزينة:

- لقد أصابني المرض يا ولدي.

انتابته الدهشة من كلمة "ولدي". هذا لأن محبوبته سارة تقل عنه بثلاثة
أعوام، كم يبلغ سن صديقتها للدرجة التي تجعلها تخاطبه بهذا اللقب؟
- معذرة. تفضل أولاً بالدخول.

تقدم خلفها ببطء، وشعور عارم بالخوف يقبض قلبه. سؤال ملح
يضرب جوانب عقله دائماً " ما الذي جعل سارة تقطن هذه المنطقة
الموحشة، وهذا المنزل المخيف؟ لماذا اعتزلت العالم فجأة بهذه الطريقة؟ "

أشعلت المرأة عود من الثقاب، وأدنت لهبه المتراقص إلى شجرة كبيرة
الحجم تستقر فوق رف خشبي لصق الحائط. زاد تعجبه وهو يتساءل في
أعماقه " لماذا لم تشعل الشمعة قبل أن تفتح له الباب؟ كيف رأت طريقها
في قلب هذا السواد المحيط؟ "

تحركت المرأة إلى الأمام؛ ليتبدى له على ضوء الشمعة الشاحب هو
صغير نسبياً، قطعتة هي بخطوات بطيئة قبل أن تنحرف إلى قاعة كبيرة
مخصصة للجلوس.

أشارت له بالدخول:

- تفضل يا ولدي.

دلف بخطوات بطيئة إلى القاعة، وهو يتفحص وجهها بفضول شديد،
لكن الظلال كانت تواريه، وتخفي معالمه.

- تفضل بالجلوس هنا.

بسطت كفها، وهي تشير إلى أحد المقاعد الموضوعة حول مائدة مستديرة.

جذب المقعد، وجلس فوقه، وهو يرمقها بنظرة يحاول بها استكشاف ملامحها:

- هل سارة هنا؟

جلست قبالة على الطرف الآخر، وهي تضع الشعة على سطح المائدة بطريقة يكاد يقسم أنها محاولة أخرى لإخفاء وجهها.

- إنها نائمة الآن. هل أنت "مدحت" خطيها؟

أجابها بلهجة أسف:

- نعم هذا صحيح. لولا حادث وفاة والدتها المؤلم؛ لصرنا أزواجاً الآن. كيف حالها؟ هل أمست أفضل؟

لمح شبح ابتسامة لكنه أيقن أن هذه مجرد هلوسة خادعة؛ فهو لا يرى وجهها أصلاً.

تملكه شعور مقبض، وبدأ ينتابه التوتر بفعل الظلام الذي يحيطه. أحس كأن الظلام يخنقه، ويتزلق إلى جوفه:

- هل من الممكن أن توقظيها من أجلي؟

لمح مرة أخرى شبح تلك الابتسامة، وهي تقول:

- دعها تستريح قليلاً.

- هل تعرفين سبب عزلتها في هذا المكان الكئيب؟

- لا.

- كيف لا تعلمين وأنت هنا معها؟

صمت قليلاً وهو يفكر من هذه المرأة حقاً؟ هناك شعور كرهه يتسلطه ناحيتها. سألها ببطء:

- لماذا لم تعرفيني بنفسك؟

أجابت:

- قلت لك سابقاً: أنا صديقتها.

لا يعلم حقاً السبب في شعوره العارم بالقلق والخوف؛ لذلك سألها بجدة:

- صديقتها من؟ أنا أعرف كل صديقاتها، ولم أراك من قبل.

لمح شبح ابتسامتها للمرة الثالثة، وهي تقول:

- وكيف تعلم هذا وأنت لم ترى وجهي بعد؟

هب واقفاً وقد فقد أعصابه:

- أين سارة؟ ومن أنت أيتها المرأة؟ هل قتلتها أم ماذا؟

ثم أختطف الشععة، وغادر القاعة، وهو يهتف:

- سارة. أين أنت؟

أخذ يفتش الحجرات بقلب منقبض، وفرائص مرتجفة. لن يتحمل أن يحدث شيء لمحبوته. لن يتحمل هذا أبداً. كم يود أن يمزق تلك المرأة المريية؛ لكنه لا يعلم حقيقة ما حدث بالضبط؟ ربما هي امرأة مريضة مجنونة، وخطيئته على خير ما يرام.

- سارة هل أنتِ هنا؟

أكثر ما جعله يشعر ببعض الطمأنينة أن المرأة لم تغادر خلفه، ولم تمنعه من البحث. هذا يدل على أن لا شيء سيء قد حدث. ربما لو أصابت سارة بسوء كانت ستمنعه حتماً من الدخول.

عاد مرة أخرى إلى القاعة:

- إنها ليست هنا. أين هي؟

بدأت المرأة تنتحب بطريقة مخيفة. كانت تبكي وكأنها تضحك، أو تضحك كأنها تبكي. لقد اختلطت الأصوات حتى صار التمييز ضرباً من المستحيل.

أدنى الشمعة منها، وشعور عارم بالقهر ينتابه. لن يتحمل أن يفقد حبيبته. لن يتحمل هذا مهما كانت الرجولة داخله. هو طفل ضائع بدونها:

- أرجوكِ أحييني.

هنا تراجع إلى الخلف برعب حقيقي. حتى أنه دون أن يدرك أرتطم بالمائدة، وهوى معها أرضاً؛ ليصاب بنوبة تالية من الهلع الرهيب، بينما انزلقت الشمعة أرضاً لتشعل النيران في المكان.

لقد رأى وجهها على ضوء الشمعة المتراقص، ورأى تلك الأجزاء الآدمية الممزقة المخبأة أسفل المائدة.

هذا جنون. جنون مطبق بالتأكيد. من المستحيل أن يرى هذه المرأة أبداً. أي جحيم هذا؟ هذا خرق لناмос الكون. هذه المرأة ماتت أمام عينيه، حمل جثتها وساعد في دفنها.

لقد كانت المرأة والدة محبوبته "سارة".

تراقصت ألسنة اللهب وهي تلتهم أطراف مفرش المائدة، وتنتقل ببطء لتشعل أقمشة الستائر والمقاعد، بينما ظل هو ساكناً وقد جمده الرعب. لقد جلس وتحدث مع جثة ذات وجه مغبر شاحب، وعينان معتمتان فقدتا بريق الحياة. جثة تأكل لحم البشر. أي هول وأي جنون هذا؟

تقدمت المرأة نحوه، وقد تقلص وجهها ببشاعة، وصوت أجوف مشوه يطلق من حلقها غرغرة شيطانية. أبتعد عن طريقها ونهض مترنحاً كالسكران. لقد كانت المفاجأة بالغة القوة بحق، حتى أنها أفقدته اتزانها، وجعلت أعصابه واهنة مفككة... عجز عقله عن اتخاذ قرار مناسب، وظل حائراً داخل أضلاع مثلث التساؤل. هل يهرب، أم يبحث عن خطيئته؟ أم يدافع عن كينونته؟

هذه الشيطانة لن تضر له غير الشر الخالص. ربما ستحيله جثة متحللة مثلها، أو ستلتهمه حياً.

هجمت عليه المرأة، وهي تحاول غرس أسنانها في عنقه، بينما حاول هو منعها، وإبعاد رأسها المفزع بعيداً عن جسده، وتلفت حوله في ذات الوقت بحثاً عن سلاح يسانده في مجاہتها. ببطء رفع قدمه ودفعها في بطنها ليعدها عنه، وبسرعة محمومة أخذ يبحث في أرجاء الحجرة عن أي قطعة معدنية أو حتى خشبية، وعندما لم يجد حاول الهرب إلى خارج المنزل؛ لكنها جذبتة من ذراعه وضربت به الحائط. سقط على الأرض متألماً؛ لكنه حاول النهوض بيسالة.

لطمته المرأة لطمه ساحقة ألقت به في قلب النيران؛ فأطلق صرخات هائلة متتالية وهو يتلوى من الألم الهائل، عندما أحترق نصف وجهه بالكامل، وفقدت عينه اليمنى حاسة البصر إلى الأبد بعد تفحمها.

- عيني أيتها اللعينة.

صاح بها وهو يتحسس الأرض بحثاً عما يخفف به الآلام الرهيبة، لكن كفيه لم تتحسس غير النيران؛ لتكرر صرخاته الهائلة، وتتردد بين جنبات البيت.

- سأقتلك أيتها الشيطانة. هل تسعيني؟ سأقتلك.

التقط القائم الخشبي للمائدة المخطئة، وطوحه اتجاهها ليرتطم بساقها بقوة، ثم قفز يضربها بكتفه، ويلقي بها في قلب ألسنة النيران. تلوت المرأة ومن حلقها تعالت صرخات مبهمة بلغة مجهولة، ثم نهضت والنيران تلتهم جسدها:

- أنا لن أموت أيها الأحمق. بل أنتم من ستموتون.

ظلت تكررهما وهو يعدو مبتعداً إلى الخارج؛ كي يهرب من هذا الجنون، والنيران المتأججة كالجحيم.

- أنتم من ستموتون. أنتم من ستموتون.

واصل العدو حتى أشتم رائحة البرودة بالخارج، ثم بدأ يبحث بعينه السليمة عن أي بقعة ماء، وما أن لمح أحدها حتى قفز بلهفة محمومة؛ كي ينهب بالآلام الرهيبة التي تعج بها حروق جسده.

كان الماء آسناً قدراً عطن الرائحة، لكنه لم يكن يهتم إلا بإطفاء تلك الحروق التي تأكل جسده.

رمق بعينه اليسرى المتزل الذي اشتعل بالكامل، وعقله يكاد يحترق في سبيل أي تفسير لما حدث هناك.

أسابيع عديدة مرت حتى شفيت حروقه، لكنه خرج منها بنصف وجه مشوه أخفاه وراء الضمادات. أسابيع عديدة كان يتلوى من الآلام والنهول الشديد الذي أصابه لما حدث هناك. يجب عليه الآن أن يبحث كي يعرف يقيناً حقيقة ما حدث. يجب عليه أيضاً البحث عن حبيبته وخطيبته "سارة" هذا لو ما زالت على قيد الحياة.

أحمق هو عندما سافر بعد دفن حماته. أحمق لأنه ترك "سارة" في قلب معاناتها وأزمتها النفسية. كان قد قرر إنهاء عمله في "دبي" والعودة في غضون عدة أيام فقط، لكنه تأخر لشهر كامل بسبب الإجراءات المعقدة هناك. شهر كامل لم يصله منها غير ثلاثة خطابات، أخرهم وصل إليه قبل عودته بأسبوع كامل.

لماذا لا يبدأ بهذا؟

سيتفحص الخطابات ويعاود قراءتها كلمة بعد كلمة. ربما وجد ما ينير له الطريق.

بالتأكيد سيجد. هو يشعر بهذا.

تفحص الخطابات مرات عديدة. لم يجد بها شيئاً ذي أهمية. مجرد كلمات تعبر عن حالة "سارة" النفسية، والإلحاح عليه كي يعود بسرعة، وإبلاغه أنها ستمكث بمترل والدتها المقام بالقرب من منطقة "العجسي"؛ كي تنال بعض الهدوء النفسي، وناشدته عند عودته أن يأت إليها. لكن جملة لفتت انتباهه، واقشعر لها جسده. كانت الجملة تقول (كم أتمنى لو أنها ما زالت حية ترزق، كم أتمنى لو عادت إلي مجدداً)

هناك بدأ بصيص من الضوء ينير له عتمة حيرته.

المكان الموحش المهجور.

الحالة النفسية.

جثة والدتها.

يا للهول. لقد ذهبت "سارة" إلى هذا المكان خصيصاً كي تكون بعيدة عن الأعين، وعن أي تساؤلات.

بالطبع كان يجب عليها ذلك. بماذا كانت ستجيب الناس، عندما يشاهدون جثة والدتها التي عادت للحياة؟

لكن كيف؟ كيف فعلتها؟ وأين هي الآن؟

أجهشت صديقتها "ميّار" بالبكاء الحار، وهي تجيب:

- لقد أصابتها صدمة نفسية عنيفة. كانت شديدة التعلق بوالدتها بدرجة كبيرة. لكن أكثر ما أخافني أنها كانت تتعامل بهدوء شديد، وتخبرني دائماً أن والدتها لم تمت، وستعود مجدداً.

واصلت البكاء وهي تقول:

- كم كنت أحبها، وأتمنى لو لم تذهب. لو يعود الزمن مجدداً لمنعتها عن فعل هذا. لقد اختفت أيام عديدة، ثم عادت فجأة وكأن المرض قد أصابها، ودلفت إلى شقتها. في الصباح ذهبت كي أطمئن عليها، لكنها لم تجيب. كانت قد ذهبت إلى الأبد. لم أكن أعلم أنها ستقدم على الانتحار. لم أتصور هذا أبداً.

ترقرقت عينيه بالدموع، وهو يستقبل نبأ انتحار محبوبته "سارة". لقد ذهبت بغير رجعة. ذهبت بعد أن أصابها الجنون بالتأكيد. أي عاقل يتحمل

هذا؟ أي عاقل يعيد جثة للحياة ويحيا معها عدة أيام؟ بالتأكيد فقدت عقلها وهي ترى جثة أمها تلتهم البشر. من يعلم؟ ربما أجبرتها على اصطیاد البشر كي تجد ما تتقوت به.

أي هول حدث وأي جحيم هذا؟

درس المفتاح الذي أخذه من صديقتها في ثقب الباب، وأداره لليسين وهو يدفع الباب إلى الأمام.

كل شيء في أرجاء المكان يذكره بها. رائحتها. ملابسها المتناثرة. القدح الذي به آثار شاي جاف، والذي حمل على طرفه بصمة من طلاء شفتيها. مجلات الموضة الموضوعة على سطح المائدة. الطرحة ذات اللون الوردي الملقاة فوق المقعد. صورتها وهي تبسم بوجهها الرقيق الملائكي. أنتابه حنين جارف، وشوق عميق إليها. لم يستطع تمالك زمام نفسه؛ فبدأ يجهد ببيكاء محموم.. دلف إلى حجرة نومها بخطوات منكسرة، ورقد على فراشها عله يجد بعضاً من آثار دفء جسدها، أو حتى طيفها، وما أن شاهد دميته القطنية حتى ضمهها إلى صدره بقوة، وواصل البكاء بنحيب يدعو للشفقة.

لمح بطرف عينه الوحيدة صورة داخل إطار مذهب.

هو بقامته النحيلة المتوسطة الطول ووجهه المليح الخمرى، وهي بابتسامتها الدائمة ووجهها الأبيض الجميل.

(سارة ومدحت للأبد)

هكذا كتب فوق الصورة باللون الوردي الحبيب إلى قلب خطيبته.

نقل بصره إلى تلك الأوراق الصفراء المتآكلة. تفحصها مدققاً بفضول.
تلك الرسومات الشيطانية المختلطة بالتعاويذ أفهمته الحقيقة.

ليلة سوداء قضاها وهو يفكر بعدما عرف. ليلة مرعبة جعلت النوم
يجافيه.

تأمل مرة أخرى ذلك الاسم الطويل المعقد "طحيتغيلال". هذا هو
زعيمهم القادر على إيقاظ الموتى، قائد شيطاني لكيانات قديمة بائدة.

لقد أدرك أن المسألة تختلف عما ظنه. الموتى لا ينهضون بالمعنى الحرفي
للكلمة؛ بل هناك ما يحتل أجسادهم ويحركها. شيء آت من الجهول، من
الماضي السحيق. شيء لا يدرك كنهه، ولا يعرف له وصفاً.
"كيان قديم" هذا هو الاسم الذي يستطيع أن يستوعبه.

لكن ليس هذا فقط ما كان يؤرقه. كان هناك سؤال حائر يدور بين
جنات عقله. سؤال يختص بحبيته.

" ترى هل يستطيع أن يعيدها للحياة مجدداً؟"

- إنني أدعوك يا "طحيتغيلال".

دوى هزيم الرعد في السماء مختلطاً بكلماته.

- إنني أدعوك يا "طحيتغيلال".

ارتجت أرض المقبرة بقوة، وبدأت تتشقق بفعل قوة مجهولة.

- إنني أدعوك يا "طحيتغيلال".

اندفعت أبخرة كثيفة سوداء من قلب الشقوق. ومن قلب تلك الأبخرة
شاهد شيئاً ما يتكون. شيء له وجه مريع بحق.

أرتجف جسده مما يشاهده، وشعر أن جسده يتخاذل، لكنه وبإصرار
عجيب بدأ يتلو التعويذة.

كلمات مخيفة شيطانية تصاعدت من حلقه، وتناغمت مع أجواء المقبرة
المرعبة.

لقد كانت ليلة الرعب حقاً.

لكن لم يلمح، ولم يدرك.

لم يدرك خطأه المميت فهو لم يوقظ محبوبته فقط، بل أيقظ كل من
بالمقبرة. كان عليه أن يدرك أن هناك طقوس خاصة، لكنه كان أهق
متعجلاً.

لم يلمح حشد الموتى كذلك؛ لأن خروجهم كان من جهة عينه المحترقة.

أدرك هذا عندما لمح أجسادهم المتآكلة، ووجوههم النخرة.

عندما تقدموا نحوه، والتفوا حوله.

عندما أخذوا في تمزيقه وأكله.

أدرك هذا من الآلام الرهيبة جراء اختراق أصابعهم لبطنه، وتمزيق
أمعائه. هنا أطلق صرخة عذاب هائلة، ثم هوى قطعة مهلهلة من اللحم
تطمسها الدماء.

انحنوا تجاهه يلتهمون ما بقي منه، وما أن انتهوا حتى وقفوا يتشمسون
الهواء حولهم، ثم بدؤوا يتحركون إلى الخارج.

خارج المقبرة.

أحتاج إلى رداء آخر

وقفت ترنو إلى الأفق المربد المتواري خلف غَبَشُ رصاصي صنعه البخار
المتكاثف، وقد حشت جسدها في الكثير من دثار. البحر غائم في سواد
أعظم. الموج يرتطم بكتل الصخور ويتناثر على الشاطئ الموحش، ويكاد
يمس أخمص قدميها.

اليوم السابع الذي كاد أن يعبرها إلى يوم آخر. ذات الوقفة وذات
الصقيع الذي يمنحها اصطكاك، وضباب أنفاس مرتعشة. من فوق كتفها
الأيسر ترمق الكوخ الخشبي المهتر، الذي كان مليئاً بالدفء والأمل،
والضحكات التي تعانق الآفاق. أمسى الآن موحشاً مهجوراً إلا من صغير
الرياح المسنومة بالبرد، وهي ترجفه وتهب من خلال فراغاته.

- عد إليّ أرجوك.

تقذف بها من حلقها، وتعلو يمينها ليعلو معها المصباح الشحيح
الضوء. لكنها ككل يوم لا تجد أي أثر له منذ أن غادرها على متن قاربه
الخشبي.

تهوي فوق الرمال على ركبتها وسيل من الذكريات ينضجُ به عقلها.

الحب المحموم الذي يملأ الفؤاد حتى يفيض، وينتشر داخل فراغات
الروح ليغذيها، ثم يغلف الجسد برداء من السعادة السرمدية. وأسرتها التي
أرادت تمزيق ذلك الرداء بأظافر النَّزَق الاجتماعي. لكنها أبت أن يزهقوا
روحها، أو أن يعقلوها خلف قضبان أنانيتهم المفرطة؛ لذلك كان هروبها

من قصر الزيف حثياً. هربت لتلوذ بين جوانح محبوبها. كان هذا يكفيها
لتحيا في هناء، وبال رائق أبد الدهر.

تهتف بلوعة:

- هل هذه كنوز البحر التي تقاتل بحثاً عنها؟ أن تتركني وتضيع في
قلب الأمواج. لعنة الله على كل ثروات العالم. لم أكن أبغي سواك، وسوى
هذا الكوخ الذي كنت تملأه بأنفاسك الدافئة.

يجيها البرق بلمعان أزرق ينتشر بعشوائية فوق تعاريج الغيوم الداكنة،
ويعزق هزيم الرعد كلماتها، ويعثرها حروفاً مبهمه ضائعة المعنى والمراد.

تتحسس الرمال المنداة التي كانت تجلس فوقها ملاصقة لزوجها، بينما
هو يحتويها بذراعه، ويتأملان معاً الشفق الذي يعكس داخله شتاتاً من ألَقِ
الألوان.

يبدأ المطر في التساقط لينقر رأسها، ويختلط بدموعها. تنهض كي تلوذ
منه، وبأمل زائف تعلو بالمصباح مرة أخرى، وترنو إلى البحر الهادر.

رجفة ترج كيانها رجاً وهي تلمح تلك النقطة السوداء. البحر شديد
الظلام، لكن تلك النقطة واضحة المعالم. إنه قارب زوجها.

تتقافز وقد ذهبت المفاجأة بعقلها، حتى كادت أن تلقي بنفسها في قلب
الأمواج. القارب الخشبي يتعاضم، وتتضح معالمه أكثر، والمفاجأة ترجف
كيانها أكثر وأكثر. لا تصدق ما تراه حتى ترتفع مقدمة القارب فوق رمال
الشاطئ. تعدو في اتجاهه، وتقفز داخله بسرعة لا تصدق. تلقي بنفسها
على صدر زوجها وتنتحب قائلة:

- أين كنت يا زوجي العزيز؟ لقد فقدت أدنى أمل لعودتك لي مرة
أخرى.

تشعر به وهو يصطك من الصقيع، يتشبث بها وهو يقول:

- البرد يقتلني.. أحتاج إلى رداء.

تترع عن نفسها رداء تلتحف به، وتدثره هامسة:

- قم معي لنذهب إلى كوخنا.

يهتف بلهجة عجيبة:

- ضسني.

شيء في لكنته أخافها بشدة. لقد كانت دائماً تعشق صوته الهادئ النحيل. لكن صوته هذه المرة بدا لها مشروخاً مقبضاً.

رفعت وجهه إليها تتأمله، لكنها تراجعت مذعورة إلى الخلف، لتسقط من فوق القارب فوق الرمال.

- أنت لست زوجي.

خرجت الكلمات من حلقها مهتزة، وهي تتراجع زاحفة على مرفقيها وظهرها، بينما هو يقفز من فوق القارب، ويتقدم نحوها ببطء أثار في نفسها رعباً بلا حدود.

يركع على ركبتيه، ويضرب الرمال بقبضتيه، ثم يرفع عَقِيرَتَه لأعلى، بينما من حلقه يتعالى ذلك العواء الشيطاني؛ ليردد في الفضاء البهيم.

تأمله بذهول عارم، وتنهض مترنحة من الهلع الشديد؛ لتلوذ بالكوخ الخشبي. تتوارى داخله، وتغلق الباب خلفها بإحكام.

يردد ذلك العواء في الخارج، ويختلط بصوت دقات المطر، التي تنقر الكوخ، وتتقاطر من خلال فجوات ألواح الخشبية.

يضرب الباب ويرجه حتى يكاد يخلعه من إطاره، ويهتف بصوت ناحل مشروخ:

- الصقيع يكاد يزهق روحي.

تقع في ركن الكوخ، وتضم قبضتيها معاً وتقرهما من صدرها. تهتز إلى الأمام وإلى الخلف، وهي تصيح:

- من أنت؟

يهوي الباب مرتطماً بالأرض في دوي مزعج، ويتقدم هو لتلمح وجهه على ضوء المصباح المتدلي من السقف. كان زوجها حقاً، لكن زرقه مخيفة تكسو جلده، بينما تلاشى بريق عينيه خلف بياض معتم. يلتقط كفها لينهضها من جلستها ويحتضنها. حاولت التنصل من احتواءه لها، لكنها لم تملك إلا الارتجاف المتواصل المحموم، بينما كان بدنه المثلج يضرب لحمها وعظامها بخناجر من صقيع.

تهتف منتحبة:

- ماذا حدث لك؟

يحييها بصوته الذي صار يقشعر منه بدنها:

- أيام لا أذكر عددها ضائع في قلب البحر. البرد كان يجلدني بقسوة حتى تمنيت الموت. ثم جاء ذلك الصوت الشيطاني ليرشدني إلى الطريق.

سألته وهي تشعر بالبرد يغزو جسدها:

- أي صوت؟

أحاط وجهها بكفه، وهو يجيب:

- لا أتذكر.

تأملت بعينين مذعورتين لحم وجهه وهو يتساقط، واردة التملص منه، لكنه تشبث بها، وهو يقول:

- البرد يقتلني.. أحتاج إلى رداء يدفع جسدي.

زادت في محاولتها للتملص، وقد أصابها ما يحدث لوجهه بحالة من المستريا. لكن حركاتها سكنت فجأة، بينما سقط هو مرتطمًا بالأرض.

تحركت ببطء إلى المرأة القريبة، تتأمل وجهها التي انتشرت عليه شعيرات زرقاء طفيفة.

- تبا.. أحتاج إلى رداء آخر.

تصاعدت من حلقها بصوت ناحل مشروخ. بينما الرياح ما زالت تعصف بالخارج.

القرية الملعونة

دائماً ما أصل إلى قريتي ليلاً، ليس لبعد المسافة بينها وبين القاهرة؛ لكن لعشقي الهدوء الذي يميز الليل، وبعيداً عن صخب النهار الذي يتعب أعصابي، خاصة وأنني قد بلغت سن الخمسين. تراجلت بعيداً عن القطار الباعث على الدفء بحرارته المميزة، وتلك الأبخرة التي تتصاعد من أعلاه؛ لترعشني نسمات الليل الباردة. تأملت السكون من حولي، الذي لوثة زعيق القطار وهو ينذر الغافلين بالرحيل، وأصوات أقدام الركاب الذين يصعدون إليه حاملين متاعهم، وقلة قليلة يغادرون مبتعدين كل في طريقه.

مازالت القرية كما هي، على الرغم من مغادرتي لها منذ أكثر من عشرين عاماً، أو ربما عملي الذي شغلني كثيراً، وأبعدني عنها جعلني أنسى ملامحها. الحقيقة أنني لا أتذكر الكثير غير المنازل الطينية، والمساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية، والسوق الذي يحفل بالقليل من متطلبات الحياة كالملابس وأوعية المأكولات؛ فالجميع هنا لا يحتاجون لشراء الأطعمة؛ فهم يعرفون كيف يأتون به من الطيور والبهائم التي يملكونها، والخضر والفاكهة مما يزرعون، فقط القمح كانوا يحتاجون إلى طحنه، عند طاحونة "عم غريب"، كي يصنعوا منه الخبز والفطير داخل أفرانهم المتزلية.

غادرت المحطة في طريقني إلى منزل والدي، وأنا أشعر بالحنين لرؤيتها، وتأنيب الضمير لغيابي كل تلك الفترة عنها. كنت أعرف أنها ما زالت حية. صحيح أنني لم أزر القرية مطلقاً؛ لكنني كنت أطمئن وأعرف الأخبار من شقيقي الأصغر "حسن"، الذي كان يزروني كلما ذهب للقاهرة كي

يقضي مصلحة ما، ودائماً كان يأتي محملاً بجخرات الأطعمة الريفية الشهية،
التي لا يضاهيها شيء في لذتها.

رائحة الطمي المبلل بالندى، المختلطة برائحة المزروعات، تمنحني
إحساس جميل بالطمأنينة، وتمنح أعصابي السكينة. حفيف أعواد القمح
الذهبية بفعل نسيمات الرياح، يداعب أذنيّ، ومن داخلها يتعالى نقيق
الضفادع، وصفير الحشرات الليلية. الساعة تقترب من الثالثة والنصف
بعد منتصف الليل، والعتمة في طريقها للتبدد بفعل اقتراب الفجر، المنازل
الطينية السامقة تلوح من مسافة قريبة، وشبورة باهتة تغلف الأرض، مع
رائحة خفيفة بدت لي كرائحة حرق قش الأرز.

أخيراً المتزل الحبيب يقترب، ألمح ما بدا لي كشقيقي يجلس على عتبته؛
لكن عند اقترابي أكثر عرفت أنه ليس هو. لقد كان شخص آخر له هيئة
كهيدة الشحاذين أو مجذوبي القرى، ملابسة أسمال بالية تكشف عن جسد
مشوه كأنه قد تعرض للاحتراق، حتى أنني أكاد أرى الأنسجة، والأعصاب
ظاهرة على أحد أرجله البارزة من خلف الجلباب المنزق. نظر لي نظرة
جهدت الدم في عروقي. تذكرت في تلك اللحظة كل الحكايات المخيفة عن
الجن والنداهة والمارد، التي كنا نسعها في طفولتنا. أنا لا أو من بالخرافات
والأساطير الريفية بحكم عقليتي المفتوحة؛ لكن هذا الشيء بدا من عالمهم،
خاصة بعد أن تلاشى فجأة أمام عينيّ الذاهلة الغير مصدقة. ما زاد من
رعبني في تلك اللحظة، سماعي لنهيق همار خائف، مع رفسات عالية تركل
باب خشبي، وكأن هناك من يسلخه حياً.

أنفرج باب المتزل كاشفاً عن وجه أخي، وقد حمل في يده مصباح الجاز؛
ليستكشف على ضوءه سر تلك الضجة.

صاح بصوته الخشن:

- من هناك؟

أجبت بصوت مرتجف، وأنا أتقدم نحوه:

- هذا أنا يا حسن. شقيقك حسين.

تقدم نحوي مسرعاً، واحتضني بشوق كبير قائلاً:

- كم أوحشتني يا أخي. الدار زادت نوراً بقدومك.

تعالى صوت أمي من الداخل متسائلة عما يجري في الخارج. أجابها أخي بسعادة:

- هذا أخي حسين أتى لزيارتنا أخيراً.

صرخت أمي من الفرح:

- حسين. أصدقاً ما تقول؟

نظر لي قائلاً:

- أدخل أيها الحبيب، وسأذهب لأرى ما بال ذلك الحمار الأبله.

اندفعت إلى داخل الدار، وارتميت في أحضان والدتي قائلاً:

- كم أوحشتني يا أمي. كيف حالك؟

أجابت من بين دموع الفرح:

- بخير يا ولدي.

ثم قالت بلهجة معاتبة:

- كل هذه الغيبة عني يا ولدي، ولم تفكر في زيارتي مرة واحدة.

أشغلك العمل كل هذا الوقت؟

- لا شيء في الدنيا يشغلني عنك. أنتِ تعلمين أنني سافرت عدة سنوات إلى الخارج للعمل.
- نظرت لي نظرة لم أفهم مغزاها:
- وكيف حال...؟
- بدا وكأنها تبحث عن كلمات، ثم قالت:
- كيف حال صحتك؟
- بخير يا أمي. السفر والغربة أرهقوني.
- صمت قليلاً، ثم أكملت:
- لكني لم أجن من غربي إلى الوحدة. لا زوجة ولا ونيس.
- شهقت أمي غير مصدقة:
- أبعد هذا السن لم تتزوج بعد؟
- ضحكت على الرغم مني، وكدت أخبرها عن مقتي الشديد للفتيات؛ لكنني عدلت عن ذلك قائلاً:
- وهل سأتزوج دون أن أخبرك؟
- قلت لنفسني ربما كنت قد تزوجت، ولم تجد الوقت لتخبرنا.
- لا لم أفعل بعد.
- جذبتني للدخل، وهي تقول:
- هيا كي تتعشى معنا مثل زمان، ومن الغد سأبحث لك عن عروس فاتنة.

جلسنا على العشاء نتحاكى ونتضحك. لكني كنت شارداً الذهناً قليلاً؛ بسبب ما رأيته في الخارج. سألت أخي بطريقة غير مباشرة:

- هل هدا الحمار؟

أجابني وهو يزدر الطعام:

- هدا بعد معاناة. يبدو أن شيئاً ما أصابه بالهياج.

- وهل عرفت هذا الشيء؟

- لا. لكن في الغالب حيوان ما. ربما كان فأراً.

فكرت قليلاً في أن أخبره بما رأيته، ربما ساعدني في الفهم؛ لكنني وجدت أن الوقت غير مناسب لمثل هذا الحديث المخيف، الذي أزعجني وأرهق أعصابي. تعالى صياح الديك من أعلى سطح الدار، وسرعان ما أعقبه آذان الفجر من مسجد القرية القريب. ربما أخبره بعد صلاة الفجر؛ فهي كفيلة مع القرآن بتهديتي، ومنح أعصابي السكينة المنشودة.

ذهبت لغسل يديّ والوضوء، وفعل أخي المثل بعد أن انتهيت، ثم غادرنا الدار متجهين للمسجد. سألتني أخي باهتمام:

- هل سمعت خبر جمال عبد الناصر الخاص بتأميم أموال الأثرياء؟

- نعم سمعته.

- يقولون أنه سيوزع أراضيهم على الفلاحين. هل هذا صحيح؟

- نعم إنه صحيح. لقد بدئوا بالفعل في هذا.

- وهل تعلم كيف سأحصل على نصيبي؟

- أعتقد أن العمدة هو من سيفيدنا في ذلك.

هتف أخي بحماسة:

- عبد الناصر هذا رجل لم تنجبه ولادة. إنه يقف أمام الدول العظمى
بجرأة وشجاعة، كما يقف مع الفقراء، ويساعد في إعاشتهم.

لم أهتم بما يقول؛ فلم أكن في حاجة إلى مال أو أرض. عملي كمدرس
في الخارج كفل لي حياة كريمة، ثم أنني أصبحت في سن تقل فيه الرغبات
الدنيوية. كل ما يشغل عقلي في تلك اللحظة هو ذلك الشيء الذي رأيته.
لو أعرف فقط ما هو؟ أكاد أجن وأنا أفكر فيه، وأحاول كشف سره،
وسبب ظهوره المخيف واختفائه. ليتني أعرف لأنفض عن نفسي ذلك
الشعور السخيف بالخوف، وأزيل تلك الحيرة التي تشغل عقلي.

لترديده التسييح بعد صلاة الفجر أثراً محبباً إلى نفسي، يملئني إيماناً،
ويذهب عني آثار الخوف والهم. لم يعرف كم هو قريب إلى ، وهو يحرك
شفاهه بخفوت، ويعد على عقلات أصابعه النحيلة السراء. حتى أنا لم
أدرك هذا إلا الآن وأنا أراقبه أثناء تركيزه العميق، الذي جعله لا يدري
بشيء عما يدور حوله في أركان المسجد، ولا بانصراف العدد القليل من
المصلين، أو بنظرات الإمام الوقورة المشجعة. البعد عنه وعن الدني كان
موحشاً بحق، لكن ما تسببت فيه أثناء صباي كان يجعل الارتحال حتمياً.
لقد نسيت أو تناسيت ما حدث حقاً، ولا أجد له أثراً داخل عقلي إلا
صورة ضبابية باهتة.

قطع "حسن" سيال أفكاره، وهو يهب واقفاً بعد انتهائه من التسييح،
قائلاً:

- هيا بنا لنعود إلى المنزل.

خرجنا من رحم المسجد، إلى أرجاء القرية الفسيحة، التي بدأ النور يعيدها مجدداً للوجود. الشبورة الباهتة في طريقها للتبدد، والفلاحون بدؤوا في الخروج من ديارهم، بعضهم يسحب خلفه جاموسته، والبعض الآخر يحمل على كتفه الفأس. ثمّة ساقية تدور على مقربة لتدفع المياه إلى القنوات التي تفصل الأراضي، وفلاح يقف بجوارها ليحث الثور المعصوب العينين على تدويرها.

تأملت التربة التي تنسوا على أطرافها الحشائش وأعواد البوص، وقلت:

- هل ما زال مصنع المنظفات يلقي بمخلفاته فيها.
- أجابني "حسن" نافياً:
- لا لقد هجره أصحابه من اليهود، وذهبوا للعيش في فلسطين المحتلة.
- ألم ينتفع به أحد؟
- عبد الناصر قرر تحويله لمصنع أقمشة قطنية.
- فيه الخير هذا الزعيم.
- قلت لك سابقاً أنه يساعد الفقراء، ويخيف الأعداء. له قلب أسد.
- اقتربنا من المنزل لنفاجئ بتجمهر عدد كبير من أهالي القرية، يلتفون على هيئة دائرة، ويضجون بالأحاديث التي لم أستطع تنفيذها. تبادلنا مع أخي نظرة قلقة متسائلة، ثم هرونا نحو الجمع، وقد صاح أخي فيهم:
- ماذا حدث؟
- نظراتهم تحمل نبأ سيئاً بالتأكيد. اقتربت حتى اخترقت الدائرة؛ فرأيت صبي صغير ملقى على وجهه. رقد "حسن" بجواره وهو يقلبه، وقال:

- من هذا؟

فاجأتنا هيئته المخيفة المنفرة، كان جسده قد تعرض لشيء عجيب لم أدرك كنهه، وكأن أحدهم سلخ جلده عن لحمه.

وقت الظهيرة كنا قد عرفنا من هو. لقد كان "محمد" ابن الحاج "حفني" جارنا، والتي كانت داره قرية للغاية من دارنا. انتابني قلق عارم، وشعرت بالغريزة أن ما رأيته قبيل الفجر، مرتبط بمصرع الصبي الصغير. لا مجال للصدفة في هذا.

سألت "حسن" ونحن نجلس على الأرض لتناول الفطور؛ فقد كنا قد خلدنا للنوم قليلاً:

- ماذا تعتقد أنه حدث للفتى.

رمقني بنظرة قلقة، وقال:

- ليس الآن يا أخي؛ لندع الحديث في هذا عند المساء.

ثم هب واقفاً، وقد حمل فأسه على كتفه، وقال:

- سأذهب الآن لتقليب الأرض. إذا شعرت بالرهق يمكن أن تأتي لتؤنسني، أو قم بزيارة من تتذكره من أهل القرية من أصدقاء صباك.

شعرت بالحيرة من طريقته؛ فهبيت واقفاً بدوري، وأمسكته من ذراعه، قائلاً بعصبية:

- لن ترحل قبل أن تخبرني بما تعرف. ماذا حدث للصبي؟ ومن الذي فعل به ذلك؟

حاول التهرب من الإجابة؛ لكن صرامتي أجبرته على النطق. قال
بصوت مرتعش:

- إنه (أبو رجل مسلوخة)

شعرت لوهلة إنه يمزح، وكدت أوبخه لهذا؛ لكن علامات الصدق
كانت تطل من ملامح وجهه.

سألته بدهشة عارمة:

- وهل تصدق في شيء كهذا؟

- ولم لا أصدق إذا كان هو المتسبب فعلاً.

قلت بصوت هادر:

- أسمعني جيداً. لقد أكملت تعليمي، ودرست في الجامعة، وقضيت
معظم عمري في القاهرة أدرس العلم للتلاميذ، وأبعد عن عقولهم
الخرافات، وطوال حياتي أعرف أن حكايات النداهة والغول وأبو خطوة
كلها خرافات من نسج عقول أهالي القرى؛ لإخافة أطفالهم حتى لا
يتأخروا في العودة إلى منازلهم، وكى يطيعون كلامهم. لا تقل لي الآن أن
المتسبب في الحادث شيء آتي من حكايات الجدات.

- يبدو أن معيشتك في العاصمة أنستك قريننا، وعاداتنا وتقاليدنا. ربما
أدركت هناك أن هذه الأشياء خرافات؛ لكن صدقني أنت لا تعرف شيئاً
مما يدور داخل أرجاء القرية المغلقة، والذي لا تدركه أكثر...

صمت قليلاً ثم أكمل:

- أنك بعيد كل البعد عن حياة المدينة.

أدركت أنه لم يقل إلا الصدق. أنا نفسي رأيت ذلك الشيء؛ لكنني لا أريد الاعتراف بذلك.

لرائحة الشاي المختلطة بأعواد النعناع نكهة محبة إلى نفسي، تنعش حواسي، وتوقظ داخلي مشاعر شتى لا أدرك كنهها. ربما هو الحنين لأيام الطفولة، عندما كانت تعد أُمي لنا أكواب الشاي؛ ليساعدنا على التركيز أثناء المذاكرة.

كنا نجلس في الحقل الجاور للدار، وكان معنا "عواد" ابن خالتي. كان قريب السن من شقيقي، حتى هيئتهما متشابهة وتخدع من يراهما، ويظن أنهما شقيقان. كانت لهجته سوقية بعض الشيء، ويدخل المزاح بالجد بطريقة منفرة.

نظرت لكومة الحطب المشتعل، التي حملت فوقها براد الشاي، وتناولت بيسني الكوب الذي تم أعداده، وقلت لأخي:

- أعتقد أن الوقت حان لتخبرني كل شيء.

أخذ يقلب قطع الحطب بعصا رفيعة، ثم نظر وقال بلهجة من لا يفهم:

- لا أعرف كيف أفيدك يا أخي. كل ما نعرفه أن ذلك الشيء يظهر في الليالي المظلمة؛ كي يؤدب الأطفال الذين لا يستمعون إلى أوامر أهلهم. الأم منهن تحذر ابنها ألا يتأخر، وإلا ظهر له (أبو رجل مسلوخة) من ثم يظهر، ويحدث للصبي كما حدث هذا الصباح لابن الحاج "حفني". الغريب أن تلك الحوادث لم تحدث منذ زمن طويل، ويبدو أنها مرتبطة بأحد العائلات فقط.

- ومن هو، ومن أين يأتي؟
- قال "عواد" بطريقته الساخرة المنفرة:
- أتي من فوق الشجرة. من أين تأتي العفاريت؟ بالتأكيد من المقابر، أو من تحت الأرض.
- صمت قليلاً ثم سألني:
- قل لي صحيح لماذا لم تتزوج حتى الآن؟
- أجبت دون موارد حتى يصمت:
- لأنني أكره النساء.
- وماذا تحب؟ الأبقار. هل هناك رجل في الدنيا يكره النساء.
- أنا أفعل.
- لا بد أن هناك سبب.
- ربما تربيتي المنغلقة جعلتني لا أجيد التعامل معهن، أو ربما لأن القاهرة أصابتهم بالغرور، وربما لأن طبعي الهدوء، وصوتي منخفض. لا أعرف تحديداً، كل ما أعرفه أنني عندما أحادث أية فتاة، ولتكن زميلة مثلاً أجد معاملتها جافة، وتبدأ في تحاشي الحديث معي.
- ربما تربيتهم تمنعهن من الكلام مع الرجال.
- هذا ليس صحيح مطلقاً؛ فنفس الفتاة أجدها تتحدث مع جميع الزملاء، وتتضحك معهم أيضاً.
- وهل يحدث هذا لك مع كل فتاة؟
- نعم مع كل فتاة.

- غريبة هذه. ربما قام أحدهم بصنع عمل لك يمنعك من الزواج.
صمت قليلاً ثم أكمل:
- وربما لأنك مجنون.
- حدجه "حسن" بنظرة صارمة، وهم بقول شيء ما؛ لكنني عند هذا الحد لم أستطع احتمال أسئلته وسخافته. نهضت وأنا أقول:
- سأعود الآن للبيت يا حسن. هل ستجيء معي؟
- ليس الآن فالسهر ما زالت في بدايتها.
- تناهى إلى مسامعي صوت حفيف أعواد الذرة القريبة مننا، وتملكني شعور عارم بأنه هو. صوبت أنظاري تجاه مركز الصوت؛ فلمحت جسداً غارق في الظلال يمشي ببطء، ثم وقف ورماني بنظرة جددت الدماء في عروقي.
- شعرت بأصابع كف "حسن" على رسغي، وسمعته يقول بصوت مرتجف:
- إنه هو. لا تنظر إليه.
- وقفت متسماً مكاني حتى اختفى داخل حقل المزروعات. قلت لشقيقي بصوت منخفض:
- هل ستعود معي الآن؟
- هز رأسه نافياً، وقال:
- ليس بعد.
- ألا تخاف منه؟

- لقد رحل هذه الليلة ولن يظهر، ثم أنه لا يؤذي غير الصغار.

تركته وترجلت إلى دارنا، وأنا أفكر بعنق في ذلك الشيء المدعو (أبو رجل مسلوخة) من هو؟ من أين يأتي ولماذا؟ معظم الأساطير لها حقيقة ما، وكما يقولون لا يوجد دخان بلا نار. سأحاول التقصي بقدر الإمكان عن ذلك في الصباح، وسأذهب إلى أقدم عجائز القرية، ربما كان يعرف أصل الحكاية، ويساعدني في إمطة اللثام عن حقيقة ذلك الشيء، وما وجدته أثناء عودتي جعلني أشد حرصاً على انتهاء تلك اللعنة المخيفة، وأكثر عناداً. كان هناك تجمع من أهل القرية حول جثة مسجاة فوق الأرض الزراعية. لقد توفت فتاة صغيرة بنفس الطريقة، وكأن قد تم سلبها. كانت هذه المرة من عائلة "هنداوي"

في الصباح ذهبت إلى الشيخ "دياب" الذي يعد من الأقدمين في قريتنا، وسنه يقترب من التسعين. سألته دون مواربة عما يعرفه عن (أبو رجل مسلوخة) فقال:

- من صغري كنت أسمع عن النداهة وأم الشعور و(أبو رجل مسلوخة) وأشياء أخرى. لم أفكر أبداً من هم ولما يأتون؟، ما تسأل كان يظهر على فترات متباعدة للغاية، حتى نسيناه، ثم ها هو يعاود الظهور مجدداً. غالباً هو جني تمرد على عشيرته، وجاء إلى عالمنا.

- شعرت بالإحباط من كلماته. إذا كان هو مسن القرية لا يعرف. من الذي يعرف إذن؟

لم أجد من أذهب إليه بعد ذلك إلا المأمور. قلت لنفسي ربما وجدت حل اللغز في أرشيف الحوادث القديمة، وكان حظي حسن عندما وجدته

يعرفني. كان "عمر" أحد زملاء دراستي. عندما تركت القرية كان مازال ضابط حديث التخرج. الآن أصبح مأمور القسم.

احتضني هاتفياً:

- حسين. كيف حالك يا صديقي، وأين اختفيت كل هذه المدة؟

أجبتته بنجل:

- لقد عملت مدرساً في القاهرة، وسافرت بضعة سنوات إلى أحد الدول العربية.

دعاني للجلوس، وهو يقول بلهجة حائرة:

- كنت أعتقد أن الحادث القديم هو سبب هجرك لنا.

تفحصني بعينية لحظات، ثم قال:

- وهل تعافيت؟

بدأت في تذكر ذلك الحادث المؤلم. كانت الصورة ضبابية مليئة بالثقوب، وسرعان ما بدأت الصور تملأها مذكرة إياي بما حدث في طفولتي.

أخرجني "عمر" من ذكرياتي، وهو يقول:

- أسف لو كنت جعلتك تتذكر ذلك الحادث المؤلم.

- لا عليك. كل ما أتذكره مجرد صور متفرقة.

- أخبرني ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل يهددك أحد بالثأر؟

ابتسمت وأنا أجيبه:

- لا. هناك فقط حادث يشغلني، وأود أن أبحث عنه في أرشيف

الحوادث القديمة.

- وما هو ربما استطعت أن أفيدك.

رمقت الأراضي الزراعية عبر النافذة، ثم قلت:

- لن يستطيع أحد أن يفيدني قطاً.

بعد بحث دعوب ألثهم نصف النهار، وجدت أخيراً ما كنت أبحث عنه، وصار لدي يقين تام أن هذا هو الحادث الذي أخرج لنا لعنة القرية. كان الملف مليئاً بتقارير الشرطة، وأقوال الشهود؛ لكن مجمل الحادث أن والد طفل صغير خرج لبحث عنه. كان الليل قد حل، ولم يعرف أين يبحث حتى وجده عائداً، وقد تلوّث ملابسه بالطسي. ذهب إليه غاضباً وبدأ يضربه بعضاً ألتقطها من الأرض؛ لكن الطفل بدأ في الهرب بعيداً عنه. ركض الأب خلفه فوجده اختفى تماماً. ظل يبحث في كل مكان حتى قادته قدماه إلى ترعة القرية، وهناك رأي ما ظنه ثوب ابنه عائماً فوق المياه. أصابه الجزع فقفز في التريعة لإنقاذه. هنا تعالت صرخاته لتشق أرجاء القرية، وأخذ جسده في التسليخ؛ بفعل المواد السامة التي كان يلقيها فيها اليهود أصحاب مصنع المنظفات. أنقذه بعض الرجال، وذهبوا به إلى الوحدة الصحية لعلاج؛ لكنه كان قد لفظ آخر أنفاسه في الطريق، بعد أن أصابته صدمة عصبية بسبب شدة الألم.

قلت لنفسي وأنا اشعر الحماسة "لا شك أنه هو. السؤال الآن كيف أمنع ظهوره؟"

قرأت اسم الرجل بالكامل ربما أفادني سؤال أسرته، لو كانت مازالت متواجدة. هنا اقشعر بدني، وجحظت عيناى من فرط الدهول. لقد كان هذا الرجل هو أبى.

شعور عارم بالحيرة اكتنفتني. صحيح أن ذكرى باهتة عن غرق والدي في التربة تراودني، وصحيح أنني أتذكر أن السبب هو أنا، وهذا ما جعلني أغادر القرية طوال هذه الفترة؛ لكنني لم أربط أبداً بين ذلك الحادث، وبين حادث (أبو رجل مسلوخته). كيف لا يعرف أحد أنه شبح والدي؟ أم أنهم لم يربطوا حادث تآكل جسده مع هيئته، وما يفعله بالصغار؟

هل ينتقم مني في صورتهم؟ هل سبب ظهوره الآن هو عودتي للقرية؟

" الغريب أن تلك الحوادث لم تحدث منذ زمن طويل."

" كان يظهر على فترات متباعدة للغاية، حتى نسيناه، ثم ها هو يعاود الظهور مجدداً."

في المساء جلست مع "حسن" و"عواد" بالقرب من حافة التربة، التي كانت بفعل الظلام مرتعاً لكل الأشياء المخيفة، ومخلوقات الليل. عرفت ما يجب عليّ فعله. إذا كانت التربة السبب فيما حدث له، لابد وأنها كذلك السبب في فناءه؛ لذلك ألقيت بقطعة ملابس قديمة، فوق جذع شجرة صغير عائم على صفحة المياه، وكلني أمل أن تكون التربة هي بوابته إلى عالمنا.

لم يكن يعرف كلا من "حسن" و"عواد" ما سأفعله بأي حال، كنت فقط أرغب أن يمديني تواجدهما بالشجاعة والصحبة.

كان "حسن" يعد الشاي كعادته؛ بينما تساءل "عواد" قائلاً:

- لماذا جئت بنا بجوار هذا المكان العطن الرائحة؟

لم أعرف بما أجيبه؛ لذلك أجبتة بسؤال آخر:

- ما الذي جعلك توافق على المجيء؟ لماذا لم ترفض؟
- وماذا سأفعل وحدي؟ أنا قد تعودت على السهر مع حسن، وفرصة أيضاً أن أسهر معك.
- شعرت للحظات أنني ظلمته، وأن به شهامة وكرم أهل القرى؛ لولا أن قال ساخراً:
- أحذر يا حسين؛ فقد تكون أم الشعور قد سحرتك كي تتزوج بك.
- سألني "حسن" دون موارد:
- لقد قلت أنك تريدنا في أمر هام، وجئنا معك إلى هذا المكان الموحش؛ لكنك لم تقل شيئاً.
- يجب أن ينتهي الظهور هذه الليلة.
- ظهور ماذا؟
- (أبو رجل مسلوخة)
- هب واقفاً و"عواد" معه، وهو يقول:
- ماذا؟ هل جنت؟
- جنت لأنني أريد السلام للقرية، وأريد أن أزيل اللعنة عن قريتنا؟!
- ومن قال أن القرية لا تعيش في سلام؟
- وماذا عن الأطفال الأبرياء الذين يقتلون؟
- ماذا؟ ألا تعرف؟
- أعرف ماذا؟
- تبادل النظرات مع "عواد" ثم قال:

- القرية لم تصيبها أية لعنة، اللعنة قد أصابت عائلتي "هنداوي" و "حفني" فقط.

شعرت بالحيرة والتذبذب من كلماته، ثم قلت بصراحة:

- أنت لا تعرف شيئاً. شبح والدنا هو ذلك الشيء.

ارتسمت علامات الذهول على وجهه، ثم قال بحيرة:

- والدنا! وما شأنه بهذا؟

- ألا تتذكر مصرعه، وإصابته بالمواد الكيميائية الملقاة في مياه الترعة؟

تأملني بنظرات حائرة، وخفض رأسه وهو يقول:

- مازلت لم تتذكر بعد.

سألته وأنا غير فاهم:

- أتذكر بالطبع إصابة والدنا، ووفاته أثناء محاولته نقله إلى الوحدة الصحية.

- والدنا لم يميت ليلتها. لقد قالت أُمي هذا هرباً من الثأر الذي يطارد.

شعرت بذهول عارم؛ فأمسكته من ذراعيه وأنا أهزه:

- ماذا تقول؟

- هذه هي الحقيقة. والدنا مات بعد هذا بكثير. أنت فقط لا تتذكر، بعد أن أصابتك الصدمة بفقدان ذاكرة، و...

- و ماذا؟ أكمل.

حاول الهرب بعينه بعيداً، وهو يقول بصوت منخفض:

- لقد كنت نزيلاً بأحد مستشفيات الأمراض العقلية.

صبت برهة ثم أكمل:

- لمدة عشر سنوات.

نظرت لي نظرة لم أفهم مغزاها:

- وكيف حال...؟

بدا وكأنها تبحث عن كلمات، ثم قالت:

- كيف حال صحتك؟

صبت قليلاً ثم أكمل:

- وربما لأنك مجنون.

حدجه "حسن" بنظرة صارمة، وهم بقول شيء ما.

دعاني للجلوس، وهو يقول بلهجة حائرة:

- كنت أعتقد أن الحادث القديم هو سبب هجرك لنا.

تفحصني بعينية لحظات، ثم قال:

- وهل تعافيت؟

ذهول عارم تملكني، ورج كياني. لم أدرك هل ما يقوله "حسن" حقيقة أم خيال؟ هل كنت فعلاً نزيل في أحد المستشفيات؟ هل أصابتني حالة جنون وفقدان ذاكرة؟ ألهذا كانت نظراتهم الغريبة، وأسألهم التي لم أفهمها.

سألته بلهجة حادة:

- إذن لماذا ظهر هذا الشيء بالذات يوم مجيئي؟

أجابني فوراً:

- لأن ابن "حفني"، وابنة "هنداوي" كانا قد بلغا سن السابعة.

- ماذا؟

- اللعنة تصيب أي طفل من عائلتيهما عندما يبلغ السابعة من عمره.

تركتهما هذه الليلة وذهبت من فوري قرب منزل "حفني"، وأنا أتمنى ظهور ذلك الشيء المخيف. لا بد من أن أجد وسيلة ما لدحره، أو على أقل تقدير للفهم. لم أكن أعلم هل سيعاود الظهور أم لا؟ لكن كل أمل في أن أماكن تواجده ستكون بالقرب من هنا. صحيح أنه نفذ ما يريد و قتل الطفلين، وربما لن يظهر لفترة من الزمن، ولكني لم أعرف ما الذي يجب عليّ فعله إلا هذا.

طال انتظاري متنقلاً بين الحشائش والأشجار التي تملأ المكان، ولاح الفجر في الأفق مع صياح ديك ما، وعلمت وقتها أنه لن يعود إلا عندما يجد طفلاً من أحد العائلتين، قد بلغ السابعة من عمره.

في أرشيف القسم عرفت كل شيء، بعد أن قمت بربط عائلة "هنداوي" و عائلة "حفني" معاً، وبعد أن سألت واستقصيت من بعض أهالي القرية.

كانت حادثة مأساوية ومؤلمة.

كان هناك من يدعى "صابر". يقولون عنه أنه طيب القلب، وحسن السيرة. توفت زوجته وتركته له طفلاً في السابعة من عمره. أهتمته فتاة

ذات يوم بالتحرش. تناقلت القرية ذلك النبأ غير مصدقة، خاصة أن الفتاة كانت قاسية القلب، وذات سلوك سيء، وأنها ربما قالت ذلك حتى تجبره على الزواج منها، ويقولون كذلك أن الفتاة كانت قد دفنت أمام عتبة داره عمل من أعمال السحر؛ لتضمن أن يكون زوجها. ما حدث أن عائلتها وهي عائلة "دياب" اجتمعت لمعاقبته، ولم تساند لهم إلا عائلة "هنداوي" التي كانت بينهما أعمال تجارية ونسب. حاصروا داره ثم أشعلوا فيها النيران، ولم يتعدوا إلا بعد أن تأكد لهم أنه أحترق تماماً مع ابنه الصغير.

تفحصت تلك الأرض الزراعية، التي احتلت مكان بقايا منزل "صابر" المحترق. في مكان ما هنا تم دفن عمل من أعمال السحر بيد فتاة مجنونة حاقدة، وبسببها لقي رجل مسكين مصرعه احتراقاً مع ابنه، وصار شبحاً منتقم.

في يوم ما سأنش الأرض بحثاً عن ذلك العمل، وربما عندما أجده تنتهي تلك اللعنة إلى الأبد، وتعود القرية مجدداً أمنة مطمئنة كما كانت قديماً.

الليلة الثالثة

شتان بين الماضي البعيد الذي يدفع إلى عقلي الذكرى، وبين الحاضر الذي يحيطني الآن، وأنا أعبر القضبان الحديدية للترام الذي أصبح منسياً. قديماً كنت أستقله إلى ميدان أحمد سعيد، حيث كان مكدساً بدرجات متباينة من البشر، ودفء صحبتهم. كنت صبياً لاهياً يهرب من مدرسته الثانوية إلى أحد دور سينما الدرجة الثالثة، ويتسكع في الطرقات. الآن صرت مسئولاً عن صبي لاهي آخر، وإن اختلفت الأهواء والمشارب، وصرت أكثر تعقلاً وذكاءً، وهذا ما جعلني من أكثر محققي الجرائم شهرة، وقدرة على التوصل إلى الجناة. لم تكن سيارة الشرطة قادرة على التوغل ها هنا؛ لذلك أمسينا نخوض أنا ومساعدتي الطريق الترابي الضيق، الذي يتوسط الحارات العتيقة، وقد حملت المنازل الكالحة اللون مزيداً من الذكرى والحنين إلى الماضي الحبيب، وأضاف إليها ليل ديسمبر الحزين لحة من الشجن، ولسعة من البرودة. البعض يطل برأسه من الشرفات ذات التشكيلات الحديدية السوداء المميزة لتلك البيوت، و الأطفال يتراجعون أمامنا وهم يرمقوننا بأعين متسعة كأننا مخلوقات ليست من عالمهم.

تقدمنا حتى وصلنا إلى المنزل المنشود، التي لم تختلف هيئته عن المنازل الحيطية، إلا في رائحة الجريمة، والجيران الذين تجمعوا بدافع الفضول، وقد نظمهم رجال الشرطة - الذين سبقونا في الاقتحام - بعيداً عن باب المنزل.

صعدت الدرجات القليلة التي تقود إلى الطابق الأرضي، ولحت باب حديدي أسود منفرج إلى الخارج، وباب آخر مصنوع من الخشب منفرج

إلى الداخل، وهذا يدل على أن القتل كان يسعى لتأمين منزله لسبب ما. أمام الباب كانت الصالة تطل علينا بأثاثها القليل، والجلّة مسجاة على ظهرها فوق الأرضية المغطاة بسجادة كالحة قد ثقتها الثوب، وغشيتها البقع من فرط القدم.

سألت الطبيب الجنائي، وأنا أتأمل القضبان الحديدية التي تؤمن النوافذ:

- ما هو تقديرك المبدئي للجريمة؟

حرك يديه بلهجة حائرة كأنه يبحث عن إجابة، وقال:

- لا أعرف.

رمقته وأنا غير فاهم:

- ماذا تعني بهذا؟ هل تفحصت الجلّة؟

- نعم؟

- هل هي جريمة قتل؟

- لا.

- هي انتحار إذن؟

- لا أعتقد هذا.

تفحصت الجلّة بنظري جيداً. كانت لشاب في منتصف العشرينات تقريباً، وعلى وجهه تجعدات ملامح تدل على المعاناة والألم. ملابسه من ناحية الصدر والبطن تشبعت بالدماء بطريقه كبيرة.

قلت له وأنا أشعر بالتعجب:

- لا تقل لي أن ميته طبيعية.

صمت قليلاً وشعرت أنه عاجز عن الإجابة، ثم قال بلهجة حائرة:

- لا. مستحيل أن يكون مصرعه طبيعياً بأي حال من الأحوال.
- هل تريد أن تخبرني بأن ميتته ليست طبيعية، وليست انتحاراً أو جريمة قتل؟
- هذا ما تشير إليه الأدلة.
- شعرت بالغضب كعادتي إزاء الغباء، وسألته بلهجة حادة:
- أخبرني بكل التفاصيل.
- تنحنح قليلاً، وقد اعتلت الحمرة وجنتيه، ثم قال بنبرة صوت مرتعشة:
- المتزل له بابان. باب حديدي مغلق من الجهة المواجهة للداخل بمزلاج حديدي عليه قفل ضخيم، حتى أننا استعملنا المنشار الكهربائي في فتحه. الباب الخشبي كان مغلقاً كذلك من الداخل بمزلاج حديدي.
- أنتظر قليلاً. كيف كان الباب الحديدي مغلقاً بقفل؟
- يبدو أن القتل جذبته للداخل أولاً وهو بداخل الشقة، ثم سحب لسان المزلاج ووضع عليه القفل، وبعد ذلك أغلق الباب الخشبي و...
- قاطعته بعد أن فهمت، وأخبرته أن يكمل فقال:
- الجثة كانت ملقاة على شقتها الأيسر، ومشبعة بالدماء التي تسربت عبر الملابس إلى السجادة. سبب الوفاة عشرات من الخدوش والطعنات بأداة حادة أصابت منطقة الصدر بالكامل.
- أوقفته مجدداً، وأنا أقول بلهجة حازمة:
- ألم يدلك هذا على أنها جريمة قتل؟
- لا.

- ولماذا؟

- ملابس القتل نفسها سليمة تماماً ولم تمس. ليس بها قطعاً واحداً يدل على نفاذ آلة حادة إلى جسده، حتى فانلته الداخلية سليمة أيضاً. أضف إلى هذا أن الشقة كان مغلقة بإحكام مبالغ فيه، ولا توجد طريقة واحدة في الوجود للدخول والخروج عبر الباب الحديدي، أو القضبان التي تدعم النوافذ، وليست هناك أية منافذ سرية كذلك.

شعرت بحيرة شديدة أمام ما يقول، وبدأت في تفحص المكان بدوري، حتى أستطيع الحكم جيداً، وما زاد من دهشتي وتعجبي أن كل ما قاله صحيحاً. هذه جريمة عجيبة مستغلقة، وليس هناك سبيلاً واحداً لارتكابها. جريمة خارقة للطبيعة.

لحت ذلك الكتاب ذي الأوراق العتيقة المفتوح فوق المائدة التي تجاور القتل، وبجوارها عدة ورقات خطت عليها بضعة كلمات بطريقة متعجلة. الغريب هنا أن الحروف عربية؛ لكنها غير مفهومة على الإطلاق، على غرار (آيا اشك آور هرگز نمی) تبدو لي أقرب إلى اللغة الفارسية. تناولت الكتاب بحذر، وتفحصت غلافه الأسود السيك الذي لا يحمل أية كلمات تدل على هويته. الأوراق عتيقة، وقد امتلأت بذات الكلمات الغريبة، بالإضافة إلى رسومات عجيبة مخيفة لشياطين أو جن إذا كان هناك فرق بينهما.

دقت ساعة الحائط بطريقة مفاجئة جعلتني أنتفض بذعر. كانت عقاربها تشير إلى منتصف الليل تماماً. نقلت بصري مرة أخرى لصفحات الكتاب لألمح بعض الهوامش التي كتبها أحدهم -ربما كان القتل- بلغة عربية سليمة، وإن كانت هناك كلمات قد طمسها قطرات من الدماء، وهذا

يدل على أنه كان عاكفاً على كتابتها أو تفحصها قبيل وفاته مباشرة، أو ربما كان يضيف إليها بضعة كلمات. كانت الكلمات تقول " الكتاب يستكمل..."

"يجب أن يحرق في..."

" قبل نهاية الليلة الثالثة"

ثم حرفي " ط - ع " وأرقام لا أفهم لها مغزى. هل من المعقول أن هذا الكتاب هو سبب الجريمة؟

هل كان يمارس طقوساً سحرية أدت إلى مصرعه بشكل خاطئ؟
أنا لا أؤمن بتلك الأشياء أبداً. لكن مما لا شك فيه أن هذه الجريمة خارقة بكل المقاييس.

قضيت الليلة ساهراً، وقد كاد عقلي يشتعل من كثرة التفكير العميق، ولم تساعد أقذاح القهوة - التي أعلتها لي زوجتي - في إضافة الصفاء المنشود إلى عقلي، أو في إزالة الصداع الذي يفتك برأسي؛ لذلك لم أجد بداً من محاولة النوم، وتأجيل كل شيء إلى يوم غد؛ لكن هذا لم يمنع أحلامي من أن تعج بأشياء مخيفة قادمة من عالم السحر والشياطين والجن.

في الصباح جاء ذهني مشوشاً وكأن قد تم ضربه داخل ناقوس حديدي، فقدت على أثره التركيز طيلة اليوم، وكأنني أعاني مرض عقلي. حتى أن زملائي تعجبوا من شدة شرودي، بعد أن كنت مثال في حدة العبقرية، وسرعة الاستجابة الذهنية، هذا في الحقيقة كان ما يميزني، ويجعلني الأكثر قدرة في حل أعقد الجرائم المستغلقة.

كله بسبب تلك الجريمة الخارقة، والكتاب العتيق المخيف. لكن لا. لن أكون " إيهاب خليل " أبداً إذا لم أتوصل إلى فك طلاسم هذا اللغز المستحيل.

ما عرفته عن القتل أنه كان مسافراً إلى مكان ما، وعاد إلى منزله منذ ثلاثة أيام. الجيران سمعوا صوت صرخاته تكاد تهد البيت من شدتها، وعجزوا عن الاقتحام بسبب الباب الحديدي المغلق. أين ذهب؟ وكيف مات؟

هناك شيئاً يحاول الظهور على سطح ذاكرتي، يريد عبور جدار التشوش والشرود؛ ليبلغني رسالة ملقاة في قلب الخلايا الرمادية. رسالة لم ألفت إليها، وربما حملت في باطنها مفتاح اللغز الضائع. ما هي تلك الرسالة؟ مهلاً. لقد عاد إلى منزله بعد غياب ثلاثة أيام. الكتاب كان يحمل عبارة تشير إلى شيء مشابه. لقد تذكرت. كانت هناك عبارة تقول " قبل نهاية الليلة الثالثة " ليس معقولاً أنها مصادفة.

هناك شيء آخر. الحرفان لهما دلالة ما. أشعر أنها دلالة بسيطة؛ لكنني عاجز عن فهمها في الوقت الحالي. " ط - ع " قد تكون إشارة إلى خطي الطول والعرض. رباه هذا صحيح. كيف لم أعرف هذا سابقاً، لا بد أن الأرقام مع الحروف تحدد منطقة ما. لا شك عندي الآن في ذلك. ترى ما هذا المكان، وماذا يحمل داخله؟

السيارة تتوغل في قلب الظلام، وقد نجحت المصابيح الأمامية في تبديد بعض العتمة. الهواء صار بارداً، وله لسعة تقشعر البدن، وتؤلم الصدغ والأذن اللذان يجاوران النافذة الزجاجية النصف مغلقة، الحرك الهادر ساعد ببعض السخونة في بث قليل من الدفء إلى قدمي.

كنت قد عرفت شيئين. أولهما: أن القتل كان مجنوناً، ويقال أن فترة غيابه كانت بسبب بحثه عن أطلال مدينة قديمة بائدة، ربما كانت عاد أو إرم ذات العماد.

الشيء الثاني هو أنني نجحت في تحديد الموقع بدقة عبر جهاز "G P S". كان المكان المنشود يقع داخل منطقة الغابة المتحجرة شمال طريق (القطامية / العين السخنة)، والذي كنت متجهاً إليه الآن. ذهني متيقظ ومنتبه، وصار أكثر قدرة على التركيز والتفكير بعد أن غفوت قليلاً في متري قبل خروجي في هذه المهمة الاستكشافية.

ألقيت نظرة على الكتاب المخيف القابع فوق المقعد المجاور، وشعرت بشيء من الدعابة وأنا أتخيله يشعر بالبرد مثلما أشعر، وربما يحتاج إلى بعض الدفء.

شعرت فجأة بالألم يشق صدري. ظننت في البداية أنها بسبب البرودة، أو ربما ذبحة صدرية؛ لكن مع الألم كان هناك شيئاً آخر، شيء مخيف لا أدري كنهه. تحسست صدري وأنا أحاول التنبيه إلى الطريق؛ فشعرت بلزوجة وبلل مجهولي المصدر. آه صار الألم لا يطاق. أزحت ملابسني إلى أعلى فرأيت ما جعلني أصعق. الدماء تغرق صدري بطريقة مخيفة، وتواصل طريقها إلى أسفل. نظرت حولي أبحث عن شيء يصلح لتخفيف الألم، وكشف مصدر الجرح.

لمس المناديل الورقية على صدري، وأنا أجفف الدماء يبعث ألماً حارقاً، والدماء تواصل الانهيار كصنبور معطوب.

الطريق لم يعد مستقيماً كما كان. السماء صارت هي الأرض، والأرض أبدلت مكانها إلى أعلى. تباً إنها السيارة هي التي تدور بي، وتجعلني أتخط

بين جوانبها الداخلية كالعصير داخل الخلاط. لقد حانت ساعتى دون أن أفهم أي شيء، والألم ما زال يمزق صدري تمزيقاً. هناك خدعة ما.

"قبل نهاية الليلة الثالثة"

لا بد أن هذا موعد الموت. لكن كيف؟ ولماذا؟ الليلة هي الثانية. إنه الكتاب اللعين يسخر مني. لقد أخذته قبل منتصف الليل بدقائق قليلة، وقام هو بحسابه كيوم كامل، والآن الساعة قد تعدت منتصف الليل. يبدو أن الكتاب يعاني مشكلة في الحساب.

حاولت جاهداً الخروج من السيارة التي صارت حطاماً، وعقلي ما زال يبحث، عما يبحث هذا الأحمق، وأنا في طريقي للموت؟

رأيت على قطع زجاج مرآة السيارة المهشمة كل شيء. لم يكن صدري مليئاً بالخدوش والطعنات؛ بل كانت كلمات غريبة.

"الكتاب يستكمل..."

هذا ما كان يفعله القتل. يحاول أن يستكمل الكتاب. الآن فهمت كل شيء. "الكتاب يستكمل..." نفسه. لا بد أن هذه هي العبارة "الكتاب يستكمل نفسه"

القتيل حاول استكمالها وفشل، وكان يجب أن يستكمله قبل نهاية الليلة الثالثة؛ لهذا لقي مصرعه.

لقد كان هذا سبب الجريمة، وسبب مقتلي الآن.

لقد كان يستكمل نفسه على جسدي!

خطوات ليلية

دقت الساعة محدثة ضجيجاً أخرجني من تركيزي أثناء مراجعة أوراق
بعض المرضى.. رمقتها بعقل مشوش من كثرة الإرهاق.. كانت عقاربها
تشير إلى الثانية صباحاً، وهذا ما يعني أنني جلست ساعة كاملة لم أتحرك
خلالها قطاً.. عملي كطبيب بمشفى عام جعلني أنسى عالمي الخارجي تماماً..
من يصدق أن شاب مثلي في الثلاثين من عمره يقضي سهرته داخل
الجدران الباردة.. يتابع المرضى؛ بدلاً من السهر بالخارج مع محبوبة مثلاً..
ربما ما خفف من الأمر قليلاً أنها لم توجد بعد.. لم أجد من تجذبني إليها،
وتسرق عقلي وقلبي ومشاعري.

كان الصمت موغلاً بين جنبات المشفى في ذلك الوقت من الليل،
والظلماء تطل من نافذة الحجرة حاملة بعض الرهبة.. ضمنت ردائي على
جسدي اتقاء للساعات الأهازيج الشتوية.. أكثر ما زادني شعوراً بالوحشة
هو: اختفاء طاقم الممرضات بين النائمات، وبين من تعلنن بحجج واهية
للعودة إلى منازلهن.. أشعلت سيجارتي، وأنا أتقدم إلى النافذة.. السحب
المتكتلة تطمس صفحة السماء.. يبدو أن الليلة ستكون مطيرة..

انتابني فجأة شعور عجيب؛ كأن هناك من يراقبني. تلفت حولي بحثاً
عن يكون. نبشت أرجاء الحجرة بعيني، وتتبع جدرانها، حتى تعانقت
مع الباب الموصل. ذهبت نحوه بحذر، وتلمست مقبضه حتى احتويته بكفي.
أنفرج الباب قليلاً بفعل جذبي له. الصمت يعلن سطوته على المرء،
والظلام يسكنه إلا من ضوء شحيح يشع أسفل مصباح زئبقي، يتعالى أزيزه
مختلطاً بأزيز حفنة من الذباب.

أوصدت الباب مرة أخرى وأنا أتنهد. شعور مرعب حقاً عندما يشعر المرء أن هناك من يجالسه الغرفة، وهو لا يراه. ربما المسبب لهذا هو الإرهاق الذهني لا أكثر.

جذبت مقعداً وجلست قرب النافذة. شعور لذيذ يملكني عندما أرمق الظلام، والمطر الذي بدأ يلقي بجباته على أرض الحديقة الغارقة في الظلماء. الرياح تبعث بأركانها، وتقلب الأوراق المهملّة الملقاة بين الأعشاب، تجوب قسم الأشجار التي تمايلت معها، ولمعت من جراء زخات المطر التي أزالَتْ عنها آثار الأتربة. بينما القصر يظهر للحظات بين قطع السحب التي تعبر أمامه، ثم يغيب فترة حينما تطمس وجهه.

أشعلت سيجارة أخرى وزفرت دخانها الذي أرتطم بالرياح بالخارج، وأختلط معها حتى تبدد تماماً. أفضل ما في نوبتي الليلية أن عملي نظرياً أكثر. أتابع أوراق المرضى التي خطها أطباء النهار. أتنقل قليلاً بين العنابر لأراقب المرضى الغارقين في نومهم. لا يعكر صفوي شيئاً إلا نادراً عند حدوث حالة طارئة، أو مريض تشتد عليه وطأة المرض. وكان بُعد المستشفى قليلاً عن الطريق، هو السبب في ندرة مجيء الحالات الطارئة.

انتابني شعور عجيب جديد. رجفة خفيفة انتشرت على سطح جسدي، كأن هناك عدد من العناكب المشعرة الخفية تمشي عليه. هببت واقفاً وأنا أملس بكفيّ على ذراعيّ، وقد انتابني حيرة شديدة من جراء هذا الشعور المقبض المرعب. تلفت حولي بفعل هاجس خفي لا أدرك كنهه، حتى تناهى إلى مسامعي تلك الخطوات. خطوات بطيئة كثيفة تقطع أرض الحديقة الممتدة الغارقة في ظلام الليل البهيم. حاولت اختراق حاجز السواد بعينيّ. بعد برهة من التركيز لحت شيئاً يسير في الجهة البعيدة من الحديقة. لم أتبين ماهيته على وجه اليقين؛ لكن حدود جسده تدل على أنه رجل يمشي محنياً.

خوف غريزي شل تفكيري عن العمل. لا أعلم من هذا الذي يقطع أرض حديقة المشفى وسط الرياح والمطر، وما الذي سبب لي ذلك المزيج من الشعور بالرجفة والخوف؟

حاولت مرة أخرى التدقيق فيه؛ فزاد شعوري بالرهبة. هناك شيء ليس على ما يرام. هيئته حقيقة أخها كبشري يمشي بعيداً. لكن شيئاً ما ليس طبيعياً. شيء غامض في ذلك الشخص هو ما يبعث مشاعر الخوف. لا أخه لكني أستشعره. كأني مثلاً أشاهد بناية كل يوم، وفي أحد الأيام يتغير لونها مثلاً، ولا أدرك هذا في حينه؛ بل سأشعر أن بها خلل ما لا أدركه حينها؛ لأن عقلي الباطن يعرف اللون القديم، وعقلي الظاهر لا يدرك أو يهتم. هذا بالضبط ما أشعر به الآن. هيئة الرجل بها خلل يدركه عقلي الباطن، والظلام والمطر يحجبان هذا عن عقلي الظاهر، وعن عيني أيضاً.

فكرت في الخروج إليه، أو مناداته وسؤاله عما يفعل هنا. لكن حالة الرعب منعتني عن اتخاذ أي قرار منهما. لا أعلم حقيقة ماذا يجب على أن أفعل؟ ذلك الرجل لم يقترب إثماً. صحيح أن هيئته وسيره ليلاً يشيران الشك؛ لكن هذا فقط ما بدر منه.

لحته يتوقف قليلاً وخيل لي أنه ينظر لي. لم أتبين ذلك في الظلام بالطبع؛ بل شعرت به فقط. اقتربت أكثر من النافذة مدققاً فيه. ما زال متجمداً مكانه، والأمطار تتقاطر عليه كخيوط فضية متصلة. تلاعب الفضول بعقلي قليلاً. أنا رجل ناضج بالغ. مما أخاف ومن؟ ماذا سيكون هذا الشخص مهما عظم خيالي؟ كيف يتسلكني الخوف لهذه الدرجة؟

تناهى إلى مسامعي صرخة مصدرها الحجرة المجاورة. حجرة الممرضات الخاصة. تناسيت كل شيء بسرعة، وغادرت الحجرة وأنا أدق الأرض

بقدمي، ثم وقفت أمام باب الحجرة مصدر الصرخة، وطرقت على الباب
طرقات ملهوفة.

أنفرج الباب كاشفاً عن وجه أحد المرضات. سألتها بلهفة:
- ماذا حدث؟

أشارت للدخل، وهي تقول بنبرة مرتجفة:

- إنها آمال.. تزعم أنها رأت وحشاً!

نقلت نظري للدخل لألمح "آمال" هذه ملقاة على أحد الأسرة، وقد
ضرب الشحوب وجهها. ذهبت إليها مسرعاً، وتفحصتها بعناية:

- إنها بخير.. مجرد إغماء بسيط.

- حمد لله.. لقد شعرت بذعر شديد من صرختها، وظننت أنها...

- ... لا هي بخير كما أخبرتك.. ألا تعرفين ما الذي رآته؟

- لقد كنت جالسة على أحد المقاعد، بينما وقفت هي قليلاً عند
النافذة.. ثم وجلتها ترتجف فجأة، وأخذت في الصراخ قائلة: الوحش!

- هذا عجيب حقاً!

دارت الأفكار في عقلي قليلاً؛ لأتذكر ذلك الشخص السائر في
الحديقة. ترى هل تقصده هو؟ بالطبع لا مجال للصدف الآن.

غادرت الحجرة مهرولاً إلى باب المشفى. لحت الحارس جالساً على
مقعدة، وقد غرق في نوبة من النعاس. هززته صائحاً:

- أستيظ يا هذا.

نفض الحارس رأسه قليلاً، وهو يرمقني بتكاسل، وعندما لمح ملامح
وجهي المتجهم، هب واقفاً، وهو يقول بتلعثم:

- أسف سيدي؛ لقد غططت في النوم على الرغم مني.

ثم هز كتفيه بحرج، وهو يواصل:

- الإرهاق كما تعلم.

سألته بتوتر:

- هل لديك مصباح يدوي؟

غاب في حجرته لحظات، ثم عاد به في كفه.

أخذته منه وأضأته، وأشارت له أن يأتي معي ففعل. سار بجانبني، وهو يشير إشارات بيديه لا معنى لها.

- هل حدث شيء يا سيدي؟ عن ماذا تبحث بالضبط؟

لم أجيبه فقد كنت مشغول الذهن في التفكير، والبحث عن ذلك الشخص أو الشيء لو تحرينا الدقة.

- الأمطار يا سيدي.

حقيقة لم أستشعر قطرات المطر وهي تنهمر على جسدي. كل تركيزي كان منصباً على رفع الستار عن تلك الليلة الغامضة المخيفة.

لم أعثر على أي أثر له؛ لكن ما رأيته مطبوعاً على طمي الحديقة جعل شعر رأسي ينتصب كالإبر. وجهت شعاع الضوء جيداً نحو ذلك الأثر، وانحنيت لأسمع لبصري بالتدقيق أكثر. لا شك فيما أراه على الرغم من حبات المطر المنهمر. لقد كان الأثر من الغور بحيث ملأته المياه؛ لكن حوافه الخارجية كانت واضحة بطريقة مستفزة. لقد كانت الآثار لحوافر أشبه بقدمي "تيس" أو "جدي"

ماذا يعني هذا؟

لا أملك إجابة حالياً.

واصلت طريقي أتبع أثار تلك الخطوات العجيبة. كانت غائصة في الأرض الطينية في خط مستقيم، وتنتهي مع نهاية الحديقة، ثم تواصل عبر رمال الطريق حتى... حتى تلاشت تماماً، وكأن صاحبها قد حلق طائراً.

تلقت حولي بذهول شديد أبحث عن باقي الآثار؛ لكنني لم أجد لها أية تكملة. لقد اختفت تماماً في قلب الرمال المبللة بالماء. مما يمثل ظاهرة مخيفة تنضم إلى أحداث الليلة العجيبة!

عند عودتي وجدت أن الممرضة قد عادت إلى رشدها. سألتها بفضول شديد عما رآته؛ فأجابت وهي تخفي وجهها بكفيها:

- في البداية ظننته رجل يمشي محنياً؛ لكن عندما لمحته جيداً وجدت...

- وجدتي ماذا؟ أكملني.

- وجدت أن له قرنان.

رمقتها بذهول حائر، وأنا أقول:

- له ماذا؟ قرنان!

دلفت الممرضة الأخرى إلى الحجرة، وهي تهتف بصوت متهدج:

- لقد مات أحد المرضى.

تفحصت المريض جيداً. وعرفت من تشخيصي لحالته أن أزمة قلبية قد أصابته، ولقي مصرعه بسببها. شعرت بالذنب وتأنيب الضمير. ربما لو

كنت قد مررت على المرضى في موعدي؛ لكان في مقدرتي إنقاذه. ذلك الشيء الذي كان يجول في الحديقة كانت المتسبب في نسياني واجبي الذي أقسمت أن أنفذه.

مهلاً.

لقد كان السبب فعلياً لا مجازاً.

دارت الأحداث في عقلي بسرعة كبيرة، وبدأت أدرك الحقيقة. أثار أقدام " التيس"، والقرنان. هذه هي الصورة العامة عند البعض للشيطان.

فهل هذا هو ما رأيته حقاً؟

هل جاء ليلهيني عن أداء واجبي؟

حقيقة لا أعلم. كل شيء يشير إلى أن هذا ما حدث حقاً. لكن عقلي لا يصدق.

لا يريد أن أصدق.

المقابر المعدنية

عندما كنت تضرب الأرض بفأسك لم تكن تعلم أن هذه هي الليلة المختارة..

صحيح أن عملك بالحرث، وزراعة أراض الغير مقابل أجر ضئيل؛ جعل لذراعيك عضلات بارزة كسنام الجمل في هيئتها، ومنحك قوة لا بأس بها.. لكن من قال أن القوة كل شيء؟

حتى جسدك الفارع العريض كدلفه الباب، وملامح الرجولة في وجهك الأسمر كـ رغيف الخبز، وسيقانك القوية لا يدلون أبداً أن ما ستفكر فيه بعد قليل هو عين الصواب..

لكن دعنا نبدأ الأمر شيئاً فشيئاً ما دمت لم تعلم بعد..

أنت الآن انتهيت من فترة عملك الثانية بالأرض.. شيء مضحك حقاً ما يحدث في هذا الزمن.. بعد أن كان وقت الفلاحة يبدأ من لحظات الشفق الأولى حتى آذان العصر، صار فترتين طوال النهار؛ كأنك تعمل في عمليتين مختلفتين.. كل هذا من أجل بضعة جنيهات إضافية، ووقت مختصر لصاحب الأرض..

ما علينا..

أنت الآن مترجل بهدوء تشق طريقك بين المزروعات.. الليل بدأ يلتهم النهار، والرياح الشتوية تهب وتداعب أطراف عمامتك، وتعبث بجلبابك المشقوب في عدة مواضع.. الطريق طويل لكنك أعتدت عليه مع الوقت..

منازل القرية الطينية السامقة ترمقك في صمت، والأضواء التي تلمحها عبر
فتحات النوافذ، تمنحك بعضاً من دفء الصحبة، وتونس وحدثك؛ فأنت
الوحيد الذي يعمل حتى هذا الوقت..

تساءل بفضول عن ولدك "حامد".. لقد كانت ليلة أمس هي ليلة
الاحتفال ببلوغه العام السابع.. لقد صار كل شيء لك في الدنيا، بعد أن
ذهبت زوجتك إلى دار

الخلود، وتركته يتيم الأم؛ لذلك صرت تمنحه كل عطفك وحنانك،
وتحتفي به كل

سنة ميلاد جديدة من عمره كأهل المدن.. حتى الآن أنت تفكر في
شراء لعبة له أو قطعة من الحلوى؛ كي ترى السعادة على ملامحه الطفولية
البريئة.

تعبر بجوار الساقية المهجورة، وتتقدم قليلاً حتى تقف أمام دار "مديحة"
شقيقة زوجتك الراحلة.. تلك المرأة العظوفة التي تمنح ابنك مشاعر
الأمومة التي يفتقدونها.. لماذا لم تفكر لمرة أن تتزوجها؟ هل هو الوفاء
لزوجتك أم زهدك في النساء على وجه العموم؟

عندما تفتح لك بوجه ممتقع، وأطراف مرتجفة، ستعلم حقاً أن هذه هي
الليلة المختارة.

عندما تدلف إلى الداخل، وتذكر ليلة وفاة زوجتك؛ ستحطم
أعصابك، وستشعر أن الدماء قهرت من جسدك..

لا.. لن تحتل أبداً أن تفقده.. الحجرة أمامك منغلقة، تضرب الباب
بلهفة محنومة، وتعدو نحو الفراش، تتحسس جبهته المشتعلة من أثر الحسى،

وتحتضن جسده الناحل المدثر بغطاء مهلهل.. تحتضنه بلهفة وأنت تصرخ
باسمه.. لا.. لن تدع أي سوء يحسه.. ستحمّله وتذهب إلى الوحدة الصحية..

هل تتذكر مكانها الآن؟

نعم للأسف إنها تقع بعد الطريق المخيف، الذي أطلقتم عليه لفظة "
طريق المقابر المعدنية" .. هل ستعبره حقاً، أم ستنتظر مطلع الصباح؟

أنت تغادر حقاً بدون أن تعطي نفسك برهة للتفكير.. هل تظن أنك
تستطيع العبور سالماً؟ ألا تخاف حقاً، أم أن حبك لابنك أعمى بصيرتك
وعقلك عن ما أنت فاعله؟

أنت كما أنت دائماً.. لم تتغير ولم تبدل.. لكنهم متعجبون !!

لقد انتشرت الهمسات بينهم.. انتقلت من فرد إلى فرد.. حملتها نسبات
الليل الباردة، وطافت بها بين فراغات المنازل الطينية السامقة، وضربت
أسطحها المغطاة بسعف النخيل الجاف.. حملها الماء المعكر بالطمي بين
القنوات المائية الصغيرة، التي تفصل

الأراض الزراعية.. ربما دارت بها الساقية كذلك، وقذفت بها إلى عنان
السماء.

لا مبالغة لو عرفت أنها تناقلت بين البط والإوز والماشية كذلك..
المؤكد أن الهمسات تعاظمت، وتضخمت، وبلغت كامل القرية من أقصاها
إلى أقصاها، ولم يصدق أحد أنك ستفعلها.

هم يعلمون أنك رجل، وكيف لا؟ وقد شهدوا على أفعالك معهم؛
لكن هذا لا يثبت أي شيء.. أن ترفع عصاك الغليظة، وتتلوى رقصاً

رجولياً في الأفراح، وتنثر بعض الوريقات المالية.. أن تزور العليل حاملاً
أكياساً بها ما خفي من أطايب الفاكهة.. أن تمد كفك الحشنة؛ لتساعد
(عمران) الكفيف في عبور الطريق.. أنت شجاع حقاً حتى أنك صرت
رمزاً للقرية..

لكن ما أنت مقدم عليه ليس كزيارة المريض، أو مواجهة العمدة،
وليست (قفة) تحملها عن امرأة ضعيفة.. الأمر أكبر من كل صفات
الرجولة المجتعة داخلك، وأكبر حتى من كل الشجاعة التي تملأ قلوب
أعنى المقاتلين في الحروب..

أهل القرية يتساقطون عليك من كل صوب، ويحاولون منعك..
يقول الشيخ "فتحي":

- دع الأمر يا ولدي.. الصباح رياح.. لو عبرت الآن ستلقي نحبك
مع ولدك.

لكنك مجبر حقاً على عبور الطريق هذه الليلة.. لن تترك ولدك محموم
حتى الصباح.. من يدري ربما لو فعلت لوجدته لحق بأمه، وأنت لن تتحمل
هذا أبداً.

الطريق ممتد، مظلم، مهجور؛ كأنما قد غفل عنه الزمن..
الظلام يضرب بفرشاته السوداء كل الموجودات، ويسكن كل الشقوق
والفراغات.

بذراعك القوية تحمل ابنك على كتفك، نسخة مصغرة منك. ذات
الوجه الأسمر الناحل، وذات الشعر المجعد الأسود. العينان لونهما فقط
يختلف، يشبهان عيني أمه السوداءات..

تتلمس أول الطريق بطرف حذاءك الممزق الملوث بقطع الطمي الجافة،
طمي يحمل رائحة شقاءك وكذك طوال اليوم.

بقلب مرتعد بدأت التحرك، حركة خافتة لو رآها أحد ما ظن أنك
تحركت. خطوة أخرى تخطوها إلى الأمام.

(الوحدة الصحية) تقع بعد نهاية الطريق.. أنت تعلم أن لا سبيل آخر
أمامك إلا عبوره.. لو حاولت تسلق أحد الجبال سيكون أمامك عدد
طويل من الساعات، وربما لقي ولدك حتفه أثناء ذلك.. هذا لو استطعت
تحمل البرودة القاسية بأعلى.. لو حاولت الالتفاف حول الجبال ستته
داخل تيه الرمال، وربما قابلت قطع الذئاب الجائع الذي يسكن هناك..

الوقت ليلاً وأهل القرية حاولوا إثناءك كثيراً عما ستفعله . لكنك
صمت بشكل قاطع . وطلبت منهم أن يساندوك، وأن يذهب معك
البعض حاملين معهم شعلات من النيران . فجأة وجدت نفسك وحيداً،
والجميع يهرول إلى منزله، ويغلقه عليه من الداخل .

- جنباء .

نطقت بها وأنت تشعر بالمرارة الشديدة منهم.

الرياح قهت باردة بين فراغات الجبال، مصدرة صوتاً كالعويل، تعبت
بجلبابك الداكن، الذي انتقيته خصيصاً لتخفي نفسك عن تلك الأشياء.

ماذا لو ظهرت لك تلك الكائنات المرعبة ؟

كيف ستجابهها ؟ هل بالقوة أم بالمنطق والعقل ؟ أي منطق في تلك
الأشياء ؟

الرياح تفشل في تخفيف عرقك الذي تفصد على جبينك، الخوف له
تأثير هائل على جسدك الذي صار يرتعد بلا توقف.

وقفت قليلاً وقد سرت في جسدك رعدة. تمسح المكان بعينيك لتأكد
من أن لا شيء هنا.

خطوة أخرى إلى الأمام تتبعها وقفة. تتجلى لك كتل صخرية بشعة
التكوين. لقد كنت تلهو عندها قديماً. لم تختلف كثيراً إلا في لون الليل
الذي ظللها، يومها هرك جذك وهو يخبرك ألا تعود هنا مجدداً. هذا طريق
الأشباح.

أشباح المقابر المعدنية !

وقتذاك شعرت بفضول شديد عن كنهه تلك المقابر؟ ولماذا هي
معدنية؟

جاوبك جذك ألا تسأل، وأنتك حسن الحظ لأن مجيئك جاء فحاراً، ثم
حذرك بشدة ألا تلج هذا الطريق ليلاً مهما حدث.

ها أنت الآن تفعل بالضبط ما حذرك جذك منه، لكنك للأسف لا تملك
تurf الاختيار.

تشبث بابنك أكثر، وتلقي نظرة خلفك على منازل القرية الطينية
السامقة التي تظهر بعيداً، وكأنك ترغب في أن تستزيد منها ببعض الصُحبة
والآمان؛ لكنها زادتك حقداً وكراهية؛ فالיום فقط عرفت من ظننتهم
عشيرتك حق اليقين.

الطريق يفغر فاهه كوحش خرافي يحاول التهام فريسته، والجبال تحتويك
من الجانبين كما تحتوي ولدك الذي تملل على كتفك. بصوت خافت
يطلق آهة ألم. ترتعد فرائصك من أن يكون صوته من العلو بحيث يوقظ
تلك الأشباح.. لو كان لها أن تنام!! تربت على كتفه بحنان، وشمس
بحفوت :

- صه يا ولدي أرجوك .

يتناهى إلى مسامعك صوت كالهسيس . تلتفت حولك مرتعداً، حتى
كاد قلبك أن يتوقف عن العمل . لكنك سرعان ما تنهدت براحة عميقة ،
عندما أدركت أن الصوت مصدره فتحتي أنف ولدك . الهواء يخرج منها
ثقيلاً مصدراً صفيراً كالهسيس . تحتضنه وتعدل من وضع رأسه، وتواصل
التقدم .

تذكر والدك وهو يحادثك عن تلك المقبرة ..

قال والدك وهو يضرب الأرض بفأسه :

- تتساءل عن المقبرة وأشباحها .. منذ القدم وقد أصابتنا لعنة
الحوادث .. قطار يصطدم بآخر، وقطار يحترق بركابه .. الجميع يذهب بلا
عودة.. المسئولون يرفعون أيديهم عن الاعتراف بأن إهمالهم هو السبب
الحقيقي.. ولأن يد الإهمال امتدت إلى كل شيء، وأي شيء، صار لدى
قريتنا تلك المقبرة المعدنية .. تتساءل لماذا أطلقنا عليها ذلك الاسم العجيب
!! لأنها ليس مقبرة بشرية يا ولدي .. بل هي مقبرة للقطارات التي تحطمت
من جراء الحوادث والتصادم والحرائق .. ولأن لدينا مساحات

ممتدة من الجبال، قاموا بوضع حطام تلك القطارات على جانب الطريق
الذي يقع بين

جبلين شاهقين .. لكنهم لم يدركوا أن يد العمران ستستد لتعبر ذلك
الطريق، إلى الجهة الأخرى .. ولم يدركوا أيضاً أن أشباح ضحايا تلك
القطارات سيعودون مرة أخرى؛ لينشروا الرعب والفرع في الليل .. لهذا
يا ولدي أصبح الطريق محرماً علينا أن نعبه ليلاً مهما حدث .. من يعبره
لا يعود مطلقاً مرة أخرى .

تنبه للطريق، وتتقدم محاذراً قطع الحجارة . تشعر أن كتفك قد تخذل
من طول فترة حمل ولدك . بلطف تنقله لكتفك الآخر . الطفل يتسلسل،
ويعاود النعاس . تنظر له نظرة عميقة مليئة بالحب. تتألم أيضاً من أجله
بسبب الحمى التي أصابته؛ فليس لك في الدنيا غيره.

هل أنت السبب حقاً فيما حدث لأمه؟

هل خشيتك في عبور الطريق سابقاً، وانتظارك حتى مطلع الشمس هما
ما تسببا في وفاتها؟

الأعمار بيد الله.. أنت تعلم هذا حقاً؛ لكن ضيورك اليقظ، وما نشأت
عليه من تحمل المسؤولية؛ جعلاك تشعر بالذنب تجاه ما حدث سابقاً، وجعلنا
رسالتك الآن أن تحمي صغيرك من أي شر.. صغيرك الذي ليس له أي
ذنب إلا أنه مرض في وقت غير محب مطلقاً..

الهاكل المعدنية الرابضة بجوار جانب الطريق بدأت في الظهور.. لقد
أصبحت في حضركم الآن.. تتوقف قليلاً في محاولة لالتقاط أنفاسك
المقطعة.. ترى كم تبلغ شجاعتك في العبور؟ أم هل تفكر في العودة؟

الأجزاء المعدنية ضخمة بحق، وتتناثر أمام بعضها إلى ما لا تستطيع
عينيك أن تبلغه.. هذه هي القاطرة الرئيسية التي تسحب العربات خلفها،
ترمقك بوجهها الأسود، وعينيها الحمراء.. تتساءل عن الغريب الذي
أقلق مضجعها في هذا الوقت؟

تتلمسها في محاولة لبث الطمأنينة إلى قلبك.. هذه مجرد قاطرة معدنية
متفحمة لا تملك لك ضرراً أو نفعاً..

تتقدم بحذر أكثر.. أنت تعلم أن العربات هي ما تعج بالأشباح، وليس
شيء آخر..

تلمحهم من بعيد أمام أحد العربات.. تتجمد الدماء في عروقك،
وتنتصب الشعيرات

على ساعدك.. البرودة تغزو عمودك الفقري، وتمنحك بعض
القشعريرة..

تحتضن ولدك أكثر، وتدقق النظر أكثر وأكثر..

يتمايلون يميناً ويساراً كأهم يرقصون على نغمات مجهولة المصدر..
يتناهى إلى مسامعك فجأة صوت همسات.. تخيفك بشدة وتجعلك تفكر
جدياً في العودة..

الهمسات تصير صيحات.. تلمح ما يتحرك فوق أحد العربات.. المكان
صار يخيفك بشدة، وجعل عقلك يتوقف عن التفكير..

النيران تشتعل فجأة.. تتأجج.. يتلوى الهواء من فوقها، ويختلط بنقط
ضوئية صغيرة في حجم الذباب..

تشعر بانزلاق الصغير من على كتفك رويداً رويداً، تتشبث به، وتعيده
إلى مكانه بقفزة متناهية الصغر؛ كي تعدل من وضعه. الرجة توقظ الصبي،
وتؤلمه كذلك. يبكي فجأة من شدة الألم، ويمزق صوته السكون.

يدب الهلع بقلبك.. تكتم فيه بكفك، وتتوارى جانباً، وأنت تغغم
بخفوت شديد: "لقد تسببت بنهايتنا يا ولدي.. رحماك يا إلهي"

تجلس أرضاً وترتجف من قمة رأسك إلى أخمص قدميك، ومن مآقيك
سالت الدموع، وأنت تردد بخفوت: "لقد تسببت في مصرعنا يا ولدي
.. لقد تسببت في مصرعنا"

تغلق عينيك منتظراً النهاية.. شبح أو شيطان يهجم عليك ويمزقك
أرباباً.. لكن هذا لا يحدث.. هل تعرف لماذا؟

تبتسم للعجوز الذي أطحبك، وتأمل الجلابيب المعلقة فوق حبل رفيع.. تلك الذي ظننتها أشباح تتراقص..

النيران المشتعلة يرقد فوقها (براد) الشاي، والأبجرة تتصاعد من فوهته؛ لتنحك شعوراً محبباً بالألفة والدفء..

يشير العجوز إلى شاب يقبع فوق أحد العربات؛ فيهبط مسرعاً ويصافحك بحرارة..

يقول العجوز:

- سنوات عديدة وأنا أجلس هنا ليلاً مع ولدي هذا.. لقد صار المكان ورشة

لتصليح القطارات.. لكن لا أحد يرغب في العمل هنا عدا أنا؛ لذلك أصبح المكان مكاني. أقضي فيه ساعات النهار حارساً عليها، وفي الليل أصنع ما أشاء.. أجلس وأتسامر مع ولدي أو أصدقائي.. نتحاكى عن الزمن الذي لم يعد كما كان..

تسأله بفضول:

- ألم تقابل أية أشباح هنا؟

يجيب:

- أشباح! لا يا ولدي.. لا أشباح، ولا حتى بشر.. حتى أنني أتعجب من رؤيتك.. أنت أول شخص يعبر هذا الطريق..

تشعر بالتوتر من مرض ولدك، وتحاول التعجل لتصرف؛ فتقول:

- لي حديث مطول معك عند عودتي.

تنصرف بخطوات مسرعة، وولدت كما هو على كتفك.. تشعر بغبطة
لما حققته من نجاح، وما عرفته عن ذلك الطريق الذي لم يعد مخيفاً كما
كان.. ربما تفكر في عدم العودة مجدداً إلى قريتك، بعدما لاقته الليلة
منهم..

كل هذا لا يهم الآن.. المهم أن تقطع الأمتار الباقية بلا خوف.. هذا
سيمنحك سرعة مضاعفة..

ها هو مبنى (الوحدة الصحية) يلوح لك من بعيد.. ستتقذ ولدك كما
هو مقدر لك، وربما ستقص عليه في أحد الأيام ما فعلته.. ربما صارت
قصتك حكاية فلكلورية يتم حكيها في الأمسيات الصيفية.. ربما صارت
أسطورة كذلك..

لن تعلم أي شيء من هذا.. كل ما تعلمه الآن أنك نجحت، وعبرت
ذلك الطريق..

طريق القطارات المخطمة.. وأنقذت ولدك كذلك، وهذا هو المهم الآن،
ولا شيء غيره.

المُلْتَهَم

الجثث معلقة من قدميها .. مسلوخة الجلد بطريقة بارعة للغاية.. المكان شديد البرودة كأي مبرد يحترم نفسه .. ثمة مناضد معدنية عليها أجزاء من قلوب وأكباد بشرية ..

تأمل (عاصم) - الضابط - المكان وقال في اشمئزاز :

- أي جحيم هذا ؟!

أجابه (رأفت) - الطبيب الشرعي - قائلاً :

- يبدو أن هذا المبرد لحفظ جثث الموتى .

غمغم (عاصم) في سخرية :

- يا للذكاء .

بدا وكأن الطبيب لم يسمعه ، وأردف قائلاً :

- ويبدو كذلك أن هذا المكان يخص مُلتهم .

عقد (رأفت) حاجبيه في دهشة ، وردد في تعجب :

- مُلتهم !!

- نعم يا عزيزي .. مُلتهم .. نوع من القتلة المتسلسلين لكنه لا يكفي بقتلهم فقط .. بل انه يأكلهم كذلك .

- يا للبشاعة .. تقصد كأفلام الرعب الرخيصة .

- بل اقصد ما قلته تماماً .. المُلتهم قاتل يلتهم ضحاياه وموجود بالفعل ،

ليس محض خيال .. بل توجد مواقع على شبكة الإنترنت تجمع بينهم ؛ ليتشاركون في الخبرات والهوايات .

- هوايات!! صدقني لو أمسكت هذا السفاح السادي سأمزقه ارباً
وسألتهم قلبه وكبده .

- أنصحك ألا تفعل يا صديقي .. التهام البشر يتحول بمرور الزمن إلى
إدمان لا شفاء منه .

نظر (عاصم) إليه في عدم تصديق ، وقال :

- هل تعتقد فعلاً أنني سأفعل هذا .. إنه مجرد تعبير مجازي .

ابتسم (رأفت) في هدوء ، وقال :

- أعلم يا صديقي .. هو مجرد تباهي بمعلومة .. الآن لنشارك ما
حدث .. لقد جاءك بلاغ من مجهول يقول : إن هناك رائحة عفن مثيرة
للغشيان تأتي من هذا المخزن المهجور .. اقتحمنا المكان لنجد أنه لا توجد
أية رائحة على الإطلاق ، ونفاجئ بهذا المبرد ، وهذه الجثث المذبوحة ..
ماذا تستنتج من هذا ؟

أخذ (عاصم) يفكر بعمق ، وقال :

- نظراً لخبرتي في التعامل مع كافة أنواع الجرائم ، أرجح أن الذي قام
بالاتصال يعرف هذا المُلتهم ويخشاها كذلك ، وليتخلص منه قام بالاتصال
بنا مدعياً انبعاث روائح .. معنى هذا أنه يعرفه عن قرب .. ربما جاره أو
صديق أو حتى أحد أفراد أسرته ..

- تفكير منطقي للغاية يا صديقي .

- وهذا يقودنا إلى أن المتصل عندما أبلغ عن هذا المكان ، يعلم يقيناً
أنه سيقودنا كذلك إلى مقر المُلتهم .. السؤال الآن : كيف ؟

كان (يوسف) عجيب الهيئة للغاية .. ذو بشرة شاحبة ، وملابس رثة
قدرة ممزقة ، وشعر مغبر أشعث ، وعينان غائرتان تحيط بهما هالة سوداء ..
كان كذلك مكبل بالفراش بقيد حديدي !

بكل طاقته حاول أن ينتزع القيد من معصيه بحركة هستيرية .. مطلقاً
صرخات مشوهة بفم ملوث بدماء متخثرة .

أنفرج الباب عن سيدة حسناء في منتصف الأربعينات من عمرها ..
تقدمت نحوه وهي تتلفت في خوف مبهم ، وقالت بصوت خافت :

- اهدأ يا ولدي العزيز .. لا داعي لمحاولتك لفك القيد .. أنت تعلم
أننا ما فعلنا هذا إلا من أجلك فقط .

نظر لها (يوسف) بعينين زائغتين برهة ، ثم هجم عليها فجأة .. لكن
القيد الحديدي أعاده مرة أخرى للخلف.

هتفت والدته في جزع وبعينين دامعتين :

- اهدأ يا ولدي أرجوك ، واحذر القيد حتى لا يمزق معصيك .

ربت على رأسه في حنان .. ثم أسرعَت تغادر الغرفة .

تقدمت نحو المائدة التي يجلس عليها زوجها وأبنها الآخر ، وقالت :

- انه في حالة هياج ، ويحاول فك القيد .

صاح الأب بصوت هادر :

- لقد صار خطيراً للغاية ، وهذا يجعلني أفكر في قتله للخلاص منه
للأبد .

هدأت الأم من ثورته ، وقالت :

- نقتل ولدنا ! لا تنطق بمثل هذه الكلمات مرة أخرى .. مهما حدث منه فهو سيظل ابننا ، ويجب أن نحافظ عليه وعلى سلامته مهما كلفنا الأمر - وماذا سنفعل إذا جاءت الشرطة إلينا مثلاً .

هب الابن في ذعر واضح ، وقال :

- الشرطة !

عقد الأب حاجبيه ، وقال بلهجة حذرة :

- ماذا دهك . نعم الشرطة .. هل تظن أنها لن تعلم .. صحيح أننا اتخذنا اللازم ، وقيدناه بالجدار ، ولا يوجد أي دليل .. لكن ماذا سنفعل إذا ما جاءوا ورأوه على هذا الوضع .

أنطلق صوت طرقات عالية على باب المنزل .. جزع الجميع على نحو واضح ، وهتف الأب بصوت وجل :

- من ؟

أتاه صوت قوي عميق النبرات ، يقول :

- عاصم .. ضابط مباحث .

تأمل (عاصم) وجوه الجميع بنظرة متفحصة .. تأمل الأم الحسنة على الرغم من سنّها المتقدم ، وتأمل الأب التي تشي ملامحه بأصل عريق ، والابن ذو العوينات والتي دلت هيئته أنه طالب طب أو هندسة ، وقال :

- اعتذر إن كنت تسببت لكم في أي قلق .. لكنني هنا لأمر حيوي وهام إلى أقصى حد .

جلس معهم وأخذ يقص أحداث اليوم ، ثم أكمل قائلاً :

- وقادنا المخزن إليك يا سيدي .

أخرج الأب منديلاً ورقياً معطراً ، وأخذ يجفف به عرقاً وهمياً ، وقال في توتر :

- نعم .. نعم .. هذا المخزن تابع للشركة التي امتلكها .. لكنه مهمل إلى حد كبير ؛ فكما تعلم أن الأغذية والمأكولات تنفذ سريعاً .. هل تتخيل أن صفقة الخضروات المجمدة نفذت في يوم واحد .

نظر (عاصم) له طويلاً ، ثم قال :

- من يملك مفاتيح المخزن غيرك ؟

- أمين المخزن .

- وأين هو ؟

- انه مريض للغاية ، وقدم على طلب معاش مبكر .. ونظراً لسلوكه القويم طوال فترة عمله منحه ما يريد .

تأمل (عاصم) الابن ، وقال :

- أنت طالب طب .. أليس كذلك ؟

أخذ الابن يفرك كفيه في توتر ، وقال :

- في الحقيقة أنا طالب بكلية التجارة .

مط (عاصم) شفثيه في ضيق لعدم صحة استنتاجه ، ثم قال موجهاً كلامه للأم :

- وأنت يا سيدي ماذا تعملين ؟

نقلت الأم نظراتها بين زوجها وابنها في توتر ، وابتسمت وهي تقول في تلثم :

- لا .. لا اعمل يا سيدي .. انا متفرغة للمتر .
- سألها (عاصم) على نحو مباغت ، وقال :
- هل لديكم أبناء آخرون ؟
- ندت آهه من بين شفتي الأم ، وقالت :
- لا .. لا .. أ .. أقصد نعم .. نعم .
- عقد (عاصم) حاجبيه في انتباه ، وقال :
- نعم أم لا .
- نعم يا سيدي .. لدينا ولداً آخر .. ابني الأكبر (يوسف)
- وأين هو الآن ؟
- هو .. هو .. انه مريض .. نعم .. نعم .. مريض ويمكث عند والدي حين شفائه .
- تناهى إلى سمع (عصام) صوت مكتوم ، فقال في حذر :
- ما هذا الصوت ؟
- زاغت نظرات الأم ، وقالت في توتر شديد :
- هذا ابني (يوسف) كما قلت لك انه مريض للغاية .
- نظر لها (عاصم) في حدة ، وهتف قائلاً :
- لقد قلتي سابقاً انه عند والدتك .

- نعم .. نعم .. عند والدي .. اقصد كان .. لقد آتى اليوم .. الجو
يزداد برودة .. هل اعد لك قدح من الشاي .

- أشكرك يا سيدي .. هل يمكن رؤيته ؟

- من ؟ رؤية من ؟ نعم نعم بالتأكيد .. أنت تقصد ولدي يوسف ..
لكني كما قلت مريض .. مريض للغاية .. مرض معدي .. نعم .. نعم ..
هو كذلك .. مرضه معدي للغاية . . هل اعد لك الشاي .. كم تريد
ملعقة سكر؟

تأملها (عاصم) في حيرة ، وقال :

- حسناً يا سيدي .. أشكرك كثيراً .. ملعقتان سكر فقط .

ذهبت الأم لتعد الشاي .. بينما ألقت (عاصم) إلى الأب ، وقال :

- هل تستطيع يا سيدي التفكير في شخص يستطيع أن يستعمل مخزنك
دون علمك ؟

اخذ الأب نفساً عميقاً ، وقال :

- في الحقيقة لا .. المخزن مهجور منذ فترة كبيرة ، ويقع في منطقة
ناحية مهجورة ، ويستطيع أي شخص أن يحطم أقفاله ويضع غيرها بمنتهى
السهولة .

وقف (عاصم) ، قائلاً :

- هل تسمح يا سيدي بتفتيش متروك ؟

وقف الأب بدوره ، وقال في حيرة :

- وماذا تظن أنك ستجد هنا .. أنا رجل أعمال محترم ، وارفض هذا
الأسلوب . ثم هل تملك تصريح بهذا ؟

- لا يا سيدي.. هو مجرد طلب .. أنت تعلم إن هذه الجريمة بشعة وخطيرة إلى أقصى حد.. في الصباح وعند نشر خبر المخزن والجثث سينقلب المجتمع رأساً على عقب ، وسيدب داخله الرعب والفرع لوجود سفاح طليق يלתهم البشر .

هز الأب رأسه ، وقال :

- للأسف لن نستطيع أن أفيدك في شيء .

توجه (عاصم) نحو الباب ، وهو يصيح في صرامة :

- سنرى عندما احضر مرة أخرى ومعني التصريح اللازم .

جاءت الأم تحمل صحيفة عليها أقداح الشاي ، وقالت في هدوء نفسي:

- الشاي يا سيدي .. هل ستذهب قبل تناوله ؟

جذب (عاصم) الباب وهو يقول :

- شكراً يا سيدي .. المرة القادمة عند

تناهى إلى مسامعه فجأة صوت جلبة وصليل معدني وهمهمات مكتومة .. أخرج مسدسه في سرعة ، وهو يقول : ما الذي يحدث هنا ؟

قرن قوله باندفاع مفاجئ تجاه الغرفة المغلقة التي آتى من جوفها الصوت ، لكن الأم أسرعته تعترض طريقه وهي تقول :

- أرجوك يا سيدي لا يوجد شيء هناك .

أزاحها (عاصم) عن طريقه في خشونة ، وهو يصيح : ابتعدي .

أسرع يدفع الباب بكل قوته لكنه آبي أن يتزحزح ؛ فأخذ يركله بقوة ، وهو يقول :

- قدح من الشاي .. أليس كذلك .. كي تغلقي الباب بالمفتاح .
- هجم عليه الأب يحاول تكبيله ، بينما أخذت الأم تصيح قائلة :
- سيدي .. لا يوجد شيء هنا .
- انفتح الباب بقوة ، وشاهد (عاصم) الابن العجيب الهيئة . المكبل بالأغلال .. تأمله في ذهول وهو يهتف :
- ما هذا بحق الجحيم ؟

- تقدم (عاصم) في ببطء ، وهو يتأمل هذا الشيء المكبل بقوائم الفراش ، وقال :
- هذا هو الملتهم .. ابنكم .. أليس كذلك ؟ تحاولون حمايته .
- هزت الأم رأسها نافية ، وقالت :
- لا ليس هو .
- عقد (عاصم) حاجبيه في عدم فهم ، وقال
- ماذا تقصدين ؟
- هجم الأب والأم والابن فجأة على الضابط ، وهتف الأب وهو يقول في شراسة :
- كلا .. ليس هو .. بل نحن .. نحن الملتهمون .
- ثم نشب أسنانه في رقبة (عاصم) لينتزع منها جزء كبير .. تاركاً مكانها فجوة اندفعت منها الدماء كالنافورة .. بينما صرخات عاصم تتعالى في ألم رهيب .
- أخذ الأب يلوك القطعة في تلذذ .. بينما هتفت الأم قائلة :
- ألن تنتظر حتى نقوم بطهيه يا عزيزي .

هتف الأب في توحش :

- لا .. أنا أفضل اللحم الطازج والدماء الساخنة .

تراجع الابن المكبل بالفراش في رعب وذهول ، وحاول التقيؤ لكن جوفه الفارغ رفض .. تقدمت والدته وهي تحمل قطعة من اللحم ، وقالت:

- هل رأيت هيئتك كيف صارت .. كل هذا بسبب رفضك أن تتناول اللحم البشري وذعرك الغير مبرر مننا .. لقد غارت عيناك وهزل جسدك .. لا اعلم ما الذي جعلك مختلف عنا .. الأدهى انك قمت بالاتصال بالشرطة تبلغ عن ثلاجة طعامنا .. وهذا سيجعلنا نترك هذا المكان إلى مكان آخر بعيد .

همهم الأب في صوت مبهم متحشرج .

تحسست والدته الدماء المتجمدة على فمه ، وقالت في آسى :

- للأسف لن تستطيع الكلام بعد الآن .. بعد ان انتزعنا لسانك .

ثم تأملت ابنها الآخر الذي اهملك في التمزيق والأكل ، وقالت :

- من الجيد أن ابني الآخر لم يكن مثلك ، وإلا لتفككت أسرتنا السعيدة .

تأملت قطعة اللحم تتشمسها في تلذذ ، ثم أنشبت فيها أسنانها لتلوكها في استمتاع بالغ .

عويل الأشباح

أقبع داخل حجرتي، وقد أشعلت جميع الأنوار؛ لتبدد أي شبر من
الظلام ..

وكنت أرتجف هلعاً ..

أرتجف من ذلك العويل ..

عويل الأشباح ..

(أسوان) الساحرة ..

حيث النيل المتلألئ تحت أضواء القصر البلوري، وأضواء المراكب
البديعة التي تتهاذى على سطحه ..

(أسوان) حيث عبق التاريخ، وأثار الفراعنة، وأصالة أهلها، ورائحة
أمجادها.

هبطت بخطوات بطيئة من القطار، وتمطيت كهرة كسولة من تأثير
الرحلة الطويلة على عضلات جسدي .. وخرجت أبحث عن مواصلة تقوم
بتوصيلي إلى فندق (سلسيله) .. وجدت عربات كثيرة من نوعية
(الكارثة)؛ فانتقيت منها واحدة، وذهبت إليها، وأنا أقول لسائقها النوبي
العجوز:

- فندق (سلسيله) .

أشار لي السائق أن أركب .. وضعت حقيقتي الوحيدة، وجلست جوارها، وسرعان ما دوى صوت فرقعة كرباج في الهواء، ثم أعقبه صهيل الحصان، وبدأت العربية في التحرك ..

تأملت الطريق الترابي، وقد منحه الليل هدوءاً وجمالاً محبين إلى النفس، ولحت على مبعدة - من بين الأشجار - شريان النيل الخالد يجري بنعومة ورقة ..

كنت مدعو - بصفتي الصحفية - لتغطية بعثة أثرية تنقب عن الآثار الفرعونية .. لا بد أنكم لحتم اسمي مرة على الأقل يتصدر مقالة عن الآثار المصرية .. أدعى (أسامة الزيتي) صحفي بأحد الجرائد القومية، ولي صفحة كاملة أتكلم فيها عن آثار مصر المتنوعة .. تنقلت داخل القطر المصري كثيراً لعمل تحقيقات صحفية، التي كان هدفها الأساسي هو تعريف القراء بعظمة أمجاد أجدادنا القدماء .. ليس الأمر مقتصرًا بالطبع على الآثار الفرعونية .. فهناك الآثار الإسلامية، واليونانية، و...و... الخ .. وحتى الآثار القرية العهد لنا؛ كبرج القاهرة، ومسجد الأزهر الشريف .. في الحقيقة كنت أشعر دائماً أنني أقوم بعمل قومي نبيل، وأرجو أن أكون على حق ..

كما قلت سابقاً " كنت مدعو لتغطية بعثة تنقب عن الآثار الفرعونية " .. لقد هاتفني صديقي (صلاح) المشرف على هذه البعثة، وزف لي نبأ قرب عثورهم على مقبرة فرعونية كاملة .. البعثة كلها من الأجانب .. لكن كما تعلمون لا بد من أن تعمل تحت إشراف هيئة الآثار المصرية؛ حتى لا يتم تسريب بعض الآثار إلى الخارج .. وهذا كان تخصص صديقي، ومعه مساعد ما ! و مترجم أيضاً إذا استدعت الحاجة إليه ..

توقفت العربية أمام الفندق الصغير الجميل الهيئة، وترجلت منها بعد أن نقدت السائق أجره، ثم هلت حقيقتي، وتوجهت إلى داخل الفندق .. لا بد لي من بعض الراحة؛ فالغد سيحمل لي الكثير من العمل والجهد .

كانوا يحفرون قلب الجبل .. ضربة وراء ضربة، تتناثر الأتربة، وتتساقط الصخور.. كانوا خمسة من الرجال الأشداء يحفرون بهمة، وقوة، ونشاط .. وكان الحر قائظاً، والشمس ملتهبة ترسل نيرانها لتزيد من حرارة الأجساد، التي غمرها العرق الغزير ..

رفعت زجاجة بلاستيكية لأروي عطشي، لكن الماء الساخن زادني عطشاً، وزاد جوفي سخونة..

قلت بخمول من تأثير الحر:

- لم أكن أعلم أن الشمس حارقة هكذا في فصل الربيع !!

ربت صديقي (صلاح) على كتفي، وقال مواسياً :

- لا تنسى أننا قرييين من خط الاستواء، والشمس تكون حارقة للغاية، وللأسف لن نجد في هذه الأرض القاحلة أية قطعة ظليلة .. لكن أبشر يا صديقي .. لقد اقتربنا كثيراً من باب المقبرة .

ألتفت إليه، وأنا أخرج منديلاً كي أمسح به العرق الغزير الذي ملأ وجهي، ثم أشرت إلى عدد من الخيام، وقلت يارهاق :

- ألا يمكن أن نستظل داخل هذه الخيام ؟

هز صديقي رأسه نافياً، وقال بلهجة العالم ببواطن الأمور :

- لا .. هذه الخيام تحبس حرارة الشمس داخلها .. ببساطة أكثر هي قد صارت الآن كالموقد المشتعل.. ولو مكثنا داخلها سيكون الوضع أسوأ بكثير .

ثم أشار إلى الرجال الذين يحفرون الجبل، وقال :

- أنظر إلى هؤلاء الرجال كيف يتحملون قسوة الطبيعة، وحرارة الشمس الملهبة .. تحمل قليلاً مثلهم، وصدقني لقد قارب الأمر على الانتهاء .

تأملت قلب الجبل الذي لم يتأثر كثيراً بضرباتهم القوية، وقلت بلهجة ساخرة :

- يبدو أن هذا سيحدث بعد شهر من الآن .

خذلني أحد الرجال عندما صاح :

- لقد وجدنا البوابة.

أسرع صديقي يركض باتجاه البعثة، وتحدث معهم بكلمات سريعة؛ ليهرعوا جميعاً بعد ذلك في اتجاه البوابة المكتشفة ..

أخرجت من حقيقتي الجلدية كاميراً صغيرة؛ لألتقط بها بعض الصور، وهرعت خلفهم بحماسة، وقد تناسيت حرارة الشمس.. وما أن وصلت إلى حيث يقفون حتى شعرت بعظمة الفراعنة .. لقد كان جزءاً صغيراً فقط يظهر من البوابة، لكن على هذا الجزء شاهدت النقوش والرسومات الفرعونية الملونة، والتي بدت وكأنها نقشت بالأمس فقط .. آلاف السنين مرت على هذه المقبرة، لكنها ظلت صامدة بآثارها ونقوشها حتى الآن .. كم أشعر بالفخر كثيراً؛ فهؤلاء هم أجدادي العظماء ..

تحسس أحد رجال البعثة الأجانب النقوش بحنان مبالغ فيه، ثم أشار إلى الرجال أن يواصلوا الحفر .. بينما أخرج هو فرشاة متوسطة الحجم أخذ يزيل بها الأتربة من على الواجهة المكتشفة للبوابة ..

واصل الرجال الحفر بناء على توجيهات (الخواجة) كما ينعنون، وشيئاً فشيئاً بدأت البوابة بالكامل في الظهور .. كانت كبيرة الحجم نسبياً، تبلغ حوالي أربعة أمتار طولاً، وثلاثة أمتار عرضاً ..

أشار (الخواجة) للرجال أن يتوقفوا عن العمل، ثم أشار لرجال بعثته لبدء عملهم، الذي كان إزالة الأتربة بعناية شديدة عن واجهة البوابة،

والاستعداد لفتحها .. بينما أخذت أنا ألتقط صوراً للبوابة، ولرجال البعثة وهم يعملون..

اقترب (صلاح) مني، وربت على كتفي مشجعاً، وهو يقول :

- ها قد اكتشفنا البوابة يا صديقي .

واصلت التصوير بعناية واهتمام، وأنا أقول :

- وماذا بعد ؟

مسح العرق الغزير من على وجهه بمنديل ورقي صغير، ثم قال :

- سنفتح البوابة بالطبع، ونحصى الآثار .

تأملته متعجباً، وأنا أقول :

- ولماذا ستحصونها ؟!

ابتسم على الرغم منه، وقال:

- وكأن هذه المرة الأولى لك .

بادلته الابتسامة قائلاً :

- هي أول مرة فعلاً .. فلم أكن سابقاً مع بعثة استكشاف .. كل

تحقيقي عن آثار موجودة بالفعل .

هز رأسه متفهماً، وقال:

- سنحصى الآثار كي لا يتم سرقتها، وأيضاً استعداداً لتسليمها إلى

هيئة الآثار؛ ليتم نقلها إلى مخازنها استعداداً لعرضها على الجمهور بالمتحف المصري.

سألته متعجباً، وأنا أشير إلى أفراد البعثة الأجنبية:

- وماذا عنهم؟!

هنز كفيه بعدم فهم، وقال متسائلاً :

- وماذا عنهم؟!

ثم أدرك مغزى سؤالي؛ فأجاب:

- سيعودون إلى بلادهم بالتأكيد .. هل كنت تعتقد أننا سنمنحهم بعضاً من أثارنا؟!

هنزت رأسي، وقلت:

- كلا بالطبع .. لكن بماذا سيستفيدون بعد كل كدهم وتعبهـم هذا؟

عاد صديقي لمسح عرقه، وقال:

- سيقومون بإصدار كتاب على غرار "مغامرتنا الاستكشافية للآثار الفرعونية" .. هم لا يبحثون عن المال؛ بل يبحثون عن مجد تاريخي، كما فعل سابقاً (هاورد كارتير) العالم الأثري الذي أكتشف مقبرة (توت عنخ آمون).. هذا هو كل ما يهمهم .

قلت له بلهجة متوترة:

- بمناسبة ذكر مقبرة (توت عنخ آمون) .. هل تعتقد أننا سنقابل لعنة ما؟!

انطلق يضحك بقوة، وهو يقول :

- لا تقل لي أنك تعتقد في مثل هذه الخزعبلات .

طأطأت رأسي بحرج، وقلت مرتبكاً :

- أنا لم أقابل لعنة من قبل .. لكن الاحتياط واجب و.....

قاطعنا فجأة مساعد (صلاح)، وهو يقول :

- أفراد البعثة يقومون الآن بفتح البوابة .

هرع صديقي وأنا خلفه؛ لمتابعة هذا الحدث التاريخي .. أخرجت الكاميرا استعدادا للتصوير.. بينما تقدم صديقي بين أفراد البعثة؛ ليمد لهم يد العون .. وبدأ الجميع يدا واحدة في فتح البوابة ..

بدأت البوابة تتزحزح من مكانها، وبدأت الأتربة بالتساقط.. وما أن انزاح جزءاً صغيراً من البوابة حتى تعالى صوت صفير مكتوم، أعقبه موجة ساخنة كريهة الرائحة ..

هتف صديقي معللاً :

- الهواء داخل المقبرة سجين منذ آلاف السنين؛ لذلك عند خروجه تعالى صوت الصفير هذا، مختلطاً بالموجة الساخنة .

هززت رأسي متفهماً، وواصلت التقاط الصور .. وجدير بالذكر أن أذكر لكم أن كاميرتي من النوع الرقمي الحديث، ولا تحدث فلاشاً .. لأنني علمت سابقاً أن فلاش الكاميرا يفسد شيئاً ما بالآثار!

انفتحت البوابة بالكامل بعد جهد جهيد، ومن خلفها ظهر للعيان القطع الأثرية الموضوعة في أرجاء المقبرة، والتابوت الحجري المهيّب.. لكن ما لفت نظري تحديداً كانت تلك المسلة، التي تقف منتصبة وسط المقبرة تماماً، وبالقرب من البوابة .. كانت تحفة فنية بكل المقاييس بتلك النقوش المتناثرة على سطحها، وبطولها الفريد الذي لا يتجاوز الثلاثة أمتار ارتفاعاً

لفتت المسلة الحجرية أنظار رجال البعثة أيضاً، وتحسّسها أحدهم، وهو يقول بلغته الأجنبية:

- لم أرى مطلقاً مسلة بهذا الجمال وبهذا الطول .. جميع المسلات ذات ارتفاع شاهق، والنقوش عليها ليست بهذه الوفرة.

كانت لغته أمريكية؛ لذلك فهمت ما يقوله بسهولة.. سألته بذات اللغة:

- هل عرفت من صاحب هذه المقبرة ؟

هز رأسه نافياً، وأشار إلى النقوش العديدة التي تملأ الجدران، وقال:

- ليس قبل أن تقوم بفك هذه الرموز .. لكن على الأرجح هذه المقبرة ملكية.

ثم أشار بيده إلى الكنوز العديدة، وقال:

- الكهنة والشعب لا يتم دفن كل هذه الكنوز معهم .

دلفت إلى داخل المقبرة وأوصل التقاط الصور، ثم توجهت إلى صديقي قائلاً :

- والآن ماذا ؟

أجابني بنبرة مرهقة:

- سيقبع أحد الحراس أمامها لحراستها، وسنقوم بالجرد غداً صباحاً.

ثم أشار إلى السماء قائلاً:

- الليل قارب على الجيء، والمقبرة تحتاج إلى التهوية.. نقص الأكسجين قد يصيب من يمكث داخلها بالإغماء.

أومات برأسي متفهماً، وقلت بارتياح :

- هذا أفضل كثيراً .. سأذهب لأنعم بحمام منعش، وبيعض الراحة .
صافحته مودعاً، وذهبت في طريقي إلى الفندق مترجلاً؛ فلحسن حظي
كان قريباً من هنا للغاية .

استيقظت في الساعة مساءً، وأنا أشعر يارهاق شديد.. فحضت متكاسلاً
وجوفي يئن من الجوع؛ فلم أكن قد تناولت غدائي بعد.. تشاءبت بقوة،
ورفعت سماعة الهاتف لأطلب طعاماً أسكن به جوعي، ثم فحضت مفكراً
"ماذا أفعل طوال المساء؟"

فكما تعرفون أن عملي لن يبدأ قبل الصباح.. قررت بعد أن أنتهي من
طعامي أن أخرج للتتره قليلاً، وربما أجد مقهى ما أجلس عليه، أو أهاتف
صديقي ليقضي معي بعض الوقت..

جاءني الطعام، وانتهيت منه سريعاً، ثم فحضت لأغير ملابسي استعداداً
للخروج ..

انفتحت النافذة بغتة اثر موجة هواء شديدة.. كنت قد تناسيت أن
الرياح الخماسينية بـ(أسوان) تكون أقوى في شدة هبوبها من تلك التي
تهب على العاصمة.

فجأة تعالى ذلك الصوت الذي جعل جسدي يقشعر، ويرتعش خوفاً ..
كان صوت عويل ما !!

عويل حاد ومرعب للغاية ..

كان أشبه بعويل الذئاب عند شعورها باقتراب خطر ما، أو بنواح
الكلاب الحزين، لكنه يختلف قليلاً .. كأنه عويل ذئاب مختلطاً بزئير أسود،
وأنين فيلة .. كان صوتاً مربعاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

تعالى الصوت بدرجة أعلى بكثير، حتى أنه كاد أن يمزق طبلي أذني ..
نظرت بحذر من النافذة لألح رجلاً تركض بلا وعي .. فدب بي الخوف
بدرجة أعلى وأكبر ..

أغلقت النافذة كي أخفف من حدة الصوت، لكن الصوت كان له
قدرة عجيبة على اختراق الجدران، والوصول إلى بنفس الدرجة من
العلو..

مع ارتفاع حدة الصوت، واستمراره بلا توقف؛ بدأت أشعر بتحطم
أعصابي .. جلست على أرضية الحجرة، ووضعت كفاي على آذني كي
أمنع عنهما هذا الصوت المريع.. لكن الصوت ظل مستمراً ومصرأً على
تحطيم أعصابي ..

تناهى إلى مسامعي صوت ضجيج قادم من أسفل، ثم أعقبه صوت
صرخات عالية لأنثى تصيح:

- توقفوا بالله عليكم .. توقفوا.

وجدت جسدي رغماً عنه يرتجف .. ووجدت نبضات قلبي تتعالى
بصوت مسروع .. لقد تملكني نوعاً من الرعب الشديد لم أقابله قطاً في
حياتي .. فهضت بصعوبة وأنا أجرجر قدمي، وضغطت على جميع أزرار
إضاءة الحجرة؛ لتسبح بالكامل في ضوء ساطع ..

وقبعت بركن الحجرة وأنا أرتجف هلعاً ..

أرتجف من ذلك العويل ..

عويل الأشباح .

جلس (صلاح) مع رجال البعثة أمام الخيام، وأمامه كان موضوع براداً
ممتلئاً بالماء فوق بعض الحطب المشتعل، وكانت المياه داخله تغلي، وتصدر
صغيراً متقطعاً، وبخار الماء يندفع إلى عنان السماء كبركان ينفث اللهب، أو
كالقطار القديم الذي كان يعمل بالفحم ..

عبث (صلاح) قليلاً بالنيران المشتعلة أسفل براد الماء، بواسطة عصا
صغيرة، ثم أشار بذات العصا إلى أحد رجاله كي يصب الماء داخل الأقداح
المعدة للشاي ..

كان عقله مشغولاً للغاية بتلك المقبرة، وكل خشيته أن يتم سرقة شيء
منها من وراء ظهره.. لقد كان يحب عمله حقاً، لكن حبه الأكبر كان
لوطنه الحبيب، وأثاره العريقة.. لن ينسى مهما استطاع حادث سرقة
المسلة المصرية قديماً .. تلك المسلة التي يضعها الأمريكان أمام (البيت
الأبيض) بطريقة تستغفه كثيراً، ولن ينسى كذلك رأس (نفرتيتي) المسروقة
التي تعرض بالخارج ..

أرتشف (صلاح) بضعة رشقات من الشاي، ثم تنهد وهو يشعر بالكثير
من الراحة لانهاء الجانب الشاق من مهمته..

فجأة هبت تلك الرياح الباردة، ودوى صوت العويل المرعب..
تلقت حوله بفزع يتأمل رفاقه؛ ليجد أثار الرعب تنحت ملامحهم ..
هب واقفاً والصوت مازال يدوي بشكل أكثر رعباً وقوة .. كان من
المؤكد أن مصدر الصوت تلك المقبرة المكتشفة اليوم..

سد (صلاح) آذنيه بكفيه؛ لمنع ذلك الصوت الرهيب من الوصول
إليهما، وألقت نظر تجاه المقبرة برعب شديد .. لقد لمح شيئاً مفرعاً يخرج
من جوفها..

شيئاً يناهز المترين طولاً، ويرتدي الملابس الفرعونية الشهيرة، وكان وجهه مخيفاً للغاية.. كان الوجه ممثلاً لوجه (بن آوى)، ذلك الوجه المرسوم على النقوش الفرعونية قديماً .. تراجع (صلاح) بفزع شديد، وذلك الشيء يتقدم منه بخطوات بطيئة مخيفة..

الصوت ما زال يسري؛ ليشير حالة من الفزع والهلع بين أفراد البعثة والعمال .. هتف أحد العمال برعب شديد :

- أبعادوا هذه النداهة عني .

كان للرعب حضوراً طاغياً بحق هذه الليلة .. حضوراً مهيباً ومخيفاً .. ولم يكن أمام (صلاح) وبقية الرجال إلا الفرار منه بكل قواهم .
لذلك ركضوا بكل ما يملكون من قوة للفرار من بطشه..

ورعبه.

مازال الصوت مستمراً بلا انقطاع .. ومازلت قابلاً مكاني أرتجف من الرعب .. حاولت أن أفكر في طريقة للخلاص من هذا الصوت؛ لكن الصوت كان يشتم تفكيري، ويبدد تركيزي بدرجة مستفزة ..

لحت بغتة تلك الأشياء التي تخرج من جدران الحجرة ..

أشياء مفرعة مسرلة بالسواد، ولا يظهر من وجهها شيئاً، وكأنها تلتحف بالظلام ذاته ..

حلقت تلك الأشياء في فضاء الحجرة، ثم توقف أحدهم، وأقرب مني ببطء شديد ومخيف ..

وعند اقترابه لحت وجهه .. كان وجهه مريعاً ومخيفاً إلى أقصى درجة، وكأنه.....

حقاً لا أستطيع وصفه، ولا حتى النظر له لثانية واحدة .. لقد كان شنيعاً حقاً .. شنيعاً لدرجة أن قلبي توقف عن العمل من فرط الهلع، وعند توقفه تماوجت الحجرة أمامي، ثم أظلمت تماماً وأنا أهوي كتمثال من الصخر .

استعاد عقلي الوعي بغتة، وأنا اشعر بألم هائل يكاد يحطم ضلوعي .. وجدت عدة أعين تحديق بي إشفاقاً، ولحت صديقي يربت على كتفي قائلاً بخنان:

- مبارك لنا عودتك يا صديقي .
ففضت ودوار خفيف يعتريني، ثم جلست على طرف الفراش، وأنا أقول بوهن :

- ماذا حدث؟

جلس صديقي بجواري، وأحاط كتفي بيده، وهو يقول :
- لقد أصابتك سكتة قلبية، وظللت فترة أحاول إنعاشك .
صمت برهة ثم أردف:
- لقد أصبتي بالخوف عليك .. حمداً لله على عودتك سالماً .
رفعت كفي إلى رأسي عندما تذكرت كل شيء، وهتفت برعب :
- العويل .. ذلك العويل الرهيب، وتلك الأشباح المفزعة .
ثم تلفت حولي بدعر، وأنا أكمل :

- هل انتهى كل شيء ؟

أوماً صديقي برأسه، وهو يقول :

- نعم يا صديقي .. لقد توقف هذا الصوت تماماً .

سألته بلهفة:

- وهل عرفت مصدره ؟

أوما برأسه مرة أخرى، وهو يقول :

- نعم .. إنه صادر من عند المقبرة .

سألته مستفسراً :

- وما مصدره ؟ هل هي لعنة ما ؟

هز رأسه نافياً، وقال :

- لا أحد يعلم .. لقد كنا نقبع أمام خيامنا، عندما تعالى ذلك العويل فجأة؛ فشعرنا جميعاً بالرعب، وهرعنا ركضاً لنلوذ بالفندق .. الصوت كان رهيباً حقاً، وبدأت تلك الأشياء المربعة بالظهور .. أنا رأيت رجل من الفراعنة برأس (بن آوى)، وآخر رأى (النداهة) .. وللأسف لم يكن قلبك الوحيد الذي لم يحتمل .

صمت قليلاً، ثم قال بأسى :

- لقد لقي الحارس الموكل بحراسة المقبرة مصرعه، ولم ننجح للأسف في إسعافه .

سألته مرة أخرى:

- كان هناك صوت صراخ أنثوي، هل تعرف مصدره ؟

نهض ببطء، وهو يقول :

- إنها أحد نزيلات الفندق .. لقد أصيبت بانفجار عصبي .

ثم أخرج سيجارة، وأشعلها بأصابع مرتجفة، وهو يقول :
- في الحقيقة لقد كانت الليلة رهيبة للغاية .. من أكثر الليالي المفزعة
التي مرت علي .

توجه إلى باب الحجرة، وقال وهو يشير إلى :
- حاول أن تستريح بقدر الإمكان؛ فالغد سيكون شاقاً للغاية، ولا بد
لنا من محاولة فهم كنه هذا الصوت، وحقيقة تلك الأشياء .

ثم غادر الحجرة يتبعه رجاله.. بينما جلست أفكر بحيرة شديدة ممزوجة
بالرعب والقلق :

- ماذا لو حدث هذا مجدداً قبل بزوغ شمس الصباح ؟! ماذا أفعل
حينذاك ؟

كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحاً، وقد جفاني النوم.. من
يستطيع النوم في وسط كل هذه الأحداث المخيفة والمفزعة ؟!

تجولت داخل حجرتي ذهاباً وإياباً، وعقلي يكاد يشتعل من كثرة
التفكير.. أخرجت سيجارة وأشعلتها، ثم زفرت دخانها ليخرج كتلة
متناسكة سرعان ما بعثرها الهواء، وبددها إلى غياهب الجهول ..

توجهت نحو النافذة أتأمل الكون وأواصل تفكيري .. نسمات الهواء
أصبحت هادئة ورقيقة للغاية، تنعش الروح وترطب الذات .. لكن الجمال
ليس دائماً للأسف؛ فسرعان ما هبت موجة هواء شديدة لطمت وجهي
بقوة ..

وفجأة..

تعالى ذلك العويل مرة أخرى بشكل مفاجئ.. ارتعشت خوفاً، لكنني حاولت التغلب على هذا الخوف بأية طريقة ..

ذلك العويل مرعباً حقاً .. لقد بدأ الرعب يغزو قلبي وجسدي .. تلفت حولي بهلع بحثاً عن تلك الأشباح .. لو رأيتها مرة أخرى سأقضي نحبي للأبد هذه المرة ..

الرياح الشديدة تضرب النافذة، وتحركها بضجيج أزعجني .. الصوت مازال يتردد ويعلو .. سددت آذني بكفي، وجلست على أرضية الحجر؛ أحاول التفكير في طريقة للخلاص، لكن الصوت كان يشتم تفكيري من شدته واستمراره المفزع ..

انطفأت فجأة أنوار الحجر لتسبح في ظلام مهيب مرعب، وتملكني الخوف بشكل أكبر بكثير .. وما زاد الأمر سوءاً هو ظهور تلك الأشباح .. كانت تندفع ببطء مهيب ومخيف عبر فتحة النافذة متجهة نحوي .

أغلقت عيناى بقوة كي لا أراها، وتساءلت برعب " هل ستكتفي بالتجول في فضاء الحجر؟ أم ستنهش جسدي؟! "

ضغطت بكل قواى على آذني حتى أمتنع ذلك الصوت من الوصول إليهما .. خفت الصوت بالفعل، وجعلني أستطيع التفكير لبضعة ثوان .. ماذا لو استطعت كتم الصوت بشكل فئائي ؟

هل سيدد هذا الرعب الذي تملكني ؟ وماذا عن الأشباح الجائلة هذه؟!

زحفت على بطني وأنا مازلت مغلق العينين .. كنت أريد البحث عما
أسد به آذني .. أعتقد قطعة من القطن ستفيد كثيراً .. تنبهت فجأة
للسيجارة التي كنت قد أشعلتها .. وجاءتني الفكرة بشكل مفاجئ .. نعم
كما توقعتم .. سأستعمل (فلتر) السجائر لسد آذاني .. تحسست جيب
قميصي بكفي الأيمن، وتسبب هذا للأسف باختراق الصوت أذني اليسرى
بشكل عنيف..

الصوت يحطم أعصابي تحطيماً، ويرج جسدي من الرعب .. أتخس
جيبى بشكل محموم، وأخرج علبة سجائري .. لا بد لي من فتح عيني حتى
أستطيع تنفيذ فكري .. فتحت عيناى ببطء شديد؛ لأفاجئ بهذا الوجه
المريع يحرق بي بقسوة شديدة.. تعالت دقات قلبي بسرعة كالمكوك،
وشعرت به وكأنه يريد القفز من حلقي .. أغلقت عيناى مرة أخرى،
وأخذت أتلو بعض الآيات القرآنية.. بيد مرتجفة حاولت إخراج سيجارة
من العلبة، لكن ارتجافي جعلتها تسقط أرضاً .. تلمست أطراف العلبة
بأناملتي لأخرج سيجارة أخرى، وقبضت عليها بقسوة..

الصوت يخترق كياني أكثر لكنني مصمم على الصمود .. نزع
(الفلتر) بحنكة، ودسسته بقوة داخل أذني اليسرى .. كانت قوة لا داعي لها
لأن طيلة آذني كادت أن تنفجر.. تلمست علبة سجائري مرة أخرى
لأخرج سيجارة ثانية .. لكن أناملتي تحسست الفراغ .. لقد صارت العلبة
خاوية .

مازال الصوت يتردد مثيراً الفزع، ومازلت راقداً على أرضية الحجرة
مغلق العينين .. تذكرت أن سيجارة قد سقطت مني على أرضية الحجرة ..
هذا جيد .. لكني سأضطر إلى فتح عيني كي أجدها .. ولو فعلت ستهاجمني
هذه الأشباح حتماً .. لكن مهلاً .. لو كانت تريد إيذاي لفعلت .. ما
الفرق عندها بين إغلاق عيناى أو فتحهما ؟!

فتحت عيناى بشجاعة أحسد عليها، ورأيتهم أمامى يقفون صفاء،
وأمامهم يقف - على ما أعتقد- زعيمهم .. طأطأت رأسى، ومسحت
بعينى أرض الحجرة بحثاً عن تلك اللعينة، ولحسن حظى وجدتها سريعاً ..
ألتقطتها بسرعة خاطفة، وكالبوق نرعت (الفلتر)، ثم دسسته داخل آذنى
اليسرى.. الصوت خفت كثيراً .. كثيراً للغاية لكنى ما زلت أسمعه ضعيفاً
واهناً ..

ألقت زعيم الأشباح إلى رفاقه، وأشار إليهم إشارة ما!! حلقوا على
أثرها عالياً، ثم أنقضوا على كالصواريخ الموجهة .. التصقت بالجدار هلعاً،
وأنا أترقب بخوف هجومهم على .. لكنهم تلاشوا فجأة بطريقة عجيبة !!

تحسست جسدى كى أتأكد من سلامته، وأخذت أفكر بعمق شديد ..
لقد تبهرت فجأة مع صفاء ذهنى بشيء ما! شيء غائب داخل تلايف
عقلى، لكنه يحمل لى حل هذا الرعب والعيول.. حاولت التركيز بقوة،
وأنا أتساءل "ما الشيء الذى لفت انتباهى بهذا الشكل ؟" إنه بالتأكيد
شيء حدث فى المرتين، لكن ما هو؟

العيول .. ظهور الأشباح.. توقف قلبى عن العمل .. لا شيء من هذا
ربما .. نعم هذا هو .. إنه الهواء.. يا لك من أحمق حقاً يا أسامة.

بحثت بين أشياءى كالمحموم عن مصباحى اليدوى، ولحسن حظى وجدته
.. أضائه سريعاً، واندفعت مغادراً حجرتى كالعاصفة ..

تناهى إلى مسامعى صوت صراخ أنثوى خافت للغاية - بسبب الفلتر
الذى يسد آذنى- فخرجت على الغرفة الصادر منها هذا الصوت،

واقترحتها بشكل مفاجئ؛ لأجد تلك الفتاة راقدة على الفراش، وتبعد عن وجهها شيئاً خفياً ما يهاجمها!! والصرخات تنطلق من حلقها بلا انقطاع.. نبشت أشياءها دون أية مراعاة للذوق أو الأدب، ووجدت - كما توقعت- جهاز من نوعية (MP3) فقممت بتشغيله بسرعة على أعلى درجة صوت، ودسست سماعتيه على آذنيها..

كانت الفتاة تشعر بالرعب الشديد؛ لذلك أخذت تخمشني بأظافرها دفاعاً عن نفسها.. لكنني تحملت وظللت ممسكاً سماعتي الجهاز على آذنيها، حتى شعرت أنها بدأت تستوعب الموقف وقدأ.. ثم برفق أمسكت كفها لأساعدها على النهوض للخروج من الغرفة ..

خرجت إلى الممر وأنا أجذبها خلفي، وهبطت درجات السلم سريعاً متجهاً إلى بهو الفندق، ثم أشرت لها بكفي أن تجلس هنا حتى أعود، لكنها تشبثت بي كهرة تحتسي بأمها..

شعرت بالشفقة تجاهها فأمسكت كفها، وأشرت لها أن تتبعني .. واصلت طريقي تجاه باب الفندق، وبينما أنا ماراً بحجرة الاستقبال، شاهدت العامل منكفئاً على وجهه، ويتلوى كالثعبان .. لم يكن أمامي متسعاً من الوقت كي أساعده؛ لذلك واصلت طريقي ..

خرجت من باب الفندق لأجد صديقي والعمل يركضون بفزع تجاه الفندق ..

أشرت للفتاة أن تظل هنا معهم، ثم واصلت طريقي ركضاً .. شققت طريقي وسط الظلام، وأنا أقطعه بشعاع مصباحي، وتوقفت عن الركض كي لا أصطدم بصخرة ويدق عنقي ..

كنت متوجهاً ناحية المقبرة، وأنا أرجو أن يكون استنتاجي صحيحاً..
اقتربت من باب المقبرة؛ لأجد شيئاً عجبياً قلما أن يجود الزمن بمثله!!

لقد رأيت الصوت !!

لا خطأ في العبارة على الإطلاق .. لقد رأيت الصوت فعلياً .. كان
يتماوج أمامي كالسراب في الصحراء، أو كالهواء الذي نراه يعلو فوق
النيران .. أو بشكل أكثر دقة كان كالماء الصافي الذي يسيل على واجهة
لوح زجاجي ..

رأيتُه مندفعاً من خارج المقبرة، ويتماوج في الفضاء الأثير .. تقدمت
بحذر وأنا مبهور الأنفاس، ودلفت داخل المقبرة لأشعر بلمسه، وهو
يصطدم بجسدي؛ ليرجه ويرج روحي معه !! لكنني تحملت بشدة وواصلت
التقدم؛ فأمامي عمل لا بد من إتمامه .

رقد صديقي (صلاح) على أرض البهو يرتجف هلعاً .. ومن حوله رقد
رجالهم بعضهم يصرخ، وبعضهم يتلوى .. بينما كانت الفتاة واقفة كقطة
مذعورة، لا تعرف ماذا تفعل ؟

توقف الصوت فجأة ليسود هدوءاً هائلاً مريحاً للغاية.. وتوقفت كذلك
الصرخات والارتجافات دفعة واحدة ..

فنهض (صلاح) وهو يزفر براحة شديدة، ثم بدأ يفقد رجاله؛ ليفاجئ
بكل أسى بوفاة اثنين منهما .. فجلس مرة أخرى وهو يشعر بالحزن
الشديد ..

دلفت من باب الفندق، وأنا أقول بحماسة :

- لقد انتهى كل شيء، وإلى الأبد .

نظر لي صديقي مندهشاً، وسألني بفضول :

- هل تعني حقاً ما تقول ؟!

أومأت برأسي، وذهبت إليه قائلاً :

- بالتأكيد يا صديقي .

سألني صديقي مستفسراً :

- وكيف فعلتها بالله عليك ؟

جلست جواره وأنا أتخسس جيبي بحثاً عن سيجارة، لكنني لم أجد بالطبع لأنني قمت باستعمال آخرها.. فنظرت نحو صديقي، وقمت بالإشارة بما معناه أن يمنحني أحد سجائره.. فمنحني واحدة، وأشعلها لي وهو يقول :

- تفضل يا صديقي .. أخبرني الآن كيف فعلتها ؟

أخذت نفساً عميقاً، ثم قلت بلهجة من يحلن الجرائم في الروايات البوليسية :

- لقد تنبّهت إلى شيئين .. أولهما : أن الهواء كان شديداً في كلا المراتين اللتين يعلوا فيهما صوت العويل .

قاطعني صديقي قائلاً :

- وماذا في هذا ؟! الهواء يحمل الأصوات بالتأكيد .

أجبت قائلاً :

- أعرف هذا بالتأكيد .. لكن تذكر معي أن الصوت لم يتواجد نهائياً إلا مع اشتداد الهواء، وتوقف تماماً عند هدوؤه .. لم يهدأ أو يخفت .. بل توقف بشكل قاطع ونهائي .

ثم واصلت تفسيري، قلت :

- الشيء الثاني الذي لفت انتباهي هو تلك المسلة .. لم أقابل في حياتي مسلة قصيرة الطول بهذه الطريقة من قبل .. ربما هذا الشيء لم يكن له أي معنى لو لم يحدث هذا العويل .. لكنني وبالصدفة ربطت بين الحدثين .

رفع صديقي حاجبيه بنهول شديد، وقال :

- هل تعني أن المسلة هي السبب ؟

أومأت برأسي قائلاً :

- نعم يا صديقي .. المسلة هي مصدر ذلك العويل .. عندما شككت بالأمر وذهبت الآن، وجدت عدة تجاويف بنقوش المسلة .. عندما يشتد الهواء ينفذ داخل هذه التجاويف فيحدث هذا الصوت المريع، ويساعد فراغ المقبرة الداخلي بتضخيمه .

رمقتني الفتاة بانبهار شديد، ثم سألتني بفضول وهي تحرك رأسها بطريقة لذيذة :

- وماذا عما شاهدته داخل حجرتي ؟ لقد شاهدت أفعى شرسة هائلة الحجم، كادت أن تبتلعني .

نظرت لها وشيء من الإعجاب بما يملأ كياني :

- أعتقد أن الفراعنة كانوا قد بلغوا قمة العبقرية إلى درجة مذهلة .. كلنا نعلم آثارهم التي كلما رأيناها تزيدنا انبهاراً بهم، وتجعلنا نتعجب كيف

صنعوا كل هذا؟! الأهرامات، والمعابد، والمسلات .. لذلك لا أستبعد أنهم توصلوا إلى ذبذبة معينة من الصوت تسبب الهلوسة البصرية.. هلوسة تعمل على ظهور ما يربنا داخل أعماق العقل الباطن .. تذكرين بالطبع كيف كان الصوت يهز جسدنا رعباً ؟

صفقت وهي تصيح بجزل :

- نعم أنت على حق تماماً .. لقد تلاشى ذلك الثعبان فور أن تلاشى الصوت، عندما وضعت سماعتي جهاز (3mp) على آذني .

ربت صديقي على كتفي، وهو يقول بإعجاب :

- أنت عبقرى حقاً يا صديقي .. لقد شاهدت أنا (أنوبيس)، في حين شاهد عامل آخر (النداهة) .. وهذا يدل فعلاً أن الصوت يؤثر على مخاوفنا، ويستدعيها لتطفو على سطح واقعنا .

ثم سألتني باهتمام :

- ولكن كيف قمت بمنع الصوت ؟

ابتسمت وأنا أقول :

- وهل هذا يحتاج إلى سؤال ؟ لقد قمت بتعطيم المسلة بالطبع .

قفز صديقي كالملسوع، وهو يهتف صائحاً :

- قمت بماذا ؟

انطلقت أضحك بقوة، وأنا أقول :

- لا تفزع كهذا يا صديقي .. أنني أمزح معك .. لقد سددت الفجوات بقطع من الحجارة .

تنفس صديقي الصعداء، وقال بارتياح :
- حسناً فعلت يا صديقي .. حسناً فعلت .
ثم تمطى قليلاً، وهو يقول :
- أعتقد بعد هذه الليلة المرعبة يجب أن نرتاح كثيراً .. لكن للأسف لا
وقت للراحة .
قالها وهو ينظر بحزن شديد إلى الرجلين الذين فقدوا حياتهما أثر ذلك
العويل .
عويل الأشباح .

انتهيت من مهنتي الصحفية بعد يومين من تلك الليلة .. وقمت
بمصافحة الجميع بحرارة شديدة، ثم ذهبت في طريقي للسفارة تجاه محطة
القطار ..
دلفت إلى داخل المحطة لأجد (راندا) تقف بانتظاري كما اتفقنا سابقاً ..
كانت في طريقها إلى القاهرة؛ لأن أمها متوقعة قليلاً و.....
تساءلون عن تكون (راندا) هذه ؟!
(راندا) هي الفتاة التي كانت بالفندق .. لم تكونوا تعرفون اسمها .. هذا
غريب !! ألم أخبركم به؟
على العموم أعتقد أن هناك ثمة نظرات إعجاب متبادلة، والقطار يطلق
صافرته استعداداً للسفارة ..
أستودعكم الله الآن يا أصدقائي، وربما التقينا مجدداً في مغامرة جديدة.

ملكة شيبا

هي قصة حزينة للغاية.. عن ملكة شييا.
عن حقيقتها أو من أين أتت أو عن مملكتها ؟ أسئلة لا غملك إجابة
عنها.

كل ما نعلمه أنها ملكة شييا.
من قلب الظلام أتت أو من قلب الجحيم.
من باطن الأرض أو من سماءها أو من أعماق البحار.
كل ما نعلمه أنها ملكة شييا.
ربما تشعر بها داخل حجرتك، وربما تراقبك في الظلام. ربما تدخل
كوابيسك.
إنها ملكة شييا.

-1-

- غير معقول !

هتف (خالد) بهذه العبارة، وهو ينظر من شرفة الفيلا إلى الفيلا المقابلة.
كانت شقيقته (أسماء) ذات العشرة سنوات جالسة على أرض الغرفة،
تلهو بدميتها؛ لكن عبارة شقيقها جذبت فضولها، فقالت:

- ما هذا الغير معقول؟

أجابها (خالد) دون أن يلتفت لها، وقال:

- لا شأن لك بما أقول.

شعرت (أسماء) بفضول أكثر؛ فنهضت متسللة من خلف ظهره،
وأخذت تبحث بعينيها عما يتأمله، وما أن شاهدت فتاة حسناء تجلس في
شرفة الفيلا المقابلة وهي تتصفح كتاب، حتى هتفت صائحة:

- هل تغازل الجيران ؟ سأقول لأمي .

هجم (خالد) عليها، وكتم فيها بكفه، وهو يقول:

- أصمتي أيتها الحمقاء.

أنشبت (أسماء) أسنانيها في كفه؛ فأطلق آه ألم، بينما هي أخذت تركض
داخل الغرفة، وتقول صائحة:

- أمي .. خالد يغازل الجيران .

ركض خلفها، وأمسك بها، ثم جذبها وهو يقول:

- أنتِ تستحقين هذا.

وأعقب قوله فعله، وقام بوضعها داخل خزانة الملابس، ثم أغلق عليها الباب.

أخذت شقيقته تصيح، وهي تضرب الباب من الداخل:

- افتح الباب يا خالد .. إنني خائفة هنا.. افتح الباب أرجوك وسأصمت.

ابتسم (خالد) ولم يجاوبها؛ فأخذت تطرق الباب بهستريا، وهي تصيح:

- افتح الباب أرجوك.. إنني أخاف الظلام.. خالد.. لا.. لا.. لا.. لا.

شعر شقيقها بالتوجس؛ ففتح الباب ببطء.. وما أن شاهد شقيقته مغشياً عليها، حتى شعر بالذعر الشديد؛ فحملها إلى الخارج، ووضعها على أرضية الحجر، ثم أخذ يربت على وجنتيها، وهو يقول:

- أسماء.. ماذا بك؟ استيقظي أرجوك.

لكن الفتاة كانت ممددة كجثة بلا روح.. شعر شقيقها بقلق أكبر، فأخذ يهزها برفق، وهو يقول:

- أسماء.. أرجوك استيقظي ولن أفعل هذا مرة أخرى.

كادت الدموع تنهمر من عينيه عندما لم يتلقى أية إجابة، ولم يدري ماذا يفعل؟

فجأة.

دفعته شقيقته بكفها؛ ليسقط أرضاً، ونهضت تركض إلى الخارج، وهي تقول ضاحكة:

- بالتأكيد لن تفعلها مرة أخرى عندما أخبر أُمي .

ركض شقيقها خلفها، محاولاً إمساكها؛ لكنها كانت قد وصلت إلى حجرة والديها.. نظر لها شقيقها متوسلاً؛ فابتسمت على الرغم منها، وعادت إليه مرة أخرى، وقامت بلكزه بأصبعها، وهي تقول:

- أنت مدين لي هذه المرة.. لا تنسى هذا.

ربت (خالد) على رأسها، وقال:

- بالطبع يا عزيزتي.. أشكرك على كرمك البالغ .

كان (خالد) عائداً من الجامعة، ومتجهاً إلى منزله، عندما لمح جارته الحسنة تسير داخل حديقة فيلاها.

شعر بنبضات قلبه تتسارع؛ فهو خجول بطبعه، ويتلعثم عند محادثة أي فتاة.. لذلك أخذ ينظر إليها وقد تسمر مكانه كتمثال قد من صخر.

تنبهت الفتاة إليه، وارتسمت على شفيتها ابتسامة ساحرة، وهي تتقدم إليه قائلة:

- مرحباً .

حدق (خالد) بها بأنفاس مبهورة. لقد كانت صارخة الجمال بحق. كان شعرها الذهبي يتحرك في نعومة بفعل الهواء، ويضيف إلى وجهها الشاهق البياض جمالاً أخاذاً. لكن عينيها هي فقط ما جعلته يشهق بلا وعي :

- عيناك!

ابتسمت الفتاة، وهي تقول:

- أعلم أن لونهما غير مألوف، وأنا سعيدة بهذا.
- تأمل (خالد) عينيها الذهبية كالمسحور، ثم قال:
- في الحقيقة لم أرى عيني بهذا الجمال.
- ثم تنحى بنجل، وقال:
- أنا خالد .. جارك.
- وأنا رانا.
- كيف حالك يا رانا؟ هل انتقلت هنا أمس؟ أنا لم أرى أحد بهذه الفيلة سابقاً.
- نعم انتقلنا أمس أنا ووالدي .. أبي يعمل بالخليج.
- لمح (خالد) كتاب صغير تحمله في يدها؛ فقال:
- هل تحبين القراءة؟
- لوحى (رنا) بالكتاب، وهي تقول:
- تقصد بسبب هذا؟ ليس دائماً.. لكن هذا الكتاب جذبني بشكل كبير.
- وعما يتحدث؟
- عن أسطورة ملكة لمملكة تدعى شييا.. أسطورة حزينة للغاية.
- ولماذا هي حزينة؟
- الأسطورة تتحدث عن ملكة تبحث عن الحب والقلوب الدافئة؛ لكن أصابع الأتهام بدأت تشير إليها؛ لعثورهم على جثث قتلى من رجال كانت تعرفهم، وتم محاكمتها بنفيها إلى الأبد.

- تم نفيها إلى أين؟

- لا أحد يعرف بالتحديد.. ربما إلى مملكة الظلام، أو إلى الجحيم، أو إلى باطن الأرض .. كانت هذه الأماكن المقترحة لنفيها؛ لكن باقي صفحات الكتاب مفقودة للأسف.

تناول (خالد) الكتاب من بين يديها، وأخذ يقلب في صفحاته، قائلاً:

- هذا عجيب! الصفحات مكتوبة بخط اليد، والورق ذاته يشبه ورق البردي.. لكن اللغة عربية.. شيء غريب جداً! من أين حصلت على هذا الكتاب.

- عند انتقالنا من منزلنا القديم، وجدته ملقى داخل صندوق من العاج.

تأمل (خالد) الكلمات العجيبة المبهمة المعنى، وقال:

- ماذا تعني هذه الكلمات؟

- لا أعلم.. لكنني أعتقد أنها تعويذة نفي الملكة.. لقد قرأتها أمس، ولم يحدث أي شيء.

- ألم تخافي؟

- ومم أخاف؟ هذه مجرد أسطورة قديمة.

لمح (خالد) فتاة عجيبة الهيئة تقف على مقربة منهم.. أشارت (رنا) لها، وقالت:

- هذه صديقتي (سما). كانت تعيش في أمريكا، وجاءت منذ شهر واحد.

تأمل (خالد) ملابسها السوداء التي كانت تشبه ملابس الساحرات،
ووجهها التي تناثرت عليه ألوان ماكياج عجيبة، وشفتيها التي طلتهما بلون
بني كثيب، ثم قال:
- مرحباً يا سما .

رمقته (سما) بنظرة ليس لها معنى، ثم دلفت إلى داخل الفيلا.
قالت (رنا) بلهجة مرحة:

- نسيت أن أقول لك أنها بطيئة التأقلم مع الغرباء.

نظر (خالد) إلى ساعته، وقال:

- لا يهم؛ فأنا في بعض الأحيان بطيء التأقلم أيضاً.. سأذهب الآن
للغداء.. أراك مساءً إن شاء الله .

ثم مضى في طريقه، وعقله مشغول بأسطورة الملكة العجيبة هذه !!
ملكة شيبا .

أهملك (خالد) في التجول عبر شبكة (الإنترنت)، حين فاجأه صوت شقيقته، وهي تقول :

- صديقك (عماد) ينتظرك بالأسفل.

نهض (خالد) وتوجه إلى باب الحجرة، وهو يقول :

- شكراً يا عزيزتي سأهبط له حالاً.

استوقفته شقيقته بكفها، وهي تقول بلهجة ذات مغزى:

- لقد رأيتك اليوم تقف مع جارتنا الحسنة.. لا تقابلها مرة أخرى.

- وما شأنك أنتِ ؟!

- هذه الفتاة تخيفني يا خالد.. لقد رأيت عينيها تبرق في الظلام.. ولا

تنسى أيضاً أنك مدين لي .

- مدين لك بالهراء.. غير هذا عينيها ذات لون غير مألوف .

ثم تركها وانصرف لمقابلة صديقه، بينما أخذت هي ترمق الفراغ..

وترتجف.

جلس (خالد) مع صديقه، وأخذ يثرثر عن جارتها الحسنة قائلاً:

- لو رأيتها ستفقد صوابك من فرط جهالها.. لم أرى في حياتي مثل هذا الجمال من قبل، ولا حتى في الأفلام الأمريكية.
- ابتسم صديقه، وهو يقول:
- تقول : "أن لها صديقة كانت تعيش في أمريكا ؟"
- هذا صحيح .. لكنها غريبة الهيئة .
- هذا بديهي يا صديقي؛ فالحياة في أمريكا تختلف عن هنا.. ما يهمني الآن هل ستعود إلى (أمريكا) مرة أخرى ؟
- لا أعرف.. لماذا تسأل ؟
- ظننتك أذكى من هذا .. بالتأكيد لأحصل على فرصة العمر للعيش بأمريكا .
- وكيف هذا؟
- سؤال ساذج آخر .. سأجعلها تقع في غرامي بالطبع .. ثم نتزوج، وبهذا أحصل على الجنسية .
- يبدو أنك أنت الساذج يا صديقي .. الفتاة مصرية وتحيا بالخارج.
- انطلق صديقه يضحك بقوة، وهو يقول:
- وكيف تظنها تحيا بأمريكا؟! بالتأكيد هي تحمل الجنسية يا صديقي .
- فهمض (خالد)، وهو يقول بلا اكتراث:
- أفعل ما يحلو لك.. لكن الآن حان وقت المذاكرة .. هل ستأتي معي.
- فهمض صديقه بدورته، وهز رأسه نافياً، وقال:
- لا .. سأذهب للفيلا المقابلة ربما يسعدني الحظ، وأقابل هذه الفتاة ..

ثم أنصرف تاركاً صديقه يغتمغم لنفسه قالاً : " ومن يرغب في العيش
بأمريكا ؟!"

تملّيل (خالد) في فراشه، من جراء سماعه لبعض الضوضاء؛ فهتف
قائلاً:

- أمي أرجوكِ اخفضي صوت (التلفاز) .

شعر بعد ذلك بيد تهره برفق كي توقظه. ففتح عينيه بكسل شديد؛
فرأى وجه والدته، وهي ترمقه بنظرة مشفقة.. فخص من على فراشه، وهو
يقول:

- ماذا هناك يا أمي ؟ وما سبب تلك الضوضاء ؟

ربتت أمه على رأسه، وقالت بأسى:

- صديقك عماد .

نظر لها (خالد) غير فاهم؛ فسألها مرة أخرى :

- ماذا به ؟

أطرقت أمه رأسها، وهي تقول بحزن عميق:

- لقد عشروا عليه قتيلاً في الطريق الذي يقع بيننا وبين الفيلا المقابلة..

عشروا على جثته وقد انتزع منها القلب بطريقة بالغة الوحشية !!

" هي ملكة تبحث عن الحب والقلوب الدافئة؛ لكن أصابع الاتهام

بدأت تشير إليها؛ لعثورهم على جثث قتلى من رجال كانت تعرفهم "

" هي أسطورة حزينة جداً.. عن ملكة شيئا "

-3-

جلس (خالد) بردهة الفيلا. دامع العينين، وسؤال واحد يدور بعقله :
" من فعل بصديقه هذا؟ ولماذا "

تنبه فجأة على صوت الضابط، وهو يقول بلهجة هادئة :

- هل تسمح لي ببعض الأسئلة ؟

نظر له (خالد) نظرة حزينة، ثم قال بخفوت :

- كما ترغب .

- منذ متى تعرف القتل ؟

- منذ الطفولة تقريبا .

- هل له أعداء ؟

- كلا بالطبع .. عماد محبوب من الجميع .

- اعذرني إذا قلت لك : أن طريقة قتله لا تدل على هذا .. القاتل

أنزع قلبه من بين ضلوعه بمنتهى الوحشية .

- هذا لا يعني أن له أعداء .. هذا يعني أن هناك قاتل مهووس يجول في

الخارج؛ ليقتنص ضحاياه.

- هو كان عندك بالأمس .. عندما أنصرف ألم يقل لك أين سيذهب ؟

- لا أعتقد أن هذا مهم؛ فقد تم قتله بالخارج .

- أنا أعلم هذا بالطبع .. لكنني أقصد هل كان سيقابل أحد يقطن بالقرب منك ؟

تذكر (خالد) فجأة حديثه عن الفتاة الغريبة الأطوار (سما) وعن حلم سفره (أمريكا) .. ومضت الحقيقة بغتة أمام عقله .. لقد عرف الآن من القاتل ؟

تأمله الضابط بتفحص، ثم قال:

- مازالت أنتظر جوابك.

- لا .. لم يقل لي شيئاً .

هض الضابط ، وهو يقول:

- حسناً .. سأكتفي بهذه الأسئلة .. لكنك لو تذكرت أي شيء مهما كان أبلغني به فوراً .

- بالتأكيد يا سيدي .

أنصرف الضابط بهدوء.. بينما ظل (خالد) جالساً يفكر بعنق شديد، ثم تنبه فجأة على صوت شقيقته، وهي تقول :

- ألم أقل لك " لا تقابلها مرة أخرى "

نظر (خالد) إليها بعدم فهم، ثم قال:

- ماذا تقصدين ؟

ضاقت عينيها، وهي تقول بحذر شديد :

- أقصد جارتنا الحسنة بالطبع .. بالتأكيد هي القاتلة .. لقد شعرت بالفزع تجاهها وحذرتك.. لكنك لم تستمع إلي .

انسابت المياه على جسد (خالد) داخل الحمام؛ لكنها أبداً لم تطفئ
نيران الغضب والحيرة لما حدث لصديقه.. كان عقله يعمل بسرعة البرق،
عله يجد إجابات لما حدث ..

تنبه فجأة على صوت مبهم غامض مجهول المصدر.. أنصت (خالد)
باهتمام متحفز، وشعر كأن هناك أقدام متلصصة تجول بالقرب منه؛ لكنه لم
يعرف إذا كانت قادمة من خارج الفيلا أم من الداخل..

ارتدى ملابسه على عجل، وغادر الحمام بشكل مفاجئ؛ لكنه لم يجد
أي شخص.. ذهب تجاه النافذة ونظر عبرها إلى الطريق؛ فشاهد جارته
(رنا) تسير ببطء بالقرب من حديقة فيلته..

انطلق بسرعة يهبط درجات السلم، ثم غادر الفيلا تجاه (رنا)، وهو
يصيح قائلاً:

- أريد أن أفهم.. ماذا تريدین؟ .
- نظرت له (رنا) واجهة، ثم قالت بتعجب:
- لست أفهم يقيناً ما الذي تقصده؟!
- لماذا تتلصصين علي؟
- أتلصص عليك!! ولماذا أفعل شيء كهذا؟
- ربما تنتقي ضحية جديدة .
- ماذا تعني؟ هه .. ما الذي تعنيه بكلامك هذا؟ هل تتناول مخدر
ما؟!
- أين صديقتك الآن؟

- وما شأنك بها ؟
- شأني أن صديقي كان يود التعرف بها قبل أن يتم قتله مباشرة .
- واضح أنك تعاني من بارانويا متقدمة.
- بل أعاني من قاتل مهووس، ودون موارد أشك بك وبصديقتك عجيبة الهيئة .
- حدقت (رنا) بها لحظات، وخيل إليه أن عينيها تلتصع بالدموع.. اقترب منها ببطء، ثم قال بلكنة حاول أن يجعلها هادئة :
- لو كنت تعرفين شيئاً عن جريمة القتل البشعة أخبريني .
- انفجرت الدموع غزيرة فجأة من عيني (رنا)، وقالت بصوت مختنق:
- أنا آسفة .
- أمسكها (خالد) من ذراعها، وسألها بحدة:
- أنت تعرفين ما حدث .. أليس كذلك ؟ أخبريني هل صديقتك هي من قتلت صديقي ؟
- ثم تأمل شفيتها منتظراً أن تنفرج عن الإجابة التي تنهش عقله..
- انفجرت شفيتها ببطء، وهي تقول ببطء وبنبرة حزينة:
- لا ليست هي .. أنا .. أنا من قتلته .

- تراجع (خالد) كالمصعوق من فرط المفاجأة، ثم تمالك أعصابه، وصاح بصوت هادر:
- ولماذا؟ لماذا فعلتي هذا ؟

ارتجفت (رنا) بفعل نحيبها، وحاولت النطق لكن الكلمات تحشرجت
داخل حنجرتها؛ فخرج صوتها مشوهاً بلا معنى .

أمسكها (خالد) من كتفيها، وهزها بعنف، وهو يصيح :

- لماذا ؟ لماذا بالله عليكِ فعلتِ هذا ؟

أجابته بصوت ضعيف مختنق:

- لم أقصد .. صدقني لم أكن أقصد شيئاً كهذا أن يحدث.. إنها التعويذة
التي بالكتاب هي السبب.. كنت أظنها التعويذة الخاصة بإرسال ملكة شييا
إلى المكان الذي ذهبت إليه.. لكن أتضح أنها تفعل العكس.

ارتسمت البلاهة على وجه (خالد)؛ فسألها بتعجب :

- العكس !! لست أفهم شيئاً .

حدقت فيه وهي تقول بخوف :

- التعويذة.. التعويذة جاءت بملكة شييا إلى عالمنا، وهي تجول الآن بحثاً
عن ضحاياها؛ لتنتزع قلوبهم وتلتهمها .

وقف (خالد) أمام النافذة، يراقب الطريق الذي كساه الظلام، وفي ذات الوقت يفكر فيما قالته (رنا)، عن عودة ملكة شيبا إلى عالمنا.. كان يشعر بسخافة الفكرة، وبدأت له كحكايات النداهة والغولة التي تخيف بها الجدات أحفادهما.. لكن الحيرة ظلت تغزو عقله، وتطرح سؤال تلو الآخر.. وفي النهاية قرر أن يذهب إلى (رنا)، ويأخذ منها الكتاب؛ ليقرأه بتسعين، ربما يفهم شيئاً، أو يجد به ما يذهب بحيرته بعيداً.

قرن قوله فعله، وغادر الفيلا إلى الفيلا المقابلة.. دفع باب الحديقة الحديدي الصغير، وتوجه ناحية باب الفيلا..

فجأة..

تعالى نباح كلب في طرف الحديقة البعيد.. كان نباحاً شرساً للغاية.. نظر (خالد) تجاه صوت النباح؛ فشاهد كلباً ضخماً بلون الليل ينبح ويتقافز هياج.. أراد الذهاب نحوه ليعرف ماذا به؟ وما سر حالة الهياج التي انتابته.. لكنه تنبه فجأة إلى أن باب الفيلا منفرج قليلاً..

ضغط بأصبعه على زر الجرس، وهو يشعر بحالة توجس تنتابه.. وعندما لم يجاوبه أحد دفع الباب ببطء، ودلف إلى داخل الفيلا، وهو يصيح منادياً :

- رنا.. هل أنت هنا ؟

اتسعت عيناه بهلع شديد، وهو يرى أثاث الصالة محطماً، وكأن صاعقة قد ضربت المكان.. والمائدة الخشبية الثقيلة متفسخة، وكأن عملاقاً دهسها بقدمه.. الجدران ذاتها مشققة بطريقة مرعبة، وكأن أظافر حديدية قامت بجربشتها..

أراد أن يهتف منادياً مرة أخرى؛ لكن الكلمات احتبست داخل حنجرته.. حاول مجدداً ونجح لكن الكلمات خرجت ممطوطة متقطعة:

- ر.. نا .. أ.. ين .. أ .. نت ؟

لم يكن يتوقع أية إجابة؛ لذلك انتفض مذعوراً عندما سمع صوت (رنا)، وهي تقول :

- خالد .. أنا هنا.

كان مصدر الصوت قادم من الطابق العلوي؛ لذلك أسرع (خالد) يركض بكل طاقته إلى أعلى .. وعندما وجد (رنا) ممددة على الأرض جثا بجوارها، وقال:

- رنا .. ماذا حدث ؟

تأملته بعينين زائغتين، ثم قالت بوهن:

- لا أعرف .. لقد أظلمت الدنيا أمامي فجأة، ولم أفق إلا الآن .

أمسك يدها ليساعدها على النهوض، وهو يقول:

- الطابق السفلي محطم تماماً؛ كأنما انفجرت داخله قنبلة.

نهضت بضعف وهي تستند عليه، ثم قالت :

- لقد عرفت الحقيقة.. ملكة شييا لا تحضر كالشبح .. بل لا بد لها من أن تحتل أحد الأجساد.

سألها (خالد) مستفسراً:

- ماذا تعني ؟

أجابته بتوتر:

- أقصد أن شبح ملكة شييا لا يتجول كشبح .. بل إنه أحتل جسد شخصاً ما.

- شخص !! مثل من ؟

- أعتقد أنها سما .. هي كانت هنا عندما فقدت الوعي .

- وأين ذهبت ؟

- وكيف لي أن أعرف بحق الجحيم .. لقد كنت غائبة عن الوعي .

- لا بد أن نبحث عنها، ونتأكد أنها هي .

- حسناً .. هيا بنا .

- هبط الاثنان درجات السلم، وغادرا الفيلا .. وما أن لحق (رنا)

كلبها وهو ينبح، حتى اندفعت نحوه قائلة:

- سأخذ كلبى معنا .

تبعها (خالد)، وهو يقول :

- حسناً .. لكن احذري فقد كان مصاباً بحالة هياج .

تقدمت (رنا) نحوه، وربت على رأسه، وهي تقول :

- ماذا بك يا عزيزي ؟ ما الذي أخافك لهذه الدرجة ؟

لمح (خالد) عند أطراف الحديقة شيئاً لفت انتباهه؛ فتقدم بفضول حذر

ليعرف كنهه، وما أن رأى هذا الشيء حتى تراجع بذعر شديد، وهو يقول

:

- مستحيل!!

فلقد كان ما رآه هو جثة الفتاة التي كانا يبحثان عنها ، وهما على يقين
تام أنها هي القاتلة..
كانت جثة (سما) .

لقد أظلمت الدنيا أمامي فجأة، ولم أفق إلا الآن .

ملكة شيبا لا تحضر كالشبح .. لا بد لها من أن تحتل أحد الأجساد .

تنبّهت (رنا) على صيحته، ونظرت إليه متسائلة .. لكنها لحت نظراته
المدعورة، وهو يحدّق بأرض الحديقة؛ فسددت هي الأخرى نظراتها تجاه ما
ينظر إليه، ثم تراجعت هي أيضاً بذعر شديد، وهي تصرخ :

- إنه أنت القاتل .. لقد احتل الشبح جسدك أنت .

وبعد أن انتهت من جملتها، ركضت تجاه الفيلا، وهي تواصل صراخها:

- لقد قتلها أيها اللعين .

ركض (خالد) خلفها، وهو يقول :

- بل هي أنت .. إنها تحتل جسدك، وتسلبك عقلك .

دلفت الفتاة داخل الفيلا، وأوصدت الباب خلفها بإحكام، وصاحت
من خلفه قائلة:

- لا يوجد غيرنا هنا .. وبالتأكيد لست أنا .

طرق (خالد) الباب بعنف، وهو يقول :

- بل هي أنتِ .. لكن شبحها جعلكِ تغيين عن الوعي .
- قلت لك لست أنا .. بل هو أنت أيها الأحمق .
- لا يهم هذا الآن .. افتحي الباب كي اقرأ ما بالكتاب .. ربما أجد به أي نوع من أنواع الحلول .
- أنت تكذب .. تعتقد أنها تحتل جسدي وتريد قتلكِ .. لا .. بل هي تحتل جسديك أنت، وأنت من تريد قتلي .. انصرف .. لن أفتح أبداً .
- لكنكِ بهذه الطريقة ستضيعين أدنى أمل لنا .. لا بد لي من إيجاد حل بهذا الكتاب .
- هل نسيت أنني قرأته .. الكتاب يحكي عن قصتها، وفي النهاية التعويذة ثم بعض صفحات مفقودة .
- ربما نجد الصفحات المفقودة موضوعة في مكان ما .. دعيني أدخل لنبحث معاً .
- لا .. لن أفتح لك أبداً .
- نظر (خالد) لباب الفيلا برهة، ثم أطرق رأسه، وانصرف مبتعداً بخطى بطيئة .. يائسة.

دلف (خالد) إلى حجرتة مفكراً.. بينما شقيقته (أسماء) تجلس على أرضية الحجرة، وتلهو بدميتها، وعندما شاهدته على تلك الحالة، سألتها قائلة :

- ماذا بك ؟
- نظر إليها بعدم اهتمام، وقال :
- إنه شيء
- بتر عبارته بغتة، عندما تناهى إلى مسامعه صوت صرخات قادمة من
- فيلا (رنا)؛ فأندفع يعدو، وهو يصيح :
- يبدو أنها عادت مرة أخرى .
- استوقفته شقيقته على باب الحجرة، وقالت:
- من هي التي عادت ؟
- أجابها بسرعة :
- نعتقد أنه شبح .. دعيني الآن لأذهب.. سأقص عليك كل شيء
- عند عودتي .
- هتفت (أسماء) بحزم، وقالت :
- لا .. لن أدعك تذهب إليها .
- صاح (خالد) بها بنفاذ صبر، وقال:
- يجب أن أذهب .. أنت لا تفهمين شيئاً .
- هزت رأسها نافية، وهي تقول :
- بل أنت الذي لا تفهم شيئاً .
- صمتت برهة ثم استطردت :
- أنا ملكة شييا .
- وكانت مفاجأة رهيبة !!
- إلى أقصى حد .

شاهدت فتاة حسناء تجلس في شرفة الفيلا المقابلة وهي تتصفح كتاب.

أعتقد أنها تعويذة نفي الملكة.. لقد قرأتها أمس، ولم يحدث شيئاً.

قام بوضعها داخل خزانة الملابس، ثم أغلق عليها الباب.

افتح الباب أرجوك.. إنني أخاف الظلام.. خالد .. لا .. لا .. لا .. لا.

لم أقصد .. صدقني لم أكن أقصد شيئاً كهذا أن يحدث.. إنها التعويذة التي بالكتاب هي السبب.. كنت أظنها التعويذة الخاصة بإرسال ملكة شيبا إلى المكان الذي ذهبت إليه.. لكن أتضح أنها تفعل العكس.

التعويذة.. التعويذة جاءت بملكة شيبا إلى عالمنا، وهي تجول الآن بحثاً عن ضحاياها؛ لتنتزع قلوبهم وتلتهمها .

ملكة شيبا لا تحضر كالشبح .. بل لا بد لها من أن تحتل أحد الأجساد.

" هي ملكة تبحث عن الحب والقلوب الدافئة "

ألم أقل لك " لا تقابلها مرة أخرى "

" هي أسطورة حزينة جداً.. عن ملكة شيبا "

-5-

تراجع (خالد) إلى الخلف بذهول شديد، وأخذ يردد بلا وعي :

- لا .. لا .. لا .. مستحيل أن تكون أنت !! مستحيل .

تقدمت شقيقته نحوه ببطء شديد، وقد تعاظم جسدُها حتى أقترَب من سقف الحجرة، ثم تلون وجهها بلون بنفسجي عجيب، تتراقص عليه خيوط من النيران . بينما عينيها قد تلونت بلون الدم .

هتفت هي بصوت رنان عميق وكأنه صاعد من قلب كهف سحيق،
وقالت :

- أخبرتك سابقاً أن تبعد عنها لكنك رفضت مطلبي، مع أنك كنت
مدين لي .

قال (خالد) بصوت ضعيف مهزوز :

- لست أفهم شيئاً .

هدرت هي بصوت مخيف :

- أنا ملكة شييا .. ملكة مملكة شييا العظيمة .. كنت دائماً أبحث عن
الحب في قلوب الرجال .. لكنهم كانوا ضعفاء .. وعند عودتي هذه المرة
وجدتك أنت .. لقد أحبيتك .. لكنك كنت مغرم بهذه الحمقاء .. طلبت
منك أن تبعد عنها .. لكنك كنت مسحوراً بجمالها المزيف .. أنا ملكة
شييا، وقد اخترتك زوجي من بين البشر .

- هوى (خالد) على أرضية الحجرة، وهو يتستم في دھول :
- أتزوجك !! كيف ؟! هذا مستحيل أنتِ شقيقي .
- ومضت عينيها ببريق ناري أحمر، وهي تقول :
- أنت ستزوجني أنا .. أنا أحتل جسدها فقط .. هي مجرد وعاء لي .
- هز رأسه غير مصداقاً، وقال :
- هذا محرم تماماً .. مستحيل ن أتزوج شقيقي حتى لو كانت مجرد وعاء .
- تناهى إلى مسامعه صرخات (رنا) المتصاعدة من الفيلا المقابلة؛ فهب واقفاً وهو يصيح :
- ماذا تفعلين بها أيتها اللعينة.
- أنفلق باب الحجرة بقوة، وتهمشت النوافذ بعنف شديد، وطار جسده ليرتطم بخزانة الملابس، ثم هوى أرضاً وهو يشعر بألم شديد .. بينما قالت ملكة شييا بلهجة تجمد الدماء في العروق :
- أنت لست مخيراً بالقبول أو بالرفض .. لكنني سأكون رحيمة بك .
- صمتت برهة ثم استطردت بلهجة أشد إخافة :
- تزوجني أو سأقتل جارتك الحسناء .
- أطرق (خالد) رأسه أرضاً مفكراً في إيجاد أي مخرج، ثم طأطأ رأسه وتتم بنبرة منكسرة منهزمة :
- سأتزوجك .
- هنا انطلقت ضحكات الملكة عالياً، لتهز أرجاء المكان .

لقد انتصرت.

تضاءل جسدها وتلاشت هيئتها المخيفة، وعادت إلى هيئة (أسماء)
الحقيقة، ثم قالت بنبرات طفولية عادية :

- هيا بنا .

نفض (خالد) وهو يشعر بألم شديد يفتك بجسده كله، ثم قال بضعف :

- انتظري .

رمقته بنظرة متسائلة، وقالت :

- ماذا تريد ؟

أشاح بكفه، وهو يقول :

- جاءني فكرة سديدة .

سألته مرة أخرى:

- فكرة عن ماذا ؟

تقدم نحوها ببطء، وقال:

- أنتِ تستطيعين احتلال الأجساد.. وأنا أحب (رنا) .. لذلك أرى أن
احتلالك لجسدها سيكون أفضل كثيراً .

هزت رأسها نافية، وصاحت بعنف :

- لا .. أنا أكرهها .

ربت (خالد) على رأسها، وقال بحماسة :

- هذا سيكون أفضل لنا .. زواجي من رنا سيكون طبيعياً للغاية ..
لكن زواجي بشقيقتي سيكون مستحيلاً أمام الناس؛ فبالإضافة إلى أنه محرم
تماماً، شقيقتي صغيرة السن للغاية.. سنّها لا يتجاوز عشرة سنوات .

ضاقّت عينيها، وأخذت تفكر بعمق، ثم قالت:

- نعم .. هي فكرة سيّدة فعلاً .. وستريح أنت كذلك .. ستعود
شقيقتك، وستزوج ممن تحب.. لكنك ستكون عبدي إلى الأبد.. لا تنسى
هذا .

تلوى جسدها بشكل مؤلم عنيف، وتألق جسدها بخيوط بنفسجية
وخيوط حمراء، ثم اندفعت تلك الخيوط خارج جسدها، وأخذت تتلوى في
سماء الحجرّة؛ لتتشكل معاً، وتتخذ هيئة شبيهة مرعبة للغاية.

هوت (أسماء) أرضاً مغشياً عليها؛ فذهب شقيقها إليها، وربّت على
وجنتيها، وهو يقول :

- أسماء.. هل أنت بخير ؟

هتفت الملكة بصوت كالرعد، وقالت:

- هي بخير الآن .. هيا أمّض حتى نذهب إلى جسد حبيبتك .

أمّض (خالد) ببطء، و نظر إليها نظرة مبهمة، ثم صاح فجأة مردداً :

- سيرساكوبولا .. ماتور ساماري .. هيدا زيلا .

تخبط شبح الملكة بجدران الحجرّة، وهي تصيح بصوت هادر :

- ماذا تفعل أيها اللعين ؟

لم يجاوبها، وظل يردد ذات العبارات :

- سيرساكوبولا .. ماتور ساماري .. هيدا زيلا .
- اشتعل جسدها فجأة وتأجج بالنيران، فأخذت تصرخ بهلع :
- لقد خدعتني أيها اللعيبين .
- أنفجر جسدها فجأة كقنبلة ضوئية، واشتعلت النيران بالحجارة .
- أنبطح (خالد) أرضاً؛ بينما النيران تتطاير فوق رأسه، وتتساقط على أرضية الحجرة لتشعلها بدورها، ثم زحف متجهاً إلى شقيقته وحملها بين ذراعيه، وأندفع خارجاً من الحجرة التي تأكلها النيران ..
- قابل والديه في الردهة.. سأله والده بجزع :
- ماذا حدث يا بني ؟
- هتف (خالد) بأنفاس متقطعة :
- الحجرة تشتعل بالكامل .

أسند (خالد) ظهره على سيارة المطافئ؛ بينما كان يراقب رجال الإطفاء، وهم يكافحون بشدة، من أجل السيطرة على الحريق..

وقفت (رنا) بجواره، وقالت:

- ماذا قلت لوالديك؟

نظر (خالد) لها، وقال:

- قلت لهما " أن الحجرة اشتعلت من تلقاء نفسها "

ابتسمت هي بالرغم منها، وقالت:

- وهل صدقوك؟

هز رأسه، ونظر إلى شقيقته التي كانت والدته تحتضنها، ثم قال:

- لا يهم هذا الآن .. الأهم أن شقيقي على ما يرام .

أطرق رأسه هنيهة، ثم رفعها ونظر إلى (رنا)، وهو يقول بامتنان:

- شكراً لك .

بينما ذاكرته تعود به إلى ساعات قليلة ماضية .

نظر (خالد) لباب الفيلا برهة، ثم أطرق رأسه، وانصرف مبتعداً بخطى

بطيئة .. يائسة .

توقف بغتة على صيحة (رنا)، وهي تقول :

- أنتظر .

أقترب من باب الفيلا، وقال :

- ماذا تريدین ؟

فتحت باب الفيلا، ونظرت له نظرة عميقة، ثم قالت :

- لقد تنبهت إلى شيء بالغ الأهمية.. الكلب رأى القاتل بالتأكيد ..

لكنه لم يهجم عليك عندما ذهبت إليه .

تنبه فجأة إلى تلك النقطة؛ فهز رأسه مؤيداً، وقال :

- وكذلك لم يهجم عليك أيضاً .. إذن القاتل ليس منا .

جذبتة من يده، وهي تقول بحماسة :

- هيا بنا إذن .. أعتقد أنني أعرف أين أجد صفحات الكتاب الضائعة

تبعها وقد أنتقل إليه حماسها، وقال :

- أين ؟

- في حجرة والدي .. أعتقد أن والدي كان يعرف .

- ومن أين عرفت هذا ؟

- طريقة إخفائه للكتاب تدل على هذا .

- لكنني لم أفهم بعد .. من أين عرفت طريق الصفحات الضائعة .

- هو مجرد استنتاج .. في مكتب والدي الخشبي درج سري صغير

الحجم، ومقفل دائماً .. على الأرجح الصفحات الضائعة موضوعة به.

صعدا معاً درجات السلم، ودلفا إلى حجرة مكتب والدها.. ثم ذهبت هي إلى المكتب الخشبي، وأشارت إلى درج صغير الحجم، وقالت:

- ها هو .. أبحث عن شيء لنفتحه .

عبث (خالد) بالمكان باحثاً عن أي شيء يصلح؛ لكنه لم يجد فقال بسرعة:

- سأذهب إلى المطبخ لأحضر سكيناً .. هل والدتك نائمة ؟

أجابته قائلة:

- أمي ليست هنا .. لقد ذهبت إلى خالتي منذ أمس الأول؛ لذلك كانت صديقتي معي لتؤنسني .

غاب (خالد) بالخارج ثوان قليلة، ثم عاد وهو يتنفس بسرعة، وبدون أن ينطق توجه إلى المكتب، وأخذ يعالج الدرج الصغير بالسكين .

أنفتح الدرج بعد محاولات عديدة، وجلست (رنا) على أرضية الحجرة تنقب داخل الدرج .. طال الوقت وهي تبحث كالمحمومة؛ ثم توقفت فجأة، وقالت بصوت مختنق :

- الصفحات .. الصفحات ليست هنا .

لمح (خالد) ظرف متهرئ أصفر اللون؛ فأشار إليه قائلاً :

- ربما تجديهم داخل هذا الظرف .

التقطت (رنا) الظرف بلهفة، وأخرجت من داخله بضعة أوراق أخذت تقرأهم بصوت مرتفع:

- - " عزيزتي رنا : لو يوم ما وجدت هذه الأوراق أعلمي شيئاً واحداً .. فيما مضى كانت لك شقيقة كبرى .. لكنها للأسف ماتت بين

يدي .. السبب هو ذلك الكتاب الملعون .. لا يهم من أين جئت به ؟! الأهم هو أن روحاً شريرة للملكة قديمة احتلت جسد شقيقتك .. وكنت أنا السبب في هذا .. لذلك مزقت صفحات الكتاب .. هل تعرفين لماذا ؟ لأن الشبح عندما خرج من جسدها دمره تدميراً .. لذلك أرى أن تسكنها روح شريرة أفضل ألف مرة من أن أراها تموت .. لو قرأت الكتاب يوماً ستجدين في غلافه الأخيرة إشارة إلى هذه الرسالة، وربما لن تنتهي لها .. وربما أيضاً لن تقرئي الكتاب .. لو حدث وعاد شبح الملكة .. ستكررين تلك الطلاس (سيرساكوبولا .. ماتور ساماري .. هيدا زيلا) سترحل الملكة، وكذلك الجسد الذي ستحتله .. إلا لو وجدت طريقة مناسبة لإخراجها من الجسد .. ستسألين عن عدم تدميري للكتاب .. الكتاب للأسف غير قابل للتدمير .. والصفحات الناقصة نزعته بمعجزة كبيرة .. صدقيني حاولت كثيراً أن أفعل المثل بكل صفحات الكتاب .. لكن على ما يبدو أن الكتاب ذاته كان يرى اختفاء هذه الصفحات أفضل .. أكتب هذه الرسالة وكل أملي ألا تجدي الكتاب مطلقاً"

أستعاد (خالد) تلك الذكرى، ثم أمسك بكف (رنا)، ونظر إلى عينيها الذهبية اللون، وقال بهيام:

- لولاك لكنت تزوجت شقيقي.

انطلقت هي تضحك بمرح، وقالت:

- إذن أنت مدين لي .

ابتسم هو بدوره، وقال :

- لا تذكرى هذه الكلمة مرة أخرى .. لقد صرت أكرهها .

نظرت له بحنان، وقالت:

- عندي كلمة أخرى ستعجبك .

بادلها النظرات، وقال بافتتان:

- أعتقد أنني أعرفها .

أطرقت رأسها أرضاً بخجل، وقالت بخفوت :

- وما هي ؟

ملس بكفه على شعرها الذهبي، وقال بهيام :

- أحبك .

في مكان قصي داخل الفيلا أسفل جزء مهشم من المائدة، تحرك كتاب عتيق عن ملكة قديمة، ومن جوفه سالت قطرات قليلة من الدماء؛ لتكتب كلمة واحدة:

"سأعود"

ظلال الخوف

السطح الأسود ممتد، والسيارة تتزلق عليه بسرعة كبيرة نسيباً، وباتزان مُحكم شأن مثيلتها من السيارات الألمانية الصنع الباهظة الثمن. قطرات المطر تتساقط شحيحة، كخيوط من الفضة، وتمنح الطريق زخات متقطعة؛ ليصير الأسفلت مرآة سوداء مصقولة.

مدت "وفاء" رأسها عبر النافذة، فبسط الهواء شعرها وتلاعب به كالشراع. مدت بصرها إلى الخلاء المنتشر على الأرض المفعمة بالظلام، وتحوّلت بنظراتها تتفحصه، وتتفحص رمال الصحراء الممتدة المتلاشية في قلب الظلال، والجبال المحدودة المطلية بالسواد، والقمر المكتمل المسجون خلف قضبان الغيوم الداكنة، وصغير الرياح الباردة، فتبدت السيارة وكأنها تحلق فوق أرض تناسها الزمن.

أخرجت "وفاء" رأسها من فتحة نافذة السيارة، وقالت وهي تتأمل المنازل المصفوفة:

- رائع.. هذا المكان مناسب تماماً لأجواء الرعب.

التفتت والدتها بجانب وجهها، وعينيها مثبتتان على الطريق، وقالت في ذات الوقت بطريقة تدل على عدم وصول الكلمات إلى آذنيها:

- ماذا تقولين يا حبيبتي؟

كانت الابنة شديدة الشبه بأمها. كلاهما له ذات الوجه المستطيل، وعينان عسلتان واسعتان، وبشرة بيضاء ضاربة إلى الوردي، وشعر حر

ناعم شديد السواد، إلا أن صغر سن الابنة منح وجهها نضارة وبهاء،
وحُسن وضاء.

أدخلت ابنتها رأسها إلى الداخل، وهي تحيب:

– المكان مناسب لأجواء الرعب.

شعرت الأم ببعض القلق الذي كان قد تلاشى قديماً، وبدأ سيال من
الذكريات يتدفق بين جنبات عقلها. صور مكوكية كومضات البرق. حبها
الأول الذي غزا كل خلاياها، برعشة مشبوبة بخفقات قلب. الحفل
الأسطوري الذي شهد على وثيقة الرباط الدائم بين قلبين. ساعات القلق
والسهاد من عدم حلول الجنين المنتظر. رحلتها بين المشفيات، وألوان شتى
من الأطباء، والتحاليل والعلاجات. تكرور بطنها بفعل دفع الجنين لجداره
الداخلي دلالة على النسو، تزامناً مع مصرع زوجها في حادث سيارة
مباغت، زوجها الذي كان لها بمثابة شريان الحياة، ورفيق كل لحظات
سعادتها ومُسببها، الحنون المزيل لأي لحظة ألم فور حدوثها، والمنتزع لأي
قطرة حزن قد تسيل من مآقيها قبل أن تنشأ.

توقف سيال الذكريات عند تلك اللحظة، عندما أبعد الطبيب عينيه
كي لا تتلاقى بعينيها وهو يخبرها بنبرات خفيضة:

– لا بد من إجراء عملية جراحية فورية. الجنين رأسه محاطة بغشاء رقيق
أنفصل عن الغشاء الجنيني، وهذا قد يتسبب في أضرار بالغة قد تصيب
عقل الجنين.

أمسكته من طرفي معطفه الأبيض؛ لتجبر عيناه على التلاقي بعينيها،
وهي ترتعد من الأنفعال الذي أعتلى أعصابها، ومنح عروقها نيران مشتعلة:

– ماذا؟

تخاذلت عضلات ساقها؛ فتركت معطفه، وتحسست ما وراءها؛ لتجد ما ترتقي فوقه:

- ماذا تقصد بقولك هذا؟ أخبرني بالله عليك، هل سأفقد حلبي المنتظر الذي عانيت من أجله ما لا يطاق؟ هل سأفقد أمني الوحيد في الحياة؟

أرتعشت شفتيه، وهو يشعر بمزيج من الصعوبة، والتوتر الذي يصيب الطبيب الجديد، الذي لم يتأقلم بعد على صدمات المرضى، عند أخبارهم ما لا يطيقون سماعه:

- أنا لم أقل هذا. ربما ولد الجنين سليماً معافى، وربما أصابه عقله بعض الضرر. لا أحد يستطيع التكهن بما هو آت.

هوت على طرف الفراش، وتاهت نظراتها بحثاً عن ينتشلها من تلك الحالة المؤلمة:

- أهناك ثمة أمل؟

جثى على ركبتيه، واحتوى كفها بين أصابعه، رغبة منه في بث الطمأنينة إليها:

- بالتأكيد هناك أمل كبير بمشيئة الله تعالى، الذي جعلك تأتين اليوم بالذات؛ كي نكتشف الحالة مبكراً.

بعد بضعة ساعات جاءت ابنتها تعوي داخل عالمنا، وجاءت لحظة الولادة تحمل لها كارثة. لقد خرج الجنين محاطاً بذلك الغشاء الذي تسبب في منع وصول الأكسجين إلى المخ، وحاول الطبيب إزالته بأقصى سرعة، لكن للأسف جاءت ابنتها فاقدة البصر. يومها شعرت بأحاسيس متضاربة. سعيدة بنجاة ابنتها من أضرار العته، وتعيسة لأنها ولدت عمياء.

ظلت ابنتها هكذا حتى بلغت سن ثلاثة أشهر، ثم أرتد بصرها فجأة دون مبرر واضح، إلا أن الضرر كان وقتياً لا أكثر. حدث رها كثيراً لمعافتها تماماً، ونذرتة بحسن معاملتها أبد الدهر، وقد كان.

لكن شعور القلق بدأ يعاودها منذ أن بدأت ابنتها تولع بكل ما يثير مشاعر الرعب والقشعريرة، تجلس ساعات كثر تشاهد الأفلام الدموية، أو تقرأ الروايات المخيفة ذات الأغلفة الممتلئة برسومات الأشباح، والمذعوبين، والموتى الأحياء، حتى تيقنت من سوداوية عقلها، وشذوذ تفكيرها. لكن أشد ما أثار العجب داخلها، هو الرقة والأحاساس المرهف التي تتميز بهما، ولطف معشرها، وأدبها الجم الذي يفيض في معاملتها مع كل صنف البشر. هنا تأكدت من أن كل ما جال بعقلها مجرد هواجس لا صحة لها، وما زاده هو معرفتها بأن نصف العالم يهوى كل ألوان الرعب؛ لما يشهه الجسد من مادة الأدرينالين، التي تمنح المرء شعوراً مشبواً بالسعادة والنشوة، ربما لهذا يهوى الجميع أجواء المغامرات المخوفة بالمخاطر، وغايتهم أن يصبحوا مكان الأبطال، يخوضون المطاردات، ويعبرون الغابات والأنهار، ويتسلقون أعالي الجبال.

- أمي. أين ذهب عقلك؟

أخرجها صوت ابنتها من سجال الذكريات؛ فتنهت للطريق جيداً، وهي تجيب:

- أعتقد أنك ستصبحين كاتبة رعب ممتازة. لكن أحداً لن يتزوجك.

تصاعدت ضحكة صافية من حلقها:

- ما زلت صغيرة يا أمي، ثم أنا لن أترك مهما حدث.

بادلتها الضحكة:

- كم أتمنى هذا يا غاليتي. لكن هذه هي سنة الحياة.

تلاشت الرمال الممتدة على جانبي الطريق، وأنتصبت مكافها عدة منازل مكونة من طابقين، متراصة بنظام وأشكال شبيهة بالمتبع في الدول الأوروبية.

أخرجت " وفاء " رأسها مرة أخرى، وقالت وهي تتأمل المنازل المصفوفة:

- إنها غير مأهولة.

- هذا بديهي يا حبيبتى. نحن في أوائل فصل الشتاء، ونادراً أن نجد أحد هنا، ولولا أنني رغبت في تغيير مياه حياتنا الراكدة، ما كنا أتينا.

- جميلة البلدة حقاً. أجد نظام منازلها كما أشاهد في الأفلام الأجنبية.

- وجديدة كذلك يا عزيزتي، لكننا لن نقطن بها، سنقطن بفيلا والدك (رحمه الله) التي تقع فوق الربوة.

- لا يهم أين سنسكن يا والدتي، الأهم أنني أريد رؤية البحر، والترجل على شاطئه.

- سنفعل يا عزيزتي. لا تنسى أن شاطيء (مرسى مطروح) من الشواطئ الرائعة الجمال. لكنني أعلم ما ستفعلينه. ستستمتعين به أول الأمر، ثم تقضين باقي أيام الإجازة في مشاهدة أفلام الرعب، وقراءة الروايات المخيفة.

- وماذا أفعل يا والدتي إذا كانت هذه هي هوايتي الأثيرة إلى قلبي. أفلام وروايات الرعب تمنحني شعوراً لا يمكن وصفه، ومزيجاً جميلاً من الأحاسيس المتداخلة.

- غريب أن يصدر هذا الكلام عن فتاة رقيقة مثلكِ مازالت في أوائل العشرين من عمرها!

- دائماً ما تعودين يا أمي إلى هذه النقطة.

- وماذا أفعل إذا كنت أرغب في حياة لطيفة لكِ؟

- لست وحدي من تفعل هذا. حتى أن كُتاب الرعب يكونون ثروات طائلة لأن قراءتها تغوي الكثيرين.

- ستجعليني اقرأ تلك الأشياء؛ لأعرف حقيقة ما تمنحه من شعور.

- رائع يا أمي. من الجميل أن نتشارك الهوايات.

- ويا لها من هوايات.

صنتت الوالدة عن حديثها وهي تتابع الطريق الذي أنهت منزلته، وبدأت حقول خضراء متراصة بجوار بعضها مختلفة الأنواع والأطوال، ثم واصلت:

- بعد تلك الحقول سنجد ربوة صغيرة فوقها الفيلا.

- لماذا لم نأت هنا سابقاً؟

- الطريق طويل وشاق كما رأيتي الآن.

- إذن لماذا نذهب الآن؟

تحركت مقليتها بطريقة تائهة تنم عن عدم توقعها السؤال:

- أخبرتكِ سابقاً أنني أرغب في تغيير حياتنا الرتيبة.

شعرت الابنة أن هناك سرّاً غامضاً لن تعرف إجابته الآن؛ فقامت بتغيير

سؤالها:

- وهذه الحقول أليست لها أصحاب؟

- تتساءلين كثيراً يا عزيزتي.. بالتأكيد لها فليس معقولاً أن الحقول
ترعى نفسها بنفسها.. لكنني لا أعلم أين يقطنون.. ربما في قلب الحقول
نفسها، أو على جانبها الآخر.

أنتهت بقع الحقول المستدة، ودخلت السيارة إلى طريق رملي صغير
نسبياً؛ لتظهر الربوة على مقربة، وفوقها المنزل يقف شامخاً.

توقفت الأم بالسيارة أسفل الربوة، ثم أدارت المفتاح لتغلق محركها،
وهي تقول:

- لقد وصلنا.

ففضت "وفاء" لتغادر السيارة، ثم ذهبت إلى المؤخرة لتساعد والدتها في
حمل الحقائب، وتوجهها معاً إلى أعلى الربوة حيث الفيلا الصغيرة، وبدأت
تفحصها.

كانت تصميم الفيلا من الطراز القديم الشديد الشبه بالطراز
"الفيكتوري"، حتى بدا كقصر صغير لا فيلا. تعلوه عدة أبراج رفيعة
الحجم ذات لون بني مائل إلى الأحمر، وفوقهم تمتد عواميد حديدية رفيعة
تنتهي قمتها بشكل ديك يصيح، ويدور حول محوره بفعل تلاعب الرياح
به، وكانت الفيلا من طابقين، وتظهر الشرفات الواسعة في واجهته
الأمامية. شرفات بالغة الإتساع، تحيطها من الجانبين أعمدة من الرخام
المصقول بلون الأبراج.

تقدمت الوالدة نحو باب الفيلا الضخم المصنوع من خشب "الأبانوس"
الأسود، وأوجلت المفتاح داخل الثقب المخصص له، ثم دفعت الباب الذي
أصدر صريراً يبعث على القشعريرة، ورمقت خيوط العنكبوت التي تملأ

أرجاء المكان، ثم قالت وعلى وجهها ارتسم تعبير يدل على خيبة الأمل
المزوجة ببعض الرهبة:

- لم أكن أتوقع هذا.

كسبت " وفاء " ضحكتها بكفها، وهي تنظر بدورها إلى الحالة المزرية
التي تبدوا عليها الفيلا من الداخل:

- يبدو أننا سنقطع وقت فراغنا في التنظيف.

ضربتها " الأم " بأطراف أصابعها ضرباً خفيفاً:

- ما كل هذا المرح الذي يبدو على قسماتك؟

لم تستطع الابنة كبح ضحكاها طويلاً؛ فأطلقتها مختلطة بقولها:

- عرفت الآن لماذا لا نأتي هنا كثيراً. لأنني لا أقطن الخرابات.

لم يكن أمامها غير الضحك بدورها، وهي تجيب:

- هيا خفيفة الظل كي نبدأ عملنا في التنظيف.

- وما ذنبي أنا. لقد أتيت لقضاء وقت ممتع.

- سنقضيه بالتأكيد بعد الإنتهاء من التنظيف.

- هذا لو بقيت لدي بعض الصحة للهو والمرح.

دلفت الأم بخطوات بطيئة، تتبعها الابنة إلى الداخل، ثم أغلقت الباب
خلفها، وهي تتساءل:

- أين زر الإضاءة؟

تحسست أمها الجدار الملاصق للباب، وما أن شعرت بالزر تحت أنامها،
حتى ضغطت عليه؛ ليسبح هو الفيلا في ضوء هاديء مريح.

جالت "وفاء" بعينها تتأمل البهو العظيم الإتساع، وقطع الأثاث التي تدل على قيمتها الغالية، وقالت:

- من أين نبدأ؟

أشارت الأم إلى السلم الحلزوني الصاعد إلى الأعلى:

- سنبدأ بغرفتين حتى نجد ما يحتويه عند النوم، ثم نتناول طعام العشاء، ونخلد إلى النوم.

قفزت "وفاء" بطريقة تدل على الرجاء:

- ليتنا نقوم بعمل حفلة شواء على الشاطيء.

- في هذا الوقت؟!

- وماذا في هذا؟ إننا دائمتي السهر، ولا يوجد مخلوق في هذا المكان؛ كي يجد من إنطلاقنا.

ربت الأم على كتفها بحنان بالغ:

ليكن لك ما تريدين يا عزيزتي.

صفقت "وفاء" بكفيها جزلاً، وقبلتها على وجنتها، وهي تقول بامتنان عميق:

- أنتِ أعظم أم في العالم.

جذبتها أمها من ذراعها؛ لتصعد بها إلى الطابق العلوي:

- التنظيف أولاً.

صعدت خلفها مهرولة:

- سأفعل يا والدتي.. سأفعل.

توقفت الأم أمام الغرفة الأولى، التي تقع بالقرب من السلم، وعلى يمين البهو الممتد الذي يحتوي على 4 غرف متجاورة:

- هذه غرفتي، وسأبدا التنظيف بها.

ثم أشارت إلى الغرفة الملاصقة لها:

- أما هذه فغرفتك أنت.

- ولماذا لا نتشارك في حجرة واحدة؟

- كي لا تزعجيني عند القراءة.. أنتِ تعلمين كرهى للنوم داخل غرفة مضياء الأنوار.

أندفعت " وفاء " نحو الغرفة، وهي تهتف بحماسة:

- لنرى من منا ستنتهي سريعاً؟

هزت الأم رأسها وشعور طاغ بالسعادة يغمرها، ثم دلفت إلى غرفتها بدورها.

نشرت " وفاء " عن زر الإضاءة، ثم ضغطت عليه، وأخذت تمسح الحجرة بعينها.

الحجرة مستطيلة الشكل بمساحة 30 متر. الحوائط مطلية باللون الأصفر الشاحب. خزانة الملابس تستقر على الجانب الايمن وتحتل الحائط بأكمله. تنتشر عليها أشكالاً محفورة من الأزهار والعصافير. في مواجهة الباب نافذة تحتل نصف مساحة الحائط، وتسدل عليها ستائر برتقالية اللون وتعلوها الأتربة. يتوسط فراش ضخم الحجم الحائط الذي يقع في مواجهة خزانة الملابس، تعلوه أربعة أعمدة نحاسية، وتستقر بينهما ستائر

خفيفة كالحة اللون من فرط القدم، والتي يطلق عليها العامة لفظة (ناموسية).

توجهت بخطوات سريعة في إتجاه النافذة، وقامت بفتحها وهي تنحي الستائر جانباً؛ ليرتطم الهواء البارد بوجهها، ثم مدت بصرها للخارج تتأمل المشهد.

- كيف لم نرى تلك المقابر.

قالتها وهي ترنو إلى شواهد القبر المتراسة بجوار بعضها، وما أن رأت الحقول الخضراء على مبعدة منها، حتى أردفت:

- مممم.. إنها لا تظهر عبر الطريق.

عادت أدراجها إلى داخل الحجرة، ووضعت كفيها على جانبي خصرها، وهي تتساءل:

- بماذا ابدأ الآن.

توجهت نحو الفراش، وهي تجيب سؤالها:

- سابداً بالفراش، ثم أعرج على الستائر وخزانة الملابس، وأنتهي بالأرضية.

ثم قرنت قولها بفعلها، وبدأت حملة التنظيف.

بعد مرور ما يقارب الساعة والنصف خرجت "وفاء" وهي تسعل بشدة، وقد علتها الأتربة، وخیوط العناكب، ويدها كيس من النايلون مليء بالمهملات.

ومن الغرفة المجاورة خرجت والدتها على نفس الهيئة، وما أن تلاقتا نظراتهما حتى انفجرتا ضاحكتين بمرح شديد.

تقدمت الأم من ابنتها، وأزالت بعض من خيوط العنكبوت عن شعرها، وتحسست وجنتها هامسة:

- يجب عليكِ الاغتسال يا صغيرتي.

أشارت " وفاء " نحو والدتها ثم نحو نفسها:

- وأنتِ أيضاً يا والدتي.. حالكِ ليس أفضل حالاً مني.

أشاحت الأم بيدها اليمنى ناحية درجات السلم:

- المشكلة تكمن في أن غرفة الإستحمام تحتاج أيضاً إلى التنظيف.

ضربت " وفاء " الأرض بقدمها:

- لا ليس ثانية أرجوكِ.. أحتاج إلى بعض الراحة.

ربت على رأسها بحنان:

- دعي هذه المهمة لي.

أحتضنتها " وفاء " بشوق حاني، وقبلت رأسها:

- المفترض أن أني من يجب عليها فعل هذا، ولاعتناء بكِ في كل

شيء، يكفي ما فعلتيه من أجلي طوال حياتي. يجب عليكِ الراحة الآن.

ضمتها الأم بحب وشوق أكبر:

- أنتِ كل ما لي في هذا العالم، ولن أدع شيئاً يجهدكِ أو يسبب لكِ

التعاسة. مهمتي هي إسعادكِ دائماً.

هرولت " وفاء " إلى الأسفل:

- لنرى من سيساعد من؟

هزت الأم رأسها:

- لن أستطيع مجارئك في الركض، والهمة والنشاط.

ثم بدأت قبط درجات السلم، وبداخلها ينمو شعورها بالسعادة.

القمر مكتمل. مضاء كبلورة صافية تحمل داخلها سائل نوراني.
نتف السحاب تعبر فوقه ببطء، وتكمل مسيرتها للتلاحم ببعضها البعض
عند إنحناء الأفق.

البحر يهدر. يعلو ثم يهبط. يمتد إلى الأمام حتى يمس أطراف الشاطئ.
يبлл الرمال البيضاء المتألقة بضوء القمر، ويترك عليها بصمته من الزبد
الأبيض، المختلط بالأعشاب والطحالب.

الهواء يهب بارداً مشبعاً برائحة اليود. يعبث بشعر الأم التي دفنت
جسدها داخل مقعد وثير، وحشت جسدها في الكثير من دثار.

أخذت "وفاء" تقلب قطع من "الهامبورجر" فوق شواية من المعدن، ثم
أخرجت قطعة من الورق المقوى، وبدأت تحركها فوق قطع الفحم؛
لتزيد لها إشتعالاً وتأججاً.

- هل هذا ما تقصديه بحفل شواء؟ هامبورجر؟!

ألفتت "وفاء" نحو والدهما بابتسامة تملو ثغرها:

- وماذا أفعل إذ لم اجد غيره يصلح للشواء؟ لماذا لم تأت معك بقطع
من الدجاج أو اللحوم؟

عبثت والدهما بحقيبتها الجلدية بحثاً عن منديل ورقي معطر:

- لم أكن أعرف بفكرتكِ عن الشواء.. يبدو أنني سأصاب بالبرد.
- صرخت الابنة بطريقة مفاجئة، ونادت عليها بنبرة من يوشك على البكاء:
- أمي.
- أنخلع قلب الأم من نداءها، قامت على فورها ركضاً إليها، حتى أنها أسقطت حقيبتها أرضاً دون أن تدري:
- ماذا حدث؟
- تحسست " وفاء " أصابع كفها اليمنى، وبدأت الدموع تتجمع داخل مقلتيها:
- لقد حرقت النيران أصابعي.
- تحسست الأم أصابعها، وشعور طاغ بالحزن والألم يغمرها:
- لا بد من وضعها بالماء.
- تناولت زجاجة كانت تجاورها فوق المقعد، وأزاحت غطاءها، ثم بدأت تصب المياه على أصابع ابنتها:
- لا تخشي شيئاً يا غاليتي.. سيزول الألم الآن.
- أشاحت " وفاء " رأسها من شدة الألم:
- هذا مؤلم للغاية.
- أنحنت الأم نحو حقيبتها، وأخرجت من داخلها منديل ورقي، وعادت لتحيط به أصابع ابنتها:
- لدي في المنزل أربطة للجروح، هيا بنا نعود كي أضمدها لكِ.

تناست "وفاء" الأم، وهي تلمح ذلك الشيء الذي سقط من حقيبة والدتها:

- ما هذا يا أمي؟

نظرت الأم غير فاهمة:

- ماذا؟

ثم ضرب الارتباك ملامح وجهها:

- تقصدين المسدس؟

أحاطتها "وفاء" بكفيها على جانبي كتفيها، ونظرت إلى عينيها بعشق:

- أخبريني يا أمي لماذا نحن هنا؟ لماذا أتيتي بي إلى منزل مهجور تعيث به العناكب، ومنطقة غير مأهولة على الإطلاق.

هربت الأم بعينيها بعيداً، وأخذت تبحث بعقلها عن حجة كي تقنع بها ابنتها، وعندما عجزت عن ذلك، ذهبت إلى حقيبتها، وأخرجت ورقة مطوية، ومنحتها لها:

- تودين معرفة السبب الحقيقي؟ اقرأي هذه.

ألتقطت "وفاء" الورقة وهي تشعر بالحيرة المزوجة بالفضول، وفضت الورقة وبدأت في قراءة ما بها، وعندما عجزت عن هذا قالت:

- هذه رويضة طيبة.. ماذا بك يا أمي؟ ماذا بك؟

أحتضنتها أمها بقوة، وبدأت الدموع تتساقط من عينيها:

- لا تخشي شيئاً يا حبيبتي. هو مجرد مرض نفسي.

بدأت "وفاء" تبكي بدورها وهي تشعر بالجزع؛ فوالدتها لم تكن مجرد أم لها، بل كانت الحياة ذاتها التي تحياها. على الرغم من يتمها مبكراً، إلا أنها لم تشعر بهذا قطاً، كانت دائماً تشعر بالسعادة والرضا والإكمال.

كانت بينهما علاقة نادرة للغاية، كانتا صديقتين. شقيقتين. كل شيء وأي شيء بينهما مكشوف. لا أسرار، وبلا تعقيدات، لذلك شعرت بالتعجب الشديد من تصرفات والدتها الأخيرة، وما زاد من جزعها هو ما تسمعه الآن:

- أي مرض نفسي؟ أخبرني بكل شيء بالله عليك.

زادت أمها في التشبث بها؛ كأنما تريد أن تحتويها داخلها، وتخفيها عن العالم بآثره:

- أنتِ يا ابنتي العزيزة.. لقد أصابني فجأة هاجس أن شيئاً ما سيحدث لك، وبدأ هذا الهاجس يزداد يوماً بعد يوم.. أصبحت أخشى عليك من كل شيء وأي شيء.. مرض. حادث. إختطاف.. العالم لم يعد آمناً كما كان في السابق. لقد تغير البشر إلى الأسوأ.

أسندت ابنتها رأسها على كتفها، وربتت على ظهرها بحنو بالغ رغبة في أن تمنحها الطمأنينة، كما كانت تفعل هي معها منذ الصغر:

- لا تخشي شيئاً يا أمي. أنا بآمان دائم معك، وأنتِ بآمان معي.

- لقد أقترح علي الطبيب أن أذهب بعيداً لعدة أيام، وأن أكف عن قراءة الجرائد، ومشاهدة التلفاز. لقد أخبرني أيضاً أن هذا شعور طبيعي لمن هن في مثل سني. وأكد أن ما أشعر به هو مجرد قلق سيزول بمفرده.

- لا تقلقي. من سيحاول الأقتراب منا سأكله بأسناني. لن نحتاج حينذاك إلى ذلك المسدس.

- لن أجعل أحد يقترب منا إلى هذا الحد.

لم تفهم الابنة ما تقصد:

- أي حد؟

رمقت الآفق في شرود، ثم نقلت نظراتها إليها، واقتربت بطرف أنفها
ليمس طرف أنف ابنتها، وحركت رأسها بطريقة لطيفة، وقد علا ثغرها
ابتسامة واثقة حنون:

- الحد الذي تطولينه فيه بأسنانك.

أعادت " وفاء " المقعد إلى مكانه في صدر الصالة، ثم نظرت إلى
الضادة التي تحيط بكفها:

- الألم بدأ في الزوال.. هل ستخلدين إلى النوم الآن ؟

تشاءبت والدتها بقوة، وهي تتجه إلى درجات السلم:

- بالتأكيد؛ فأنا منهكة للغاية.

تقدمت خلفها ببطء:

- أما أنا ساقرأ قليلاً.

بدأت الأم في الصعود:

- هل عرفتي الآن لماذا اخترت حجرة منفصلة؟

صعدت " وفاء " بضع درجات، وهزت رأسها:

- نعم يا والدي الحبيبة.. هذا أفضل كي لا أزعجك.

توقفت الأم أمام باب حجرتها، وأمسكت مقبض الباب:

- هل تريدن شيئاً قبل أن أخلد إلى النوم.

قبلتها " وفاء " على وجنتها:

- إذا أحتجت لأي شيء سأجلبه لنفسي.

دلفت أمها إلى حجرها:

- تصبحين على خير يا ابنتي الحبيبة.

أشارت لها بكفها، وهي تتوجه إلى حجرها:

- وأنتِ بألف خير يا أغلى أم لي في الدنيا.

ثم دلفت إلى الداخل، وأوصدت الباب خلفها بهدوء.

ذهبت " وفاء " إلى حقيبتها الجلدية الكبيرة الحجم، وجذبتها معها إلى الفراش، وبدأت تفتحها، وتخرج ما بها:

- لدي كم لا بأس به من روايات الرعب العالمية.

نظرت إلى الرواية الأولى وأخذت تقلب فيها قائلة:

- أين أنتِ يا أمي؛ كي تعرفين أن الرعب بدأ في الانتشار في العالم، وظهر الكثير من الكتب العباقة في هذا المجال.

تأملت الرواية، وبدأت تقلب في صفحاتها، ثم أسندت رأسها إلى الوسادة، وبدأت تقرأ.

بينما كانت في الداخل، مستغرقة في القراءة بكل حواسها، والسكون يعم الأرجاء إلا من بعض الحفيف الناجم عن تلاعب الهواء بالستائر، حتى بدأت فجأة تشعر أن ثمة شيء ما ليس على ما يرام، وكأن حدود الحجرة تبدلت، أو أن العالم لم يعد كما كان سابقاً. لا تعرف يقيناً من أين أتى لها

ذلك الشعور، لكنه كان شعور عارم. مقلق. أنساب إلى خلايا جسدها،
ومنحها أحساس بخوف مبهم.

دار مقبض الباب ببطء، مطلقاً صوت احتكاك معدني تقشعر له
الأبدان... نقلت " وفاء " عينيها ببطء، وقلق:

- هل هذه أنتِ يا أمي؟

أنفرج الباب فرجة صغيرة، سرعان ما بدأت في الاتساع مختلطة بصريـ
ر بطنيء مرعب:

- أمي .. أجيبي.. هل هذه أنتِ؟

كانت الإجابة التي تثير هلعها أن هذه ليست والدتها، وهذا ما يعني أنها
في خطر محقق. داهم. مرعب. هذا يعني أن هناك شخص غريب بالخارج،
شخص دخيل على الفيلا، ويضمر لها شراً، وربما يكون أصاب والدتها
بسوء كذلك.

أستمر باب الحجرة في الانفراج، وبدأ صوت الصرير يعلو بطريقة
تبعث على الرعب، وما أن أنفرج تماماً حتى شهقت من الهلع؛ فما شاهدته
يقف في الخارج متدثراً بالظلام لم يكن بشرياً بالتأكيد. المؤكد أنها لا
تستطيع التكهن بذلك لأن من العسير أن تتبينه في قلب الظلام العجيب
الغامض الذي يغزو الردهة، ولكن ما أكد لها هذا هو أن له عينيـ
ن هراوان تبرقان في الظلام كعيون القطط، وكان يزوم بطريقة تقبض القلب.

على الرغم من الرعب الشديد الذي غزا جسدها، وبدأ في منحه شيء
من الشلية، لكنها وبمعجزة حقيقة هرعت نحو الباب، وأوصدته بعنف،
وهي تصرخ بجنون:

- أمي.. أين أنت؟

بدأ الباب في الاهتزاز بفعل طرقات عالية تصطدم بخشبه في قوة؛
فأسندت ظهرها به كي تمنع ذلك الشيء في الخارج من إقتحام الغرفة،
وتواصل صراخها:

- أمي.. هل أنت بخير؟

أهتز جسدنا مع إرتجاجة الباب، وشعرت بالعجز، والضياع، واليأس،
والذعر يتملكون منها، ويشوشون عقلها من التفكير بطريقة سليمة؛ فهزت
رأسها بعنف:

- ماذا أفعل يا إلهي؟

لحت بطرف عينيها فجأة ظلال مريية ترسم على جدران الحجر.
تجمدت ملاحظها بخوف شديد، وبدأت في تحريك رأسها ببطء كي تتبين
ماهيتها؟ لكن المخيف أن الظلال ظلت تظهر فقط عند حدود أطراف
بصرها، وكأنها تتحرك مع حركتها، وتأتي الدخول داخل إطار الرؤية
المتكاملة.

أندفع الباب بعنف ليزيحها من مكانها، ويوقعها فوق أرضية الحجر
الباردة، متزامناً مع صوت غريب شيطاني، لا يتشابه مع أي صوت تعرفه،
ثم غرقت الحجره بالكامل في ظلام تام مخيف، وكأن عينيها قد فقدتا
البصر. لم تملك أمام ما يحدث داخل حجرها من أشياء لا تستطيع أن تفهم
ماهيتها، أو أسباب حدوثها، إلا الزحف أسفل الفراش، وهي ترتجف.

أصطدمت أشياء مبهمه بوجهها؛ فحاولت إبعادها بكفها بطريقة
هيسترية، والدموع تتساقط من عينيها:

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ ما الذي يحدث هنا؟

أخذ عقلها يعمل بسرعة

هل الفيلا مسكونة بالأشباح؟

هل قرأت تعويذة شيطانية دون أن تقصد؟

هل هذا شيء فعلته والدتها؟

نفضت رأسها لتطرد السؤال الأخير:

- مستحيل.. أُمي لا تعرف مثل هذه الأشياء.

تعالى صوت خطوات ثقيلة بطيئة، تدلف إلى داخل الحجرة، وتتقدم إليها؛ لتمنحها شعوراً طاعياً بالعجز عن الهرب، أو التصرف حيال تلك الأحداث المرعبة.

تراجعت أكثر أسفل الفراش، وكأفها بهذا تحمي نفسها من ذلك المقتحم، ومع تراجعها شعرت بشيء أسفل جسدتها؛ فتحسسته كي تبين كنهه؛ لتجدها حلقة معدنية بحجم قبضة يديها:

- ما هذا؟ ترى أ تكون....

بترت عبارتها عندما تيقنت من الإجابة، هذه الحلقة مثبتة بمربع متوسط الحجم، فوق فجوة تقود إلى المجهول.

- إلى أين يقودني هذا؟

طار الفراش من فوقها فجأة، وأرتطم بالحائط بقوة هائلة، ثم هوى محطماً بصوت مفرع، وأمام عينيها لحت تلك العينان الברاقتان المخيفتان، وصوت مخيف يزوم ويتعالى رويداً رويداً؛ كليث يستعد للإنقضاض على غزاة وليدة. بدون أن تفكر جذبت الحلقة المعدنية لتكشف عن حفرة مظلمة، ثم قفزت داخلها دون أن تعرف إلى أين تقودها؟

كان هدفها الرئيسي هو أن تقرب من ذلك الجحيم الذي غزا حجرتها،
الجحيم الذي لا تدري ما هو مسببه الرئيسي؟ أو الطريقة المثلى للتصدي
له.

أنزلت جسدتها داخل ظلام مدلم، لا تستطيع معه أن تلمح أي شيء،
وكان من حسن حظها أن الفجوة بزاوية مائلة، وليست مستقيمة. تساءلت
وهي تشعر فضول شديد يضرب جنبات عقلها.

ترى هل كانت هذه الفجوة هنا دائماً؟

من الذي صنعها؟

هل هو والدي؟ ولماذا؟

هل تعلم أمي عنها شيئاً؟

توقف جسدتها عن الإنزلاق بعد برهة، مما جعلها على يقين من أن
الفجوة تقود إلى مكان ما أسفل القिला، وليس على مبعده منها.

بدأت تتحسس الحائط بجوارها، وشعور عارم بالطمأنينة يغزوها، بعد
أن لحت ضوء شحيح مجهول المصدر، ثم رقدت على الأرض الصخرية
متكورة على نفسها، وبدأت في نوبة من البكاء الحار. كانت تبكي خائفة
مما حدث، ولا تعلم ماذا تفعل بعد الآن أو إلى أين تذهب؟ وكانت شديدة
الخوف كذلك على والدتها ومصيرها المجهول.

تعالى من أعلى صوت ضجيج مختلط بهسهات غير آدمية؛ فهبت من
رقلتها فرعة، وبدأت تتشنج من البكاء:

- ماذا أفعل يا إلهي؟ ماذا أفعل؟

نظرت إلى المسر المنحوت داخل الصخور أمامها، وبدأت تتقدم:

- ربما يقودني إلى الخارج.

تعالى الصوت من خلفها أكثر؛ فبدأت تسرع من خطواتها، والقشعريرة تغزو عمودها الفقري:

- من أين جاءت تلك الأشياء؟ وماذا تريد مني؟

وصل إلى مسامعها صوت كصفير الهواء، وشعرت أن شيء ما هبط خلفها عبر الفجوة؛ فتسارعت خطواتها، وبدأت بالركض بطريقة جنونية:

- لا.. لا.. أذهبوا بعيداً عني.. لعنة الله عليكم.

ما زاد شعورها بالرعب، أنها لا تدري من أو ما كنهة ذلك الشيء الذي توجه له حديثها؟ شعور مرعب للغاية أن تدرك يقيناً أنه شيء غير بشري. شيء أتى من مكان مجهول، من عالم مرعب مخيف، لا تعلم أين حدوده، ولا تدرك ما هي قوانينه، أو قواعده التي تحكمه؟ لو كان سفاحاً سافك للدماء ما خافت بتلك الطريقة؛ فالسفاح مهما كان به من شر فهو على الأقل بشري. له نقاط ضعف تستطيع بالحنكة وبعض التفكير أن تقتنص منه، أو تهرب بعيداً عنه، أو على أكثر تقدير تستطيع التخلص منه. لا يوجد بشري لا يموت مهما كانت قوته. هذه هي قوانين الطبيعة التي تدركها جيداً. لكن ماذا تفعل في مواجهة تلك الأشياء؟ ما هي نقاط ضعفها؟ هل تفنى كأي كائن حي، أم هي خالدة لا تموت؟ لماذا تهاجمها؟ ماذا تريد منها؟ ما مصيرها إذا تلاقيا؟

المخيف أنها لا تملك إجابة، أو حتى طريقة للخلاص منهم، أو الهرب بعيداً عنهم. كل شيء غامض كالظلام الذي يحيط بها. تحتاج إلى شيء ينير لها الطريق، ويجلي الغموض، ويمنحها الطمأنينة.

تعرقلت فجأة بشيء ما، وسقطت سقطة مؤلمة للغاية، وخاصة أن سقطتها جاءت فوق عدة أشياء صلبة متناثرة فوق أرض المسر.

تأوهت من الألم، وأسندت كفها على الحائط لتعاود النهوض، وهي تنظر إلى سبب سقوطها متسائلة:

- هل تلك الصخور من مخلفات قديمة أثناء الحفر.

لكن عقلها أنبأها أن ما تراه متناثراً بعشوائية ليست صخوراً؛ فالصخور ليست أبداً على تلك الشاكلة... ألحنت بجذر تلتقط أحد تلك الأشياء، وأرتجافة مزدوجة تعترى جسدتها. أرتجافة من اقتراب تلك الأشياء المطاردة لها، وأرتجافة عندما دخل ذلك الشيء الذي تمسكه بكفها إلى دائرة الضوء الغامض المصدر، وعندما أخبرتها مداركها عما تكون لم تصدق. كذبت عينيها وعقلها، مستحيل أن يكون هذا حقيقة. هذا مجرد وهم. كابوس لن تلبث أن تستيقظ منه.

ألقت بما بكفها بعيداً بذعر واشتزاز.

وما زاد جسدتها رجفة، وزاد شعورها رعباً، أنها ليست القطعة الوحيدة داخل المكان. لقد كانت الأرضية ممتلئة بالعديد والعديد مما هو على شاكلتها..

من جهاجم، وعظام بشرية.

نقلت بصرها مذعورة، وهي تتراجع للخلف، حتى لمس ظهرها الجدار.
أخذت تفكر مرتجفة

من أين أتت تلك الجماجم والعظام البشرية؟

ماذا حدث لأصحابها؟

ما هذا المكان، وما الذي حدث فيه؟

الأصوات تعلو. تقترب. تصل إلى مسامعها بوضوح. تتبينها. تجد تشابه
كبير بينها وبين ضحكات الضباع.

الهواء يهب بارداً عبر فراغات مجهولة المصدر. الضوء خافت. الرعب
حاضر. تتلفت خلفها. تتأمل العظام. تفكر " أين المفر من كل هذا؟ "

تترع عن نفسها أية أحاسيس. تغلق عقلها. تتقدم. كألة لا تعي.
تركض، وتركض. الطريق ممتد. يضيق. الصخور تكاد تطبق على جسدها.
الأرضية الغير ممهدة تؤلم باطن قدميها. الأصوات تقترب. الظلال تلهو فوق
الصخور. تبعد نفسها. كتفها يحتك بالجدار. الصخور المدببة تمزق ثوبها.
تخدش كتفها. تدميه. الدماء ترسم خطاً متقطعاً دلالة على أنها يوماً كانت
هنا. ربما بقيت عظامها كذلك.

الأصوات تقترب أكثر. المر يضيق أكثر وأكثر. الضوء يتسع. يزداد.
الهواء يلفح وجهها، ويلقي بشعرها للخلف. تواصل الركض. خيوط من

الماء تلتصق فوق الجدران. تنساب إلى أسفل؛ لتبلل الأرضية. مياه حمراء! ينبت عقلها أن هناك شيء خطأ. ما تراه ليس هو كما تعتقد. إنها دماء. دماء تنساب من أعلى. تعبر الشقوق. تلوث الجدران. تملأ الأرض، وتعلو. تصل إلى كاحلها. الحركة أصبحت أبطأ، والعقل على حافة الجنون. تصرخ وتصرخ " أليس لهذا نهاية؟"

تعثر على مصدر الضوء، وباعث الهواء. كرة حديدية دائرية الشكل، مفرغة على هيئة قضبان متقاطعة. الكوة أمامها. صغيرة الحجم لكنها تسمح بعبور جسدها الضئيل. تقبض على القضبان وتجذبها. بعنف تجذبها. بقوة وأمل. بضعف ويأس. الكوة تأتي أن تتحرك. الأصوات تقترب، والجسد يسقط، بوهن وحيرة. بضياح واستسلام.

الأشياء تقترب. تتجلى لها بوضوح. هتتر من هول ما رأت. تصرخ كما لم تصرخ من قبل. تلطم الكوة بقبضتها. تركلها. تضربها برأسها. الكوة هتتر. تتزحزح. عظامها تؤلمها، ورأسها تدمي. تواصل. الكوة تتراح. تفتح لها طريق الهرب. تعبر إلى الخارج. إلى ما فوق الأرض. إلى الحرية.

تواصل العدو بجنون. تنقطع أنفاسها. الألم يبدأ بغزو عظامها، والإرهاك يجبرها على التوقف. تلقي بنفسها أرضاً لاهثة كالغريقة. يعود إليها شعورها مرة أخرى، وتفتح أبواب عقلها، ويقف على شفا الإهيار العصبي. ترتجف. تتشنج. تصم آذنيها بكفيها، وتبدأ في النواح بكل ما تملك من قوة. تصرخ حتى تكاد حنجرتها أن تتسرق. تحتضن الأرض وتنشبت بها كمن يعاني ألم لا يطاق، أو كمن تزهرق روحه. تتمدد على ظهرها. تلمح السماء المفتوحة أمام بصرها. الغيوم الداكنة تملأها. تعتدل وقد بدأ بعض الهدوء ينساب إليها. تكفكف دموعها، وتفكر. تتذكر.

" أمي أين أنت؟ "

أستيقظت والدتها بهاجس خفي، ينبأها أن الأمور ليست على ما يرام. أن هناك خطر يهدد ابنتها. تلفتت حولها تتأمل الموجودات. الحجرة مفرقة في الظلام. تمد كفها، وتضغط زر المصباح الصغير القابع فوق (الكومود) المجاور للفراش. الضوء يبدد الظلمة، ويحتل مكانها، ويلسع مقلتيها. تغلق جفنيها من الألم، وتبدأ في فتحهما مرة أخرى ببطء. تفكر " ترى ماذا دهاني؟ هل وفاء حقاً في خطر؟ لقد تركتها سعيدة، وكانت ذاهبة للقراءة. من أين سيأتيها الخطر؟ "

أعدلت فوق فراشها، ونشيت بقدميها عن خف تدسهما فيه، ثم توقفت دفعة واحدة، وعادت ترقد على شقتها الأيمن، باسطة كفها أسفل وجنتها.

" لا.. لا يجب ان أجعل حالتي النفسية تملكني بهذه الطريقة.. لا يجب أن أقلق ابنتي كل برهة بحجة الأطمئنان عليها.. هي بخير.. حتماً بخير.. يا إلهي ساعدني على محو تلك الهواجس من عقلي "

مدت كفها تلتقط علبة صغيرة تحتوي على حبوب مهدئة. فتحتها والتقطت أحدها، ثم ألقت بها داخل حلقتها، وجرعت خلفها بعض الماء. " يجب أن أدعها تستمتع بوقتها كما تريد.. لن أقلق راحتها، أو أشاركها همومي وهواجسي.. هي بخير.. حتماً بخير "

تراخي جسدها، وأسبلت عينيها، وبدأ وعيها يتلاشى داخل جدار النوم.

دخان مخيف يغزل ضباباً. يزحف على الأرض. ينساب بين الفراغات.
تنتبه "وفاء" له، وترمقه مدهوشة "من أين جاء هذا الضباب؟"

تتلفت حولها لتجده يحتل كل شيء. المدينة بالكامل يغزوها الضباب.
تنتبه فجأة إلى موقع جلوسها. تهب واقفة مدعورة "هذه ساحة المقابر التي
رأيتها عبر نافذتي"

تبحث بعينها عن موقع الفيلا، وشعور قاتل بالوحدة والخوف يطبقان
على صدرها. الضباب يحد من بصرها، ولا تستطيع إدراك موقع الفيلا "
ترى هل أنت بخير يا أمي؟ هل شعرتي بما حدث لي؟ أم أصابك ما أصابني؟"
بدأت تبكي مجدداً، وهي تشعر شعور التائه الحائر "كم أحتاج إليك يا
أمي؟"

تنتبه إلى أشياء تتلوى حولها فوق سطح الساحة. أشياء مبهمه تشبه
الديدان. تدقق نظرها كي تتبينها، وتنتفض بهلع شديد؛ فالأرض كانت تعج
بالأيدي. مئات من الأيدي السوداء البشعة، ذات أظافر متسخة تخرج من
أسفل، وكأن ما تقف فوقه حقول مخصصة لزراعتها.

تراجعت للخلف برعب وهي لا تصدق ما تراه. الأصابع تنقبض محاولة
الإمساك بها. تتراجع أكثر محاولة الهرب. الأصابع تمس ساقها؛ فتنفض
بذعر واشتمزاز، وتتقافز بعيدة عنها، لكن الأيدي كانت في كل مكان. في
كل شبر. تشعر بمن يقبض على كاحلها الأيمن. تصرخ بهيستريا، وتحاول
التخلص بجنون. قبضة أخرى تشبث بساقها اليسرى. تشعر أنها في قلب
الجحيم ذاته. تحاول التحرر والخلاص، لكنها تسقط أرضاً. الأيدي تمسك
معصبيها، وتقيّد ذراعيها. تنتفض، وتنتفض محاولة الخلاص، وأحاساس
عارم ينتابها أنها ستذهب إلى عالم الموتى. إلى عالم الشياطين والأرواح

الشريرة. لا تعرف أين المفر من تلك الأشياء؟ تحاول الصراخ، لكن الأيدي تكسّم فيها. تنتفض وهي تشعر بمذاق الأيدي المخيفة الكريهة. تتسع عينيها بذهول، وتلتصع بالدموع، وأحاسيس مختلطة بالعجز والشلل والرعب الرهيب يغزونها. تحاول فتح فكيها بصعوبة شديدة، وهي تفكر في نشب أسنانها في تلك الأيدي وتمزيقها تمزيقاً. لم تجد ما تفعله غير هذا. أصابع تتسلل داخل فمها، وتلمس لسانها. يمتزج اللعاب بنتانتها؛ فتشعر بمزيج قاتل من التقزز والإمتعاض. يثور جوفها في محاولة للتقيء، لكنه لا يجد ما يقذف به من حلقها. تطبق أسنانها بقوة عاتية، وهي همهم بصرخات مكتومة. تشعر بتمزق الأصابع. تطبق بأسنانها أكثر حتى تشعر ببعض التحرر. تحرك قدميها وذراعيها. تبحث بأسنانها عما يكبلها. تنشبهها. تبصق. يتحرر معصمها الأيمن. تنبش الأرض بجنون باحثة عن أي شيء يساعدها في الخلاص. تلمس أصابعها صخرة. تلتقطها بلهفة، وتنقض بها على الأيدي. تضرب وتضرب. بعصية وشراسة. تضرب في كل مكان. يتحرر ذراعها الآخر. تواصل دق الأيدي بالصخرة حتى تتحرر بالكامل. تهب واقفة، وهي تشعر كأنها ملوثة بالأوحال. تبعد الملمس الوهمي الشنيع لتلك الأشياء عن جسدها. تنحني لتضرب مرة أخرى، وهي تصرخ "أبتعدي أيتها الـ...."

لم تجد ما يناسب تلك الأشياء من مسيات. تلقي الصخرة بعيداً، وتبدأ العدو مبتعدة.

تواصل العدو، حتى تجد نفسها أمام أراضي الحقول. حقول ممثلة بشق ألوان المزروعات. تدلف إلى قلبها، وهي تتسنى أن تجد من يمد لها يد المساعدة، أو تجد مكاناً مناسباً للاختباء. تبطيء من خطواتها، وترفع رأسها

عالياً؛ لتقتصر من نسماء الهواء الباردة، عليها قهديء من روعها. المزروعات ممتدة. تحيط بها من كل حدب. تنظر للأرض بقلق. لكن لا شيء غير الطمي المندى بقطرات الماء. قدأ نفسها قليلاً. تعاود التفكير " ما الذي يحدث لها هنا؟ ما كل هذا الرعب، وكل تلك الأهوال التي قهاجها؟ أين والدها الآن؟"

تحدث نفسها بصوت مرتفع: أُمي.. ترى ماذا تفعلين الآن؟ هل أقتنصت منك تلك الأشياء المفزعة؟ هل تستطيعين حمايتي منهم؟ هل تعرفين ماهيتهم؟ هل لهذا السبب لم تأتي هنا منذ سنين؟ هل حلت لعنة ما على المدينة؟ هل هو يوم الحساب؟

حاولت تذكر والدها. هي لم تلحق به في حياته، لكن أمها كانت تحكي لها دائماً عنه. تحاول أن تعصر خلايا مخها في تذكر أي حديث كان بينهما عن الفيلا أو المدينة. تتذكر الآن بعض الحديث. نعم. لقد أخبرتها والدها عن الفيلا. كانت ميراث والدها عن جدها، وكانا يقضيان بعض من أوقات الصيف بها. يمرحان، ويلهوان على الشاطئ الرملي، ويعومان في قلب البحر. لقد قضيا الكثير من الأوقات اللطيفة هنا، وبثا الحب بين أرجاء المكان. لكن منذ يوم وفاة والدها تناست أمها كل هذا، ولم تحضر هنا قطاً. كانت تأخذها مرات إلى شواطئ الإسكندرية، ومرات إلى الغردقة. لكنها أبداً لم تفكر في إحضارها إلى فيلا والدها.

ترى هل سبب هذا حتى لا تعود لها ذكريات الحب القديمة؟

هل تؤلمها الذكرى إلى هذا الحد؟ أم أن هناك سبب آخر لا تدري عنه شيئاً؟

الرياح قهب شديدة. تدفع الضباب الغامض كي يتسلل عبر المزروعات. تتلاعب برءوس أعواد القصب، والذرة. تبعث إلى جسدها

بعض القشعريرة. تنبّه بغتة إلى أن ما ترتديه هي ملابس النوم الخفيفة. تحتضن كتفها بذراعيها، وتفركهما في محاولة يائسة لبعث الدفء إلى بدنها. البرق يشق الأفق بلسعة متوهجة، يعقبها هزيم الرعد. كل شيء أصبح لها مخيفاً موحشاً. ضباب فوق سطح الأرض، وغيوم تملأ الأفق، وساحة مقابر، وكأن كل الأجواء تحاول بكل طاقتها رسم لوحة متكاملة للرعب المجسم.

حفيف أعواد الذرة بالذات، وخشخشة أطرافها المتلامسة، يمنحان جسدها شعوراً مزعجاً مختلطاً بقشعريرة راجفة. تقدمت إلى الأمام لتواصل طريقها، لكنها تجمدت مكانها فجأة. هناك أشياء ما تقف خلف أعواد الذرة. أشياء لها تكوين مشابه لأجساد الغوريالات، لكنها مخفية في قلب الظلال والضباب. أكثر ما يفزع في تكوينها أن لهم أعين متقدة كالجمرات. العديد والعديد من أزواج الجمر المشتعل ترمقها في صمت مخيف.

تتقدم إلى الأمام ببطء وجسدها ينتفض كيامة مذبوحة. تواصل التقدم وتلك الأعين المضيئة تراقب خطواتها. الرعب يعتصر قلبها، وينتشر فوق حنايا جسدها. لا تستطيع تبين كنهة تلك المخلوقات. لا تعلم كيف هرب منهم وإلى أين؟

هل تتقدم إلى الأمام، أم تتراجع إلى الخلف؟

هل هرب بخطوات بطيئة، أم تركض؟

هل تستطيع الفرار أصلاً، أم تلك هي نهايتها؟

تتبين أذنيها أصوات كالزئير المكتوم. هذه المخلوقات تستعد للانقضاض عليها، كما تستعد الوحوش الضارية. تدعو الله أن تستطيع المرور بينهم بسلام، والفرار بعيداً.

تدهس بقدمها غصن خشبي جاف؛ فيتكسر بصوت مزعج. تشعر
بالفزع الشديد، وخاصة عندما لحت تقدم تلك المسوخ؛ فتبدأ بالعدو
المحموم.

يتعالى الزئير الشيطاني لتلك المخلوقات، وتزيع الأعواد من طريقها،
وتبدأ في الهجوم.

تركض "وفاء" بكل طاقتها وهي مرعوبة، لكن تلك المخلوقات كانت
سريعة حقاً، وتستطيع القفز كذلك. لقد قفز أحدهم في الهواء، وعبر
الفضاء فوقها، ثم هبط أمامها فاتحاً ذراعيه على أمتدادهما، مطلقاً من حلقه
زئيراً قوياً للغاية، حتى أن من شدته شعرت أن طبلتي آذنيها ستوشكان
على الانفجار.

تبينت ملامحه المخيفة التي ظهرت لها مع إلتماع البرق. تلك الأنياب
التي تبرز من فكيه، والفرو المشعث المغبر الذي يكسو جسده، ذكرها
بشيء ما. شيء قادم من عالم المستحيلات. هذه ليست غوريلا حتماً. هذا
"غول" حقيقي. "غول" مخيف متعطش لأفتراسها.

وقفت عاجزة عن اتخاذ أي قرار، بينما بقية الغيلان تقترب منها،
وتلتف حولها، صانعة دائرة بأجسادها. دائرة غاية في الإحكام.

السمع البرق بغتة، ومن قلب الغيوم أندفعت صاعقة زرقاء متعرجة،
ضربت الأرض بكل قوتها. تعالى صوت فرقعة عالية، وأضيئت مساحة
شاسعة من الحقول، ثم بدأت النيران في أكلها، والأنتشار سريعاً.

تبادلت الغيلان النظرات القلقة، وكأفها شعرت بالتوتر؛ فأستغلت
"وفاء" الفرصة، وعبرت بينهم، وبدأت في مواصلة العدو، وهي تمني نفسها
أن تستطيع الابتعاد أو الاختباء بعيداً عنهم. شعور مخيف تملكها من أن

تكون طعاماً لتلك "الغيلان". شعور مفزع ومؤلم أن تتخيل تلك المخلوقات تمزق جسدها وتنهشه وهي حية واعية ومستوعبة لكل ما يحدث لها؛ لذلك أجبرت قدميها على العدو بما يفوق طاقتيها، في محاولة للفرار بجسدها من ذلك المصير المرعب بشدة.

ظلت تعدو وتعدو، و"الغيلان" من خلفها تصيح وتزئير بوحشية. أعواد المزروعات تلطم وجهها، وتمزق بشرتها الرقيقة. النيران تنتشر بجوارها، والضباب يغلف كل شيء. تشعر بمخالب حادة تمزق ثوبها من الخلف، وتחדش ظهرها. آلام مبرحة تنتشر، لكنها تواصل الهرب مرغمة. ثقل هائل يحتم على ظهرها، ويجبر جسدها على السقوط أرضاً؛ فترتطم بها بقوة، وتصرخ من شدة الألم. لقد قفز احدهم عليها من الخلف. تشعر بأنياه وهي تقترب لتمزق رقبتها. تلملم شتات نفسها، وتجمع كل طاقتها في قبضتها، وتلكمه في وجهه. محاولة تبدو لها يائسة لكن المدهش أنها حققت نجاحاً. لقد أطارت قبضتها "الغول" بعيداً. هذه "الغيلان" على الرغم من شراستها وهيئتها المخيفة تمتلك أجساداً هشة، وبنية ضعيفة. تستجمع شاجعتها وتنتصب واقفة بسرعة. تحديق فيهم، وتطلق من حلقها صرخة هائلة، في محاولة ساذجة لإخافتهم. "الغيلان" تحيط بها من كل جانب، وتطلق صرخات شرسة رداً عليها. تنبش بعينيها الأرض بحثاً عن غصن أو قطعة خشبية كي تصارعهم بها، لكن لطمة هائلة في صدرها تلقي بها بعيداً. يرتطم جسدها بشجرة أو عامود من الخشب. لا تستطيع تبينه جيداً. آلام رهيبة تؤلم صدرها، وتنتشر على سائر جسدها. "الغيلان" تتقافز في الهواء، وتبسط في مواجهتها. تشعر باليأس الشديد، وتتساءل "هل هذه النهاية؟" تلمح بطرف عينيها رفش ملقى بالقرب منها. تلتقطه بلهفة، وتبدأ في النهوض. تحكم قبضتها عليه جيداً، وتقف استعداداً للمواجهة

التي لا تعرف نهايتها. يقفز أحدهم عليها فترفع الرفش عالياً وتضرب به رأسه فتطير من فوق جسده، وتسقط بعيداً، يتهاوى جسده أرضاً وهو ينتفض، وتندفع منه دماء عجيبة غير محددة اللون.

تأمل إنتفاضته فتغمغم وهي ترفع بصرها لهم: " يبدو أن أجسادكم ضعيفة حقاً.. هيا أيها الأوغاد كي تتذوقوا طعم الألم"

رمقتها الغيلان بنظرات وحشية، ونقلت أبصارها بين الرفش الذي بين يديها، وزميلهم الصريع، ثم تبادلوها فيما بينهم، وهم يطلقون همهمات وحشية. تراجعوا قليلاً للخلف، وقوسوا ظهورهم علامة على الإستعداد، ثم قفزوا إلى أعلى في إتجاهها، وبدأوا هجومهم الجماعي.

للمرة الثانية أقلق الشعور الخفي والدقا. فتحت عينيها وهي تتأمل ما أمامها مفكرة

" هل أذهب لتبينها ام اظل مكاني؟ ماذا ستقول ابنتي إذا شعرت بقلقي؟"

أعدلت فوق الفراش:

- اللعنة.. فلتعتقد ما تعتقد.. أهم شيء هو التأكد من سلامتها.. لكن.. لكن ماذا سيصيرها وهي قابعة بالداخل، غافية أو تقرأ؟

حار عقلها طويلاً لكن قلقها هذه المرة كان عارماً؛ فنهضت كي تزيحه جانباً، وتتأكد من سلامة ابنتها. هبطت من فوق الفراش. دست قدميها في الحف، ومدت كفها تلتقط المسدس من داخل حقيبتها الموضوعة فوق (الكومود). تأملته لحظات، ثم نحتته جانباً:

- لا.. ليس لهذه الدرجة.. لا تجعلني ابتك تظن بك الظنون.

بدأت تخطو فوق الأرض بخطوات مترددة. تؤخر قدم، وتقدم الأخرى. كان من العسير عليها أن تصيب ابتها بالقلق تجاهها، والخوف على عقلها من الهواجس. لكنها تقدمت على الرغم من ذلك، وغادرت الحجرة بسرعة خشية ان تراجع عما ستفعله. وقفت أمام باب حجرة ابتها، ولحت الضوء يتسلل من اسفله " يبدو أنها مازالت مستيقظة وتقرأ"

طرقت الباب بخطوات جعلتها هادئة؛ كي لا تخيفها:

- وفاء.. هل أنت مستيقظة؟

جاوبها الصمت المطبق. عاودت الطرق، والسؤال مجدداً، لكنها لم تتلق أي إجابة، أو صوت يطمئنها على ابتها؛ فزادها هذا قلق على قلق. أمسكت المقبض، وادارته بسرعة، وهي تدفع الباب:

- وفاء.. هل أنت بخير.....

لكنه ما رآته جعلها تبت عيارها، وتطلق صرخة مدوية من حلقها.

رفعت "وفاء" الرفش عالياً، وبدأت تضرب بكل قوتها. تضرب عيناً ويساراً، وإلى أعلى وإلى أسفل. كانت النتيجة مدهشة حقاً، وكانت بنيتهم هشة كما قدرت.

تطايرت الرؤوس، وأجزاء من الأجساد في كل صوب، وسقط منهم العديد والعديد، لكن أعدادهم كانت كبيرة، والتعب والإرهاك بدأ في النيل منها، وعلى الرغم من هذا واصلت، ولم تفتر عزميتها. ظلت تضرب وتضرب وتضرب، حتى غطتها الدماء المنبعثة منهم، وأفرشت أجسادهم

الحقول. توقفت دفعة واحدة عن الضرب، وبدأ صدرها يعلو ويهبط بسبب لهاثها. نظرت إلى بقيتهم الذين أخذوا يتراجعون في اتجاه صفوف المزروعات، حتى تلاشوا تماماً في جوفها، ثم جلست أرضاً وهي تشعر أن أنفاسها تكاد تنقطع، وأن عضلاتها تن من كثرة الجهود:

- هيا أرحلوا بعيداً أيتها المسوخ الحنقاء.

ألقت بالرفش بجوارها، وبدأت تبكي:

- أرجو أن تكون هذه آخر مراحل الرعب.. أريد العودة إلى المنزل..
أريد الراحة والاستحمام.. أريد أمي.

تأملت البقعة التي تجلس فوقها، ونهضت ببطء:

- يجب أن أجد الطريق إلى المنزل بأية طريقة.

ألتقطت الرفش مرة أخرى:

- من يعلم؟ قد أحتاج إليك مرة أخرى.

تملكها الفضول لرؤية تلك الساق الخشبية التي ارتطمت بها سابقاً، وبدأت تتفحصها:

- ترى هل لكِ فائدة ما؟

تتبعها إلى أعلى حتى رأت ذلك الشيء مختفياً بسبب الضباب. كانت هيئته مفزعة حقاً حتى أنها أنتفضت مذعورة، لكن الهدوء عاد إلى نفسها مرة أخرى:

- صحيح أنه يملك هيئة مخيفة، لكنه لا يستطيع أن يمسنني بسوء.

ضربت ساقه قائلة:

- أنت تخيف الغربان فقط، أليس كذلك؟

كان ما رأيته هو فزاعة (خيال مآتة)، دمية من القماش المحشو بالقش،
وفوقها رأس ذات ملامح تمنح الناظر إليها رعباً بلا حدود.

وضعت الرفش فوق كتفها، وبدأت تشق طريقها مبتعدة. لكنها
تسمرت مكانها فجأة عندما وصل إلى مسعها صوت حركة مربية خلفها.
تلفتت خلفها بقلق، ثم اتسعت عينيها برعب شديد، وتراجعت بشدة حتى
سقطت أرضاً. بدأت في التراجع زحفاً على ظهرها، مستندة على مرفقيها،
وهي تشاهد تلك "الفزاعة" المخيفة الشكل تغادر مكانها، وتتقدم نحوها
بخطوات مرعبة بطيئة.

تقدمت الفزاعة ببطء، وهي تطلق زنجرة مخيفة، بينما كانت " وفاء" تواصل التراجع، وهي تفكر " كيف الخلاص من ذلك الشيء"
التقطت الرفش الذي سقط معها، وطوحته ناحية "الفزاعة"؛ فأصاب ذراعها وفصلة عن سائر الجسد.
- يبدو أنك هش كالسابقين.

ثم ضربته ضرب أعنف خلعت بها الرأس، وأسقطتها جانباً.
توقفت "الفزاعة" مكافها، ثم ألحنت تلتقط الأجزاء التي سقطت منها، وأمام أعين "وفاء" الغير مستوعبة أعادتها إلى مكافها من جديد، ثم بدأت تؤثر بشراسة تخلع القلوب.
أرتعدت "وفاء" مما يحدث:

- هذا غير منطقي!

لكنها تنبعت إلى أن كل ما يدور حولها غير منطقي على الإطلاق، كل شيء بدأ منذ أن كانت بداخل حجرها عجيباً ومخيفاً! أشياء لا منطق لها، ولا تدري لماذا بدأت في الحدوث؟

بدأت في محاولة النهوض؛ كي تحاول الهرب بعيداً، لكن ذلك الشيء هاجها بشراسة، وهو يلكمها بقبضتين من خشب. أصابت أحد الضربات

وجهها فشهقت من الألم، ثم حاولت التماسك والنهوض. لكنه لم يدعها تفعل ذلك، قبض على رقبتها بقوة هائلة حتى شعرت أنها تختنق، ثم رفعها عالياً، وحدث في وجهها وهو يزتر، ثم قذف بها بعيداً؛ لتسقط فوق الأرض الطينية بعنف بالغ.

شعرت بالآلم مبرحة تنتشر على جسدها، وأن قفصها الصدري قد تحطم تماماً. تحسست موضع الألم، وهي تسعل بشدة:
- لن أدعك تنال مني أيها الوغد.

قالتها بصوت متحشرج، ثم رفعت الرفش عالياً، وضربته فوق صدره بكل قواها.

رأته ينشطر إلى شطرين، ويسقط أرضاً. كانت تعلم أنه سيلتحم مجدداً؛ فجاء قرارها بالعدو مبتعدة.

بدأت تعدو مبتعدة، وهي تتسائل: "هل سأتمكن من الهرب منه؟"
لكنها عرفت الإجابة، عندما شعرت به يعدو خلفها. كان صوت دبيبه على الأرض، وزئيره، كفيلا أن يجعلها تدرك هذا.

شعرت بالآلم قاتلة، عندما أمسك خصلات شعرها من الخلف. شعرت وكأن رأسها ستنشق إلى نصفين، وزاد الألم عندما جذبها بقسوة، وضرب بها الأرض.

أخذت المسكينة تتلوى بشدة، وهي تطلق صرخات متألمة، وحاولت التفكير في محاولة جديدة لتخلص منه إلى الأبد. جذبها من ساقها بعنف، وطوح بها مجدداً؛ فجاءت سقطتها بالقرب من الحقول المحترقة التي أصابها البرق سابقاً، وشعرت بلفح النيران تكاد تشوي وجهها، لكن عقلها اضاء فجأة "النيران"

زحفت تجاه النيران كي تأخذ منها جذوة، لكن "الفزاعة" داست عليها
بقدمها وهي تضغط بقوة. جزت "وفاء" على أسنانها في محاولة باسلة
للتحمل، لكنها مرغمة أطلقت صرخة ألم عالية ترددت في الفضاء. حاولت
الزحف مبتعدة لكن الضغط كان هائلاً. مدت كفيها إلى الأمام، وهي
تحرّكهما في محاولة للإمساك بجذور النباتات التي أمامها. كان هدفها أن
تجذب جسدها بعيداً.

حاولت مرة وراء المرة، حتى نجحت في القبض على تلك الجذور،
وبكل ما تملك من قوة بدأت تجذب نفسها لتحرر من ذلك الشيء.
نجحت أخيراً وبصعوبة شديدة في التحرر، وعندئذ قفزت دفعة واحدة تجاه
النيران. قفزت "الفزاعة" خلفها كي تتمكن منها ثانية، لكن "وفاء" ضربتها
بقوة لتسقطها في قلب النيران.

تعالّت الصرخات الشيطانية من ذلك الشيء، وقد بدأت النيران في
الإمساك به شيئاً فشيئاً، حتى أشتعل بالكامل، وبدأت تلتهمه في سرعة
بالغة.

راقبته "وفاء" وهو يتلوى مشتعلاً، ومتخبطاً فيما حوله، حتى همدت
حركته، وسقط ساكناً، وقد صار قطعة متفحمة، ثم وضعت الرفش فوق
كتفها، وبدأت رحلتها مرة أخرى في الابتعاد عن ذلك الجحيم.

ساعة كاملة كانت تتوغل فيها داخل بقعة الحقول. الألم ينتشر على
معظم أنحاء جسدها. الشياب مهلهلة، والبرد يمنحها اصطكاك دائم.

وجدت نفسها أخيراً خارج نطاق الحقول. في ذلك الطريق المسهد
الذي كانت تقطعه مع والدتها دخال السيارة، ولحت على الجانب المواجه

تلك المنازل ذات التصميم الأوروبي. بدأت تعبر الطريق بأمل عليها تجد من يساعدها، أو وسيلة تنقلها، أو حتى ملابس تمنحها الدفء.

ومض البرق بشدة، وتبعه هزيم الرعد بصوت يقبض القلوب، ثم بدأت قطرات المطر تنهسر بشدة؛ لتفرق كل شيء.

بللت الأمطار جسدها بالكامل؛ فبدأت تعدو بسرعة إلى إتجاه المنازل.

عندما وصلت إلى هناك، بدأت تمر بالمنازل في خطوات متلهفة. تنظر عبر نوافذها الزجاجية بحثاً عن أي شيء يساعدها. شخص أو ملابس أو نظام تدفئة أو حفنة من الطعام تسد جوعها. لكن المنازل كانت جميعها مظلمة؛ لذلك لم يكن أمامها إلا إقتحام أحدهم والبحث داخله.

هوت على قفل باب أحد المنازل بالرفش؛ لتنتزعه من مكانه، لكن بعد جهدها وجدت الباب مغلق كذلك بالفتاح. حاولت بكل الطرق أن تفتحه. وضعت مقدمة الرفش الرفيعة بين الباب وإطاره في محاولة لفتحه عنوة. بعد ذلك حاولت قشيشه. لكن كل محاولاتها كانت فاشلة، ولم يكن أمامها حل غير أن قششم أحد النوافذ، وتعبر من خلالها إلى الداخل.

دلفت عبر الفجوة المحاطة ببعض الأجزاء الزجاجية المهشمة، وهي تحاذر ألا تمسها، ووقفت بالداخل تتفحص المكان، وقطرات المطر تتساقط منها، وتتسلل إلى الأرضية.

كان الظلام يغلف كل شيء، لكن عينيها بدأت تتبين كنهة الأشياء. بضعة مقاعد خشبية ملتفة حول مائدة مستديرة. تلفاز صغير يعلو منصدة. حاولت إضاءة أنوار المتزل، لكن محاولاتها باءت بالفشل.

توغلت أكثر تتفحص الحجرات. حجرة واحدة، وحمام، ومطبخ.

الحجرة بها فراش صغير بعض الشيء، وخزانة ملابس ذات ضلفتين.

تقدمت نحو الخزانة تنبش داخلها. وجدت بعض الملابس الملائمة لها. بدأت تخلع ملابسها، وتبدلها بها. شعرت بآلام مبرحة تنتشر على ظهرها. حاولت أن تتحسس موضع الألم لكن يدها لم تصل إليه. حاولت النسيان، وبدأت تبحث عما يبعث لجسدها الدفء، ولكنها لم تجد غير الموقد؛ فأخذت تبحث عن علبة ثقاب كي توقده، وحمدت الله عندما وجدت علبة بها بعض الأعواد. أشعلت الموقد، ثم عادت للحجرة مرة أخرى، ونزعت غطاء الفراش، ثم تدثرت به. عادت إلى المطبخ، وجلست فوق الأرضية الخشبية، وقد تكومت على نفسها. بدأت في معاودة التفكير في محاولة فهم ما حدث لها، ثم بدأ النوم يغلبها فاستسلمت لسلطانها. لكنها تنبعت لشيء ما جعل عقلها يستيقظ ثانية.

تأملت كفها على ضوء نيران الموقد المتراقصة. ذات الكف الذي أحترق أثناء قيامها بعملية الشواء. كفها الآن سليم تماماً كأنه لم يحترق قط. من المستحيل أن يكون الحرق قد التأم خلال ساعات قليلة فقط!

ما الذي يعنيه هذا؟

أنترعها البرد القارص من أفكارها. زحفت في إتجاه الموقد، وبدأت تشعل الفرن عله يمدّها بالحرارة التي تحتاج إليها. رقدت مرة أخرى في محاولة جديدة للنوم.

جالت بخاطرها ذكريات عديدة.

ذكرى لأمها وهي تعدو وراءها ضاحكة. ذكرى أخرى وهي تطعمها وتداعبها بجنو بالغ. ذكرى ثالثة وهي تحتضنها وتدور بها داخل جدران

المترن. ابتست عندما تذكرت كل هذا. لقد كانت دائماً تلاطفها، وتملاً
حياتها بالسعادة. لم تكن تبخل عليها بأي شيء.

سالت الدموع من عينيها، وهي تتذكر كل هذا.
تساءل بنبرة حزينة: ترى ماذا تفعلين الآن يا أمي؟

تنهت فجأة إلى خيوط فضية من المياه تنساب بالقرب منها.
أعدلت في رجليها، وتراجعت قليلاً إلى الخلف؛ حتى لا يصيبها البلل.
قررت أن تنهض لتسد منفذ المياه.
ما أن دلفت إلى الصالة حتى شعرت بلفحة رطبة شديدة البرودة. لقد
كان الهواء يهب بقوة عبر فتحة النافذة المكسورة، ومياه الأمطار تنساب
إلى الداخل.

بحث حولها عن شيء يساعدها في غلق الفتحة؛ فلم تجد غير المائدة.
حملتها بحرص فوجدت وزنها غير ثقيل. ذهبت بها إلى النافذة تحاول سدها.
لمع البرق فجأة، وعلى ضوءه لحت ذلك الشيء يقف بالخارج. مخلوق
عجيب مرعب للغاية، وأكثر ما أخافها في هيئته هي تلك الأشياء التي تشبه
الديدان، والتي تتراقص فوق رأسه. شهقت من شدة الفزع، ثم قذفته
بالمائدة، وتراجعت مسرعة إلى داخل المطبخ.

شعرت بحفيف مخيف؛ فتأكدت أنه ينسل إلى الداخل. أرتجف جسدها
بشدة، وهي تتلفت حولها. لا مجال هنا للاختباء. لقد صارت محتجزة داخل
مصيدة محكمة.

تعالى صوت الحفيف أكثر. تعالت دقات قلبها بسرعة بالغة. يبدو أن
هذه المرة ستلقى نهايتها.

تأملت الموقد لحظات وهي تفكر، ثم قررت تنفيذ ما جال بخاطرها. أندفعت خلف الموقد، وبدأت تدفعه في اتجاه الباب. كان الموقد ثقيلاً لكن عزيمتها كانت أكبر. بدأ الموقد يتزحزح من مكانه شيئاً فشيئاً. واصلت الدفع قليلاً، ثم بدأت تميله إلى الأمام، وبعد جهد جهيد نجحت في إسقاطه أرضاً.

تأججت النيران أكثر بعدما أمسكت بالأرضية الخشبية. وعلى ضوء النيران لحت ذلك المخلوق يحاول إقحام المكان، لكن النيران كانت تمثل له عائقاً شديداً الصعوبة.

بحث "وفاء" بعينها عن أي منفذ للهروب؛ فلم تجد غير فتحة صغيرة بها مروحة لشفط الهواء. تساءلت بسرعة: ترى هل تصلح لعبور جسدي؟

لم تفكر طويلاً، وبدأت تبحث عما يصلح لتحطيم ذلك الشفاط حتى تستطيع الفرار.

تعالى صوت ذلك المخلوق صارخاً، وهو يحاول عبور حاجز النيران. كانت هيئته بشعة ومخيفة بحق، وكأنه تجسيد مشوه لأحد المخلوقات الأسطورية. أقرب مخلوق لهيئته هي "ميدوسا" تلك الشيطانة التي تحيل ضحاياها إلى حجر، لكنه كان يختلف عنها في الجزء الأسفل. لم يكن يزحف كأفعى، بل كان يسير على ثلاثة من الأرجل العنكبوتية.

ألتقطت "وفاء" براد مخصص للشاي من فوق احد الأرفف، وبدأت تضرب به الشفاط بقوة، ومن خلفها يواصل المخلوق صرخاته محاولاً العبور.

أنفجر الموقد بغتة كقنبلة شديدة الانفجار.

شعرت "وفاء" بقوة تضاعط رهية تدفعها إلى الجدار، وبالعديد من الشظايا تخترق جسدها في عدة مواضع.

دوى إنفجار آخر أشد قوة أطاح بجدار المنزل، وقذف بها إلى الخارج بعنف شديد.

طارت في الهواء، وهي تشعر بجسدها يشتعل، ثم هوت بعنف شديد مرتطمة بالأرض.

تراقصت الأشياء أمام عينيها، وإحساس عارم بخروج روحها من داخل جسدها المهشم يتخللها.

المطر ما زال ينهر بقوة، والرياح تزئير بعنف، والوجود يتلاشى من حولها رويداً رويداً.

آلام رهية تدق رأسها.

تفتح عينيها.

الموجودات تتراقص حولها.

ترى من بين جفنيها ظلال وأشباح. الظلال تتبدل شيئاً فشيئاً إلى صوان صغير للسلايس، ومشجب فوقه ملابس بيضاء. كومود صغير يحمل فوقه بعض العصائر.

الأشباح تتبدل إلى رجل يرتدي بالطو أبيض، وتتدلى من آذنيه سماعة للكشف الطبي، وإلى والدتها التي تجلس شاحبة، وقد تبللت عينيها بالدموع. كانت جالسة على طرف الفراش، مسندة رأسها على كفها.

أتسعت حدقتي "وفاء" في دهشة وذهول وفرحة. ودت لو عرفت كيف
جاءت هنا؟

كيف لم تمت بعدما حدث لها؟

كيف عثرت والدتها عليها.

أمسكت كف أمها الموضوععة فوق الفراش:

- أمي.

التفتت لها أمها غير مصدقة، ونطق وجهها بالبشر والسعادة الطاغية:

- وفاء.. حبيبتي.. لقد أستيقظتي أخيراً.

حاولت "وفاء" الاعتدال لكن الآلام عاودتها مرة أخرى؛ فتأوهت بألم.

أسرعت أمها كي تساعدتها في الاعتدال، وهي تقول:

- حمداً لله على عودتك مرة أخرى لي يا حبيبتي من تلك الغيوبة التي
أصابتك.

لم تستوعب الابنة ما تقول:

- غيوبة!

أحتوتها أمها بين صدرها، وربتت على رأسها:

- حمداً لله أنك بخير.. سيكون كل شيء على ما يرام.

رمقتها "وفاء" بنظرة صامتة، ثم سألتها بفضول شديد:

- أمي.. كيف عثرتي علي؟ ماذا فعلتي أمام تلك الأشياء المرعبة؟

نظرت لها متعجبة:

- ماذا تقصدين بالأشياء المرعبة؟
- حركت كفها :
- الغيلان.. الفزاعة.. الانفجار.
- أرتسمت نظرة قلقة حائرة على ملامح الأم:
- ماذا؟ حبيبي يبدو أنكِ كنتي تحلسين.
- أحلم! هذا مستحيل يا أمي.. قصي علي كيف وجدتي مكاني داخل المدينة؟
- لا تجعليني أشعر بالقلق مما تقولين.
- ماذا تعنين بهذا؟
- تحسست أمها وجنتيها بأناملها، وقالت بصوت خفيض:
- أنتِ لم تغادري فراشكِ قطاً.
- وبدأت تحكي.

منذ 22 ساعة.

أطلقت الأم صرخة مدوية، وهي تحديق في ابنتها؛ فما رآته كان يفوق قدرتها على الإحتمال.

لقد كانت ابنتها غارقة في دماءها، وجزء من السقف قد هوى فوق رأسها.

ظلت تصرخ وهي تحسس جسد ابنتها:

- ابنتي.. ماذا حدث لك؟

نظرت إلى أعلى وهي تدعي:

- أرجوكِ ساعديني في إنقاذها يا إلهي.

مزقت جزء من ملءة الفراش بأسنائها، وقامت بتضيق رأس ابنتها جيداً، بعدما أبعدت القطع المتساقطة من سقف الحجرة.

بدأت في محاولة حملها على كتفها، لكن ثقل ابنتها كان كبيراً على سننها، وبنيتها الضعيفة. لكن على الرغم من ذلك ظلت تحاول عدة مرات، حتى استطاعت حملها فوق ظهرها.

دقائق كثيرة مرت، وهي تحملها. دقائق مرت كالساعات.

كانت تنوء بحملها وتكاد تفقد رشدها من شدة التعب، لكنها تماسكت بصلابة شديدة حتى بدأت قبض بها درجات السلم.

كان أكثر ما تخشاه هو أن تترلق. لو حدث هذا ستصاب ابنتها بجرح بالغ. لم تهتم لنفسها أبداً كانت ابنتها هي كل ما يشغل تفكيرها. بعد مشقة هائلة، وخطوات قلقة بطيئة نجحت في الهبوط، والتوجه إلى باب الفيلا. وضعت ابنتها على أقرب مقعد، وهي تهتف:

- اللعنة.. لقد نسيت مفاتيح السيارة بالأعلى.

أنطلق الأم تقود السيارة بسرعة بالغة. كانت تخشى على ابنتها بدرجة تفوق الوصف. كانت تتنم:

- أنا السبب فيما حدث. أنا من جئت بها إلى هنا. أنا من أقترح عليها تلك الحجرة اللعينة.. أرجوك ساعدني يا إلهي على إنقاذها.

ظلت تقود السيارة إلى البلدة المجاورة، والتي كانت تعلم بوجودها منذ أن كانت تأتي مع زوجها. كانت تقود بسرعة جنونية حقاً، لكنها لم تكن تهتم بأي شيء إلا الوصول لتلك البلدة، والمشفى التي تقع فيها.

واصلت الأم قص ما حدث على ابنتها:

- نجحت بالفعل في العثور على المشفى، وتم علاجك بكفاءة عالية، لكنك كنت واقعة في غيبوبة عميقة، وكنت خائفة ألا تستيقظي مرة أخرى.

أحتضنتها وقبلت رأسها ووجنتيها، وهي تبكي:

- هدأ لله ألف مرة على عودتك يا غاليتي.

نظرت لها الابنة، والأحداث المرعبة التي واجهتها تجول بعقلها، وينطق
بها لسانها:

- إذا ما الذي واجهته بالضبط؟ هل من المعقول أنه كان كابوس
فقط؟

هل الكابوس بكل هذه الدقة والوضوح؟
هل كل من يقع في غيوبة يصادف مثلما صادفت؟
لا.. هذا مستحيل.
لا بد أن ما حدث شيئاً آخر.. شيئاً مرعباً، وخارقاً.
لكن ما هو تفسيره؟

نظرت لها الأم بقلق بالغ:

- حبيتي.. ماذا تقولين؟ ما الذي رأيته بالضبط؟

بدأت الابنة تقص عليها كل ما حدث بالتفصيل، وما أن أنتهت حتى تنهدت قائلة:

- بماذا تفسرين كل هذا؟

هزت أمها رأسها، وأخذت تفكر في تعليل منطقي:

- ربما هو بالفعل كابوس؟ لماذا تظنين أنه غير ذلك؟

- وهل هناك كابوس بهذه الدقة وهذه التفاصيل؟ هل هناك كابوس له لون وطعم ورائحة وأحاسيس؟ لا يا أمي هذا شيء آخر. كأنني ذهبت إلى عالم آخر تماماً.

- لا أعرف ماذا أقول؟ لكنك هنا الآن، وبصحة جيدة.

أحتضنتها بقوة، وهي تواصل:

- وهذا هو المهم يا عزيزتي.

بادلتها "وفاء" حضناً بحضن. لكن ما حدث كان مازال يشغل تفكيرها بشدة. كانت ترغب في ان تفهم الحقيقة.

هنا قفز سؤال عجيب إلى خاطرها " ترى هل هناك عالم حقيقي تأتي منه الكوابيس؟ هل بقدرة ما أستطعت الولوج إليه وأنا واعية؟"

هزت رأسها بقوة، وهي تستم بصوت خفيض:

- لا.. هذا مستحيل.. لقد أكدت أمي أنني كنت فاقدة الوعي تماما.

سألته أمها بقلق:

- ماذا تقولين يا حبيبي.

أجابته وعقلها يكاد ينفجر من كثرة ما به من ألغاز:

- أرغب في الفهم.. أريد فقط أن أفهم.. هل هذا كثير.

أمسكتها أمها من كتفيها، وهي تدفعها إلى الخلف برفق:

- أرتاحي الآن، وسنفكر في كل هذا فيما بعد.

ثم تمددت بجوارها، وأحتوت رأسها على صدرها:

- سأظل جوارك يا حبيبي حتى تهنئين ببعض النوم.. حاولي ألا تفكري

مجدداً حتى الصباح.. ربما وجدنا حينذا ما يضيء لنا الطريق.

تشبثت بها الابنة، وهي تتذكر تلك الأحداث المرعبة:

- ما رأيته كان مخيفاً يا أمي.. مخيفاً وحقيقاً بدرجة تفوق الوصف.

ومض البرق في السماء بطريقة مخيفة. كأن السماء تشتعل. أعقبه هزيم

الرعد الغاضب. بينما كانت الأمطار تنهمر بغزارة غير مسبوقة.

أستيقظت الأم فزعة على تلك الأجواء العجيبة، وما أن رأت المكان

حولها، والمطر الذي يفرقها، حتى هبت من رقدتها وهي تصرخ.

تأملت " وفاء " ما حولها بذهول تام، وهتفت غير مستوعبة ما يحدث:
- هذا مستحيل.. هل هذا حقيقي يا أمي؟
تلقت الأم حولها، وهي تكاد تموت بللاً، وأجابت بحيرة تكاد تذهب
برجاجة عقلها:

- كيف خرجنا من المشفى وجئنا هنا؟
تشبثت "وفاء" بها، وقالت بصوت مبحوح:
- لقد دلفنا إلى ذلك العالم يا أمي.
صمتت قليلاً تتأمل ما حولها بذهول مطبق، ثم أردفت:
- العالم الكابوسي.

دوى الرعد بقوة ليزيد من تأثير ذلك الجو الكابوسي.
تلقت الأم حولها غير مصدقة لما تقوله ابنتها:
- هذا مستحيل تماماً.. لا يوجد شيء هكذا.
أشارت "وفاء" إلى ما حولها:
- وبماذا تفسرين ما ترينه؟
نفضت رأسها بقوة:
- لا أعلم.. حقاً لا أعلم.
تنبها الأثنتان إلى مياه الأمطار الغزيرة. أمسكت "وفاء" بذراع أمها،
وهي تجذبها بلطف:

- هيا بنا يا أمي الآن. لنفكر في التفسير فيما بعد.

سارت معها، وهي تعاود التلفت حولها:

- هذ عجيب للغاية! عجيب ويخيفني بشدة.

ألتسع البرق في السماء بشدة؛ لتبيننا شيئاً مخيفاً حقاً.

الأمطار لم تكن كما ظنتنا.

لقد كانت عجيبة همراء اللون.

كانت دماء.

شهقت الأم بفزع شديد:

- هذه.. هذه دماء.. ماذا يحدث هنا؟

واصلت "وفاء" السير، وهي ما زالت تجنّبها:

- فيما بعد يا أمي.. فيما بعد. أنت لم تري شيئاً بعد. هيا بنا نذهب إلى صف المنازل هذه.

أسرعتا في السير بطريقة تدل على خوفهما الشديد لما يحدث حولهما، ويعجزان عن تفسيره.

وصلتا إلى صف المنازل بسرعة نظراً لقربهما الشديد. بحثت "وفاء" عن ذلك المنزل التي كانت قد دلفته سابقاً، لكنها لم تجده. كل المنازل بدت لها متشابهة.

سألته أمها:

- ماذا الآن؟

- سنقتحم أحد هذه المنازل ونحتسي به.

- وماذا سنفعل بعد ذلك؟
- لا أعلم يا أمي.. حقاً لا أعلم.. لقد كانت عودتي معجزة حقيقة لي.
- هذا ما لا أفهمه.. عودتك من أين؟ لقد ظللت معي بالمشفى حتى أستيقاظك.

صاقت حدقتي "وفاء" وقد بدا عليها الفهم:

- هذا صحيح يا أمي.. لقد بدأت أفهم.. فعلياً لم تغادر المشفى بعد..
- لد سقطنا في نوبة نوم عميقة.. ربما لو أيقظنا أحد من الأطباء، سنعود إلى عالمنا.

توقفت أمام أحد المنازل:

- هذا المنزل يبدو صالحاً للإقحام.

أخذت تبحث بعينها عن شيء يصلح لهذه المهمة على الأرض. لحت حجر متوسط الحجم. حملته بكلتا يديها، ثم قذفت به زجاج النافذة؛ لتتسحق بدوي منخفض، وقد غطي عليه صوت الرعد والأمطار.

أبعدت قطع الزجاج المهشمة عن الحافة حتى لا تتسبب في جرح أمها كما حدث معها سابقاً:

- هيا يا أمي.

ثم ساعدتها على الدخول، ودلفت خلفها.

تأملت الأم المنزل من الداخل، وهي ترتجف:

- عندما يجول بخاطري أن هذا كابوس، وإن شخص ما سيظهر الآن، ينتابني رعب شديد.

تقدمت "وفاء" نحو أحد حجرات المتزل:

- لا بشر هنا غيرنا يا أمي.. هيا بنا لنبحث عما يجفف جسدنا من تلك الأمطار الدموية.

تنهت الأم فجأة لهذا. أرتعدت بأشمئزاز:

- رباه.. يجب أن نزيل تلك الأشياء عن جسدنا أولاً.

بعد أن بدلنا ملابسنا بآخرى جافة، جلسنا أمام الموقد المتقد، تحدقان بنيرانه المتأججة.

قالت "وفاء"، وهي تحاول البحث عن إجابة شافية:

- ترى هل صنع عقلي هذا العالم؟ هل من كثرة قرائتي لروايات الرعب حدث كل هذا؟

- لا أعلم حقاً.. هذا شيء مخيف للغاية.. مدينة كاملة داخل عالم كابوسي، ونحن بدورنا دلفنا إلى ذلك العالم، وعلى الأرجح جسدنا يغطان الآن في نوم عميق.

- ترى هل فقدنا حياتنا هنا سنفقدنا هناك أيضاً؟

- فكرة مخيفة يا ابنتي، لكن لن تجدي لها تفسير.

- ترى هل عند إصابة رأسي أثناء النوم، جائتني قوة خارقة؟ قوة جعلت عقلي ينسج هذا العالم مما يحمله من مخزون مرعب سابق، من جراء قرائاتي.

تنهت الأم إلى شيء ما:

- أو ربما قبل ذلك.

نظرت لها "وفاء" غير فاهمة:

- قبل ذلك! ماذا تعنين بهذا؟

شردت نظراتها، وهي تتذكر:

- عند مولدك أصابك العشى من جراء غشاء رقيق، أنفصل عن الغشاء الجنيني، وأحاط برأسك.. لقد ضحك الطبيب قبل الولادة كي يطمئني، وقال "ربما أصاب عقلها قوة خارقة.. من يعلم؟" كنت أود سؤاله عما يقصد؛ لكن لوعتي عليك منعتني حتى من مجرد التفوه. كنت أخشى عليك كثيراً، وأخاف أن أفقدك.

هبت "وفاء" بطريقة مفاجئة:

- رباه.. بيتر هوركوس^{5*}

جزعت الأم من طريقتهما:

- ماذا؟ ماذا تقصدين؟

بدأت الابنة تشرح لها:

- لقد حدثت تلك الحادثة لشخص اسمه (بيتر هوركوس)، ومنحته قدرة خارقة. كان يستطيع معرفة ماضي أي شيء بمجرد اللمس^{6**}

⁵ * (بيتر هوركوس) تحري خارق أستعانت به شرطة أسكتلنديارد في مساعدتها في العديد من القضايا الشديدة الغموض. عند مولده أصابه العشى من جراء ألصاق جزء من الغشاء الجنيني برأسه، وعند شبابه تعرض لحادث سقوط من ارتفاع أربعة طوابق، وسقط في غيبوبة لمدة أربعة أيام، وعند استيقاظه وجد لديه هذه القدرة الخارقة، والتي لفتت نظر كاتب الرعب الشهير (ستيفن كنج) فقام باستلهام قصته في رواية شهيرة، تحولت إلى فيلم سينمائي، ثم إلى مسلسل تلفزيوني ناجح تحت عنوان (منطقة الموت)

هزت أمها كتفيها بحيرة:

- وماذا يعني هذا؟

لوححت بأصبعها معللة:

- ربما هي صدفة، لكني لا أجد حلاً آخر غير هذا. لقد أصابتني
حادثة الولادة بقدرة خارقة كامنة، وبدأت في الظهور الآن، بعد الإصابة
التي حدثت لي في رأسي.

شهقت أمها:

- هذا أشبه بالخيال العلمي.. هل تعتقدن أن ما قلتيه من الممكن
حدوثه؟

فردت "وفاء" ذراعيها، وهي تدور حول نفسها:

- أنظري حولك يا أمي وستدركين أن هذا حدث بالفعل، لقد صنع
عقلي دائرة كابوسية سقطنا بها. لقد صنع مخلوقات مرعبة آتية من عوالم
الرعب التي قرأناها، وأدمنت مشاهلتها.

شردت أمها:

- ربما هذا صحيحاً....

قاطعتها الابنة باستنكار:

⁶ ** يطلقون على هذه القدرة (سايكومتري - Psychometry) وهي من
القدرات الخارقة، التي ثبتت بشكل قاطع، وهي باختصار معرفة ماضي أو حاضر أي
شيء بمجرد لمسه، حيث تنتقل للشخص صاحب هذه القدرة الخارقة، جميع الأحداث
التي مرت بالجسم الملموس .

- ربما!
- ربت على رأسها:
- بل هو حقيقي.. السؤال الآن: "كيف جئت أنا معك؟ كيف دخلت عالم من صنع عقلك؟"
- فكرت "وفاء" بحيرة:
- لا أعلم على وجه اليقين.
- ثم تنبّهت فجأة:
- ربما لأنك كنتِ نائمة بجواري.
- سألها مرة أخرى:
- ولماذا لم تنتقل معنا الأشياء؟ الفراش.. الأدوات الطبية.
- ابتسمت "وفاء" على الرغم منها:
- ربما لأنني كنت أحتاج إليك بشدة في المرة السابقة.. ربما لأنك كنتِ تحتضنيني.
- احتضنتها أمها، وأخذت تقبلها بشدة:
- أنا معك يا حبيبتى.. لن أترك أبداً، ولن أدع شيئاً يمسك بسوء.
- أرتجفت ابتها على الرغم منها، وهي تتشبث بها:
- أعلم يا أمي الحبيبة.
- ثم بدأت تبكي بشدة:
- لكن المشكلة أن هذا العالم يعج بأشياء مرعبة.. مرعبة للغاية.. أخشى أن تكون هياتنا هنا، وألا نعود إلى عالمنا مجدداً.

أرتجفت أمها بدورها:

- ما قصتيه علي في المشفى كان مرعباً حقاً.. ترى كيف سيكون هذا الشعور عندما أرى تلك الأشياء روى العين؟ كيف سنتخلص منها؟

تشبثت الابنة بها:

- لقد نجحت في الفرار منهم يا أمي.. أعتقد أننا سننجح في هذا ونحن معاً.. هذا لو لم نستيقظ قبل حدوث أي شيء.

قبلتها أمها على جبينها:

- سنستيقظ قبل حدوث شيء يا ابنتي.. سنستيقظ ونعود إلى عالمنا.

أرتج المتزل فجأة، وأمتلاً من الداخل بدخان أسود كثيف مقبض.

صرخت "وفاء" برعب شديد:

- أمي.

تأملت أمها الدخان المرعب، وتبعته ببصرها:

- يبدو أنه يأتي عبر فجوة النافذة.

أرتج المتزل أكثر، وبدأت الأشياء الموضوعة فوق الأرفف بالسقوط عليها.

صرخت "وفاء" مرة أخرى:

- أمي.. ما الذي سيحدث لنا؟

أنتشرت قشعريرة مخيفة على جسد أمها:

- لا أعلم يا حبيبي.. حقيقة لا أعلم.. أنت كنت هنا في السابق.. هل

حدث شيء مثل هذا؟

هزت ابنتها رأسها بعنف:

- لا.. لم يحدث لي من قبل؟

زاد المتزل إرتجاجاً، وزادت حرارة الجو بطريقة بالغة الغرابة.

أشتعل الجدار المقابل لهما فجأة، ثم قهاوى تجاههما بسرعة بالغة.

تراجعت الأم إلى خارج المطبخ، وهي ترمق ذلك الشيء الذي ينسال إلى الداخل، ثم صاحت غير مصدقة:

- هذه حم! حم بركانية.

تشققت الأرض أسفل أقدامهما، وأندفع إلى الأعلى بخار ملتهب بشدة، وهو يطلق صغيراً حاداً.

جذبت الأم ابنتها:

- هيا.. لنخرج من هنا سريعاً، قبل أن تحرقنا تلك الحم.

أندفعتا في إتجاه النافذة ليعبرا إلى الخارج، لكنهما تراجعتا بذهول شديد.

لقد كانت الحم الملتهبة تحيط بالمتزل من كل جانب، وكانت تلتهم المنازل المحيطة بهما.

شهقت "وفاء" من الفزع، وهي تتأمل ذلك الجحيم المحيط:

- رباہ.. ماذا ستفعل يا أمي؟

أخذت أمها تفكر سريعاً. لقد كانت دائماً تشنخى على ابنتها من أدنى شيء، ويوم أن رأتها غارقة في دماءها داخل الحجرة؛ حتى أنها الجزع الشديد. لقد كانت كل شي لها في هذه الدنيا، ويصعب عليها كثيراً أن ترى أي سوء قد يمسها:

- أعتقد... هيا بنا إلى دورة المياه.

قرنت قولها بفعلها، وهي تجذب ابنتها خلفها.

فور دخولهما إلى الداخل، أسرعت الأم تفحص النافذة الصغيرة:

- تبدو صالحة للهرب.. هيا بنا يا ابنتي.

نظرت لها "وفاء" غير فاهمة:

- هرب إلى أين؟ اللحم تحيط بالمتزل من كل صوب.

أشارت أمها بأصبعها إلى أعلى:

- إلى السطح.

فتحت النافذة على أتساعها:

- هيا أصعدي أنتِ أولاً.. تعلقي بمواسير المياه إلى أعلى.. هيا بسرعة.

بدأت "وفاء" تنفذ ما قالته لها أمها بسرعة محمومة.

أرتج المتزل بقوة، وأرتفعت الحرارة بشدة، حتى أن العرق بدأ يغمر جسديهما.

عبرت "وفاء" النافذة حتى جذعها، وعندما رأت اللحم بالأسفل حتى شهقت فرعة:

- أمي.. اللحم قريبة جداً.

حشها أمها على الصعود:

- أسرعى إذن، ولا تنظري لأسفل، والأفضل ألا تفكري في أي شيء إلا الصعود.

تعلقت ابنتها بأحد مواسير المياه، وبدأت تجذب جسدها إلى أعلى. أطلت أمها برأسها تراقبها، ثم تعلقت بذات الماسورة، وبدأت في الصعود خلفها.

مازال المطر ينهر بغزارة. المواسير صارت زلقة، والصعود مجهد إلى أقصى حد، لكن فكرة السقوط في قلب اللحم كانت بشعة للغاية؛ لذلك كانت إرادتهما أقوى في سبيل النجاة.

في قلب الارتجاج والأبخرة الحارة، واللحم الملتهبة المتساقطة بالقرب منهما، كان الأمر أشبه بجحيم حقيقي، وكادتا تسقطان أكثر من مرة، لكن القدر كان رحيماً، وتمكنتا أخيراً وبصعوبة شديدة من اعتلاء السطح.

تقدمتا إلى منتصفه بخطوات متعسرة من جراء الارتجاج.

تأملت "وفاء" النيران التي تلتهم كل شيء:

- ماذا سنفعل يا أمي؟ لقد صرنا داخل مصيدة، وما هي إلا دقائق، وتبتلع اللحم المتزل.

أخذت أمها تفكر سريعاً، وهي تشعر بالجزع الشديد على ابنتها:

- لا بد من وجود مهرب.

- مهرب! كيف وكل المنازل تتساقط كقطع الشطرنج؟

أشارت أمها إلى الاتجاه الخلفي:

- اللحم تشق طريقها من هنا.

ثم أشارت إلى ما أمامها، وإلى المنازل القريبة:

- سنهرب إلى هذا الاتجاه.

- كيف؟

- سنقفز إلى أسطح المنازل، حتى نصل إلى شاطئ البحر.. المياه ستصنع عائناً أمام اللحم.

- اللحم سترفع حرارة الماء، هذا لو لم نفرق قبلها.

- هيا نهرب الآن سريعاً، ولنفكر عندما نصل إلى هناك.. هيا أركضي وأقفزي إلى السطح المقابل.. ولا تفكري في شيء إلا النجاح في هذا.

أنطلقتا تركضان بسرعة بالغة، حتى وصلتا إلى حافة المتزل. صاحت أمها بقوة:

- أقفزي.

كان السطح المقابل قريباً للغاية، وكانت القفزة ناجحة إلى حد بعيد.

هبطت "وفاء" أولاً على سطح المتزل، وتبعها أمها، وهي تصيح:

- لا تتوقفي.. هيا.

كررا عمليات القفز الناجحة حتى المتزل الرابع، لكن الرياح المحيطة
تغيرت فجأة بطريقة عجيبة.

صاحت "وفاء" بذعر:

- أمي ماذا يحدث؟

جاء جوابها على هيئة مخلوقات بشعة غريبة الشكل. كانت تحوم حولهما
في الهواء مطلقة صوتاً رفيعاً حاداً.

سألتهما أمها بخوف واضح، وهي تحيطها بذراعاها:

- ما هذه الأشياء؟ هل رأيتها في المرة السابقة.

ألصقت ابنتها بهما:

- لا.. لكن هيئتها مخيفة للغاية.. ماذا ستفعل بنا؟

أرتج المتزل بغتة، وأنشطر إلى شطرين؛ فصاحت "وفاء" بذعر شديد:

- حذار يا أمي.. سنسقط.

لكن أمها تشبث بملابسها بقوة، وجذبتها، ثم دفعتهما إلى الأمام:

- هيا أقفزي قبل أن ينهار المتزل.

ركضت "وفاء" بسرعة بالغة، وقفزت قفزة قوية للغاية، وأقترب سطح
المتزل المقابل. شعرت أنها لن تبلغه؛ فمدت أصابعها كي تشبث به،
وبصعوبة شديدة قبضت أصابعها على حافة السطح.

أرتطم جسدها بشدة بجدار المتزل فتأوهت بألم، وشعرت بدوخة عميقة؛ لكنها ظلت متشبثة بحافة السطح بشراسة. تصاعدت الأنجرة من أسفلها بشدة، ولحت وميض نيران اللحم، وحرارة هائلة تكاد تحرق قدميها.

صاحت أمها، وهي تشعر بالهلع على ابنتها:

- تماسكي يا حبيبي.. سأحضر إليك.

ثم قفزت بقوة إلى السطح المقابل، وهبطت عليه بنجاح. رقدت على بطنها، ومدت كفها إلى ابنتها:

- هيا.. تعلقي بذراعي.

حاولت "وفاء" الإمساك بكفها المبسطة؛ لكن واجهت صعوبة شديدة في التخلي عن أحد ذراعيها المتشبثين بالحفة، كان هذا يجهد عضلات ذراعيها إلى أقصى حد. لكنها حاولت ببسالة شديدة، حتى نجحت أخيراً في التعلق بكف أمها.

شهقت أمها بألم، وهي تشعر بعضلات ذراعها الضعيفة تن. كانت كأني، وامرأة متقدمة في السن تمتلك عضلات واهنة؛ لكن إرادتها كانت خارقة في سبيل إنقاذ ابنتها. هتفت وهي تجز على أسناتها:

- لن أنجح في جذبك.. حاولي أنت أن تتسلقي ذراعي.

شعرت "وفاء" بياس شديد.. فالآلام عضلاتها كان مبرحاً. لكنها مع ذلك حاولت؛ ففكرة الحرق حية كانت تخيفها بشدة. مدت أصابعها إلى ما فوق معصم أمها، وقبضت عليه بقوة ككلابة من حديد.

هنا شعرت الأم بالآلام رهيبية عندما أنغرزت أصابع ابنتها في لحم ذراعها؛ لكنها حاولت تناسي الألم، وهي تحت ابنتها:

- هيا أسرعى.

أرتج المتزل بشدة، وهاجت تلك المخلوقات الطائرة، وبدأت في الهجوم على الأم، وابنتها، وبدأت محاولة "وفاء" في الصعود عسيرة للغاية. عسيرة إلى درجة الإستحالة.

- لن ننجح يا أمى.

قالتها "وفاء" وقد بدأت الدموع تنهمر من مقلتيها.
وبجتها أمها بشدة:

- قلت لك "لا تفكري في أي شيء إلا النجاة"

أطلقت تلك المخلوقات صرخات حادة، وبدأت في الهجوم عليهما.
كانت تخمشهما بمخالبهم الحادة. نفضت الأم رأسها، وهي تصيح:

- أبتعدى أيتها المخلوقات القبيحة.

أرتج المتزل بعنف بالغ؛ فصاحت "وفاء" بصوت مختنق من الدموع:

- أتركيني يا أمى.. أهربى أنتى.. لن أنجح في الصعود.

زاغت نظرات الأم، وهي تشعر بقلبها ينقبض خشية على ابنتها الوحيدة:

- أصبتي يا حقاء.

ثم بدأت في محاولة جذبا بقوة. شعرت بعضلاتها تكاد تتمزق؛ لكن عزيمتها لم تثبط أبداً، وواصلت جذبا وهي تصرخ من شدة الإجهاد.

شعرت "وفاء" بما تحاول أمها فعله؛ فبدأت في التسلق كي تخفف عنها الحمل، وأخيراً وبمعجزة تشبه الإستحالة نجحت أخيراً فيما تفعلاته.

رقدت الابنة على السطح تلهث بشدة، وبجوارها جلست أمها وهي تشعر بالإرهاق الشديد، لكنهما ابتستا رغم ذلك، ثم تعانقتا بحميمية، وقد تبدلت ابتسامتهما إلى بكاء صامت أغرق وجهيهما.

فحضتا بعد العناق الحميم؛ فالخطر ما زال قائماً.

راقبت الأم المنطقة المحيطة، وقالت وقد ضاقت عينها، وهي تتفحص المسافة بين السطح ورمال الشاطيء:

- هذه الكتلة من اللحم التي تجاور المنزل ليست كبيرة.. أعتقد لو قفزنا من فوقها سنهبط بسلام على رمال الشاطيء.

أمسكت "وفاء" بكفها:

- أنا معك يا أمي في أي شيء تقوليه.

ربت على رأسها بكفها الآخر، وهي تقول بخنان:

- سنراجع قليلاً إلى الخلف، ونقفز بكل ما لدينا من قوة.

قرنت قولها بفعلها، وهي تتراجع مع ابنتها، ثم بدأت تركض وهي متعلقة بكف ابنتها، وجاءت قفزتهما في الفضاء بارعة لما تملكهما من عزيمة وإرادة.

سقطتا بعنف على رمال الشاطيء، وشعرتا معاً بالآلام متباينة من أثر السقوط.

رمقت "وفاء" صف المنازل القريب منها، وهي تتساقط في قلب اللحم منزل وراء منزل:

- لا أريد تخيل ماذا كان سيحدث لنا إذا أصبنا الفشل.
جذبتها أمها بشدة إلى الطريق المبلل الموازي للشاطئ:
- هيا نواصل طريقنا.. لن نتوقف إلا عند بر الأمان.
واصلتا الركض بجوار الشاطئ، وقد بلغ بهما الإجهاد مبلغه، لكن لم
يكن أمامهما سبيلاً غير المواصله.
توقفت "وفاء" فجأة، وهي تنصت باهتمام:
- ما هذا الصوت؟
أصغت أمها بدورها، وقد عقدت حاجبيها:
- أي صوت؟ أنا لا أسمع شيئاً.
تراجعت "وفاء" وهي ترتجف من الرعب الشديد، وأشارت بأصبعها إلى
أمواج البحر:
رباه.. أنظري يا أمي.

كان المشهد مخيفاً إلى أقصى حد، وقد بدا بالفعل جديراً بعالم
الكوايبس.

لقد كانت أمواج البحر تشكل مخلوقات مرعبة تثير أقصى درجات
الفرع، وما زاد من تأثيرها هو اختلاط الأعشاب البحرية، والأصداف،
والمخلوقات البحرية الصغيرة بها.

كان الموقف شديد الصعوبة. اللحم الملتهبة على يمينهما، تواصل طريقها في إلتهاام المنازل، وحرق الأرض. وعلى اليسار أمواج البحر بما تحمله من مخلوقات مفزعة. ومن أعلى تلك المخلوقات البشعة الحلقة.

هتفت الأم وهي ترتجف:

- لنواصل الركض إلى الأمام حتى نجد ما نلوذ به.

جهد الرعب ابنتها؛ فقالت وهي تشعر بالضيق:

- لن ننجح يا أمي.. هذه هي النهاية.

جذبتها أمها بعنف، وهي تنهرها:

- هيا أسرعي.. لا تجعللي اليأس يتسللك.

بدأتا معاودة الركض من تلك الأشياء المربعة المحيطة بهما، وقد بدا لهما طريق الهرب مظلماً، ولا مجال للنجاة. لكن خشية الأم على ابنتها جعله تفكيرها منصّباً في الخلاص بأي ثمن.

تعالّت الأصوات المربعة من حولهما. صياح المخلوقات الطائرة، وهدير مخلوقات البحر، وصوت قهشم المنازل مختلطاً بقرقعة النيران. وزاد إغمار الدماء العجيبة المتساقطة إلى الأجواء رعباً إلى رعب.

تقدمت اللحم من أقدامهما كثيراً حتى كادت أن تمسهما، وكشعور طبيعي أبتعدتا إلى جهة اليسار؛ لتشعرا بالخوف من تلك المخلوقات التي أقتربت كثيراً منهما، بينما كانت المخلوقات الطائرة تتصايح، وهي تهجم عليهما بمخالبهم.

كان كل شيء يدعو إلى اليأس الشديد، وشعرتا بأن هذه هي نهاية العالم، ونهايتهما معاً. لكن ما زاد الأمر مرارة أن هذا ليس عالمهم بالفعل

بل هو عالم من صنع عقل "وفاء". عقلها الذي يحمل الكثير جداً من مخزون القصص المرعبة، ويرسم لها ما يحلو له من أخطار، وأشياء.

هتفت الأم بأمل:

- هذه التبة التي تقود إلى منزلنا.

شعرت "وفاء" بالأمل لكنه سرعان ما تلاشى، وهي تتساءل:

- وبماذا سيفيدنا؟

واصلت أمها الركض تجاهه، وهي تجهيها:

- لدي فكرة ربما قد تنجح.

صعدت الأم التلة التي تقود إلى الفيلا، وما أن شاهدت سيارتها الرابضة أمامها حتى هتفت:

- ها هي.

صعدت "وفاء" خلفها، وهي تتساءل:

- أنا لا أفهم.

تحسست أمها السيارة:

- سنهرب بها من هنا.

ابتست ابتتها بمرارة:

- فهرب إلى أين؟

أجابت أمها بحماسة:

- إلى المشفى.. ربما وجدنا ما يساعدنا على الإستيقاظ.
أنقلت الحماسة إلى ابنتها:
- يبدو حلاً معقولاً.
ثم تأملت المنزل:
- شيء عجيب كلما تخيلت أن كل هذا من نسج خيالي.. المنزل..
الحقول.. الشاطئ.. حتى السيارة متواجدة هنا.
لم تنتبه الأم لما تقول. كان ما يشغل عقلها هو إحضار مفاتيح السيارة؛
كي تتوجه بها إلى المشفى، ربما كان في هذا طريقهما في الخلاص من تلك
الدائرة الكابوسية، اللاتي تدوران داخلها.
ألتقطت حجراً من الأرض، وهشمت بها زجاج أحد نوافذ الفيلا
المنخفضة:
- لا وقت لنا كي نبحث عن طريقة مناسبة للدخول.
ثم أشارت لابنتها قائلة:
- ستأتين معي.
دلفتا معاً إلى الداخل، وصعدتا بسرعة الصاروخ إلى أعلى. أقتحمت
الأم حجرتها، وهي تهتف:
- أرجو أن أجد حقيقتي.
أمسكتها "وفاء" من ذراعها:
- أعتقد أنك لن تجدينها هنا.. عقلي لم يعرف أبداً أين وضعتها عند
نومك.
كانت الحجرة الخالية دليلاً دقيقاً على ما قالته.

شَهَقَتِ الْأُمُّ بِلُوعَةٍ:

- ماذا سنفعل الآن؟

أَقْتَحَمْتُ "وَفَاءَ" حَجَرَهَا، وَهِيَ تَجِيهًا:

- ربما وجدناها هنا.

لكنها تراجعت بذعر شديد عندما لحت ذلك الشيء واقفاً في منتصف
الحجرة. نفس الشيء الذي هاجمها أول مرة. كان يقف متدثراً بالظلام،
وعيناه توامضان بهيئتين مخيفتين.

لخت الأم تلك الظلال وهي تخرج من الداخل زاحفة على الحوائط، فصاحت بفزع:

- كانت فكرة سيئة.. هيا إلى الخارج بسرعة.

ركضتا إلى درجات السلم بسرعة محمومة، وذلك الشيء يتعقبهما
بيطاء مخيف، وهو يزوم بصوت يجمد الدماء في العروق.

بدأت قهبطان درجات السلم، لكن الأم أنزلت فجأة. حاولت أن تتشبث بأي شيء، لكن السقوط كان محتماً. تدحرج جسدها مصطدماً أصطدامات مؤلمة بدرجات السلم الحجرية. حتى بلغت الأرض في الأسفل؛ فتمددت عليها بلا حراك.

شبهت الابنة خوفاً على أمها؛ لكن ما حدث أمام عينيها جعلها تطلق صرخات جنونية:

- أما انا فانا.

لقد تلاشي جسد أمها تماماً أمام عينيها الذاهلتين.

استيقظت الأم فجأة لتجد نفسها راقدة فوق الفراش، وبجوارها ابنتها
تغط في نوم عميق. ألفتت حولها وهي غير واعية لما حدث؛ فوجدت
ممرضة تنحني نحوها وهي تقول بصوت هامس:

- اعتذر عن إيقاظك من النوم يا سيدي.

ثم أشارت إلى "وفاء" وهي تردف:

- أعلم بالتأكيد أنها ابنتك؛ لكن تواجدك هنا حتى ذلك الوقت
ممنوع.. هذه هي تعليمات المشفى، وكذلك أعتقد أنك ترغبين في أن تنال
قسط من الراحة.

زاغت نظرات الأم، وشعرت بالجزع لترك ابنتها في ذلك العالم المخيف،
وما زاد شعورها سخطاً هو إيقاظها على يد تلك الممرضة الحمقاء.

أنحنت تجاه ابنتها ترجها بقوة:

- وفاء.. هيا أستيقظي.

هتفت الممرضة بتعجب شديد:

- سيدي.. ماذا تفعلين؟

لم تبال بها، وواصلت هز ابنتها، ثم ألفتت فجأة إلى الممرضة، وهي
تصيح بها بصراخ:

- هل يوجد لديكم دواء للإيقاظ؟

حدقت بها الممرضة غير فاعرة فاهها:

- ماذا؟

فكرت الأم سريعاً، ثم قالت:

- أي منشط.. أي منبه يساعد العقل على الإستيقاظ.

توجهت الممرضة إلى الخارج، وهي تهتف:

- ما تفعلينه خطأ يا سيدتي.. سأضطر أسفة إلى إبلاغ آمن المشفى.

لم تبال بها، وواصلت محاولتها في إيقاظ ابنتها، ثم بدأت تدفع جزءها العلوي كي تجلسها، وهي تصيح:

- هيا أستيقظي سريعاً.

كان القلق والخوف ينهشان قلبها، عندما تتخيل ابنتها ما زالت هناك في قلب تلك الأحداث المرعبة.

بدأت تصفعها بقوة على وجنتيها، وهي تهتف بجزع:

- لا بد أن تسيقظي فوراً.. هيا يا وفاء أستيقظي.

خفق قلبها بقوة، وهي ترى عيني ابنتها تفتحان كزهرة خجولة، ثم وهي تغغم بصوت خفيض:

- أماد.. هل نجونا؟

بعد مرور ساعة كاملة، من قلق الطبيب على ما حدث، وحضور رجال الأمن الذين جاءوا بناء على استدعاء الممرضة، هداً كل شيء، وساد السكون الحجرة، كما ساد مختلطاً بالظلام بالخارج.

قالت "وفاء" بخفوت:

- أخشى أن أنام مرة أخرى.. لا أعلم هل سيحدث لي ما حدث كلما
خلدت إلى النوم أم لا؟

ربت أمها على رأسها:

- لا أعتقد يا حبيبي.. أعتقد أن الإنهيار والحمم الذي حدث هناك،
دليل على إنتهاء ذلك العالم.

- من يعلم؟ ربما خلق عقلي عالم آخر. ربما عاد كما كان من قبل.

- لا. الحمم دليل على النهاية. لقد فكرت كثيراً حتى توصلت إلى
الجواب الصائب. ما حدث هناك سببه الرئيسي أنني كنت معك. لقد شعر
عقلك بالخلل من جراء هذا، وبدأ العالم الكابوسي في التداعي.

- ليت هذا هو ما حدث يا أمي. شعوراً عارماً بالخوف ينتابني عندما
تجول فكرة النوم بعقلي.

- لا تنامي إذن يا حبيبي.. أقصد اليوم فقط.. أعتقد أن جسدنا نالا
قسطاً وافرأ من الراحة.. سننتظر ساهرتين للغد، وفي الصباح سنستفسر
من أي طبيب نفسي عما حدث لك ولي أيضاً.

- وهل سنجد يا أمي من يفهم في تلك الأشياء المرعبة الخارقة
للمألوف؟! أعتقد أن المراجع المختصة للخوارق أفضل.

أحتضنتها بحنو بالغ، وهي تردد:

- كما تريد يا.. حبيبي كما تريد.

وداخل عقلها يدور سؤال حائر " لماذا يحدث هذا لابنتها، على الرغم من أنها من أفضل الفتيات خلقاً وطيبة؟ لماذا يحظى الطيون فقط بالأعداء، والأهوال، والرعب؟ لماذا لا يحدث هذا للأشخاص السيئين؟"

شعرت ببعض التطرف في تفكيرها؛ فأخذت تردد في خشوع {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}*

ذهبت الوالدة إلى الخارج تأتي بقدحين من الشاي من (كافيتريا) المشفى، بينما ظلت "وفاء" راقدة فوق الفراش في إنتظارها. شعرت فجأة أن ثمة شيء ما ليس على ما يرام، وكأن حدود الحجرة تبدلت، أو أن العالم لم يعد كما كان سابقاً. هبت فجأة من رقدتها، وهي تحدث نفسها بقلق بالغ " لا.. ليس ثانية"

ما أزعجها بشدة أن هذا الشعور كان قد تملكها عند بدء الأحداث المرعبة.

دار مقبض باب الحجرة ببطء، مطلقاً صوت احتكاك معدني تقشعر له الأبدان. أرتجفت مرة أخرى، وهي تردد بفزع شديد: "لا... لا... لن يتكرر ما حدث مرة أخرى"

أنفرج الباب فرجة صغيرة، سرعان ما بدأت في الاتساع مختلطة بصريير بطيء مرعب:

- اللعنة.. لقد سقطت مرة أخرى في تلك الدائرة الكابوسية اللعينة..
ماذا أفعل يا إلهي؟

أستمر باب الحجرة في الإنفراج، حتى ظهر بالخارج ذلك الشيء مرة أخرى، كان يقف في الخارج متدثراً بالظلام، وقد برقت عيناه كعيون القطط، وكان يزوم بطريقة تقبض القلب.

تعالى صوت شهقة في الخارج، وسمعت "وفاء" صوت والدتها، وهي تصيح بفزع:

- اللعنة.. ما أنت؟

ألتفت لها ذلك الشيء المظلم ببطء مخيف، وبدأ يتقدم لها بخطوات مرعبة.

صاحت أمها وهي تتراجع إلى الخلف:

- وفاء.. هل أنت بخير؟

جاء صوتها من الداخل مرتجفاً:

- أُمي.. هل سقطنا مرة أخرى في ذلك العالم؟

شعرت أمها بالقلق الشديد على ابنتها، وأرادت بشدة أن تهاجم ذلك الشيء، وتدلف إلى الداخل؛ كي تطمئن عليها، لكنه كان مخيفاً بحق. فكرت سريعاً فيما ستفعل:

- وفاء.. أهربي من الداخل.. سأحاول تشتيت إنتباهه.

قرنت قولها بفعلها، وألقت على وجه ذلك المخلوق المخيف قدحي الشاي اللذان كانا في قبضتيها، ثم بدأت تتراجع إلى الوراء.

تقدم ذلك الشيء منها ببطء مخيف، ومازال ذلك الصوت المرعب يخرج من حلقه. صاحت بقوة، وهي تحاول حث ابنتها:
- هيا أهربي الآن.

أندفعت ابنتها إلى خارج الحجرة أثر صياحها، ووقت تتأمل ما يحدث، وقد عجز عقلها عن التفكير في إتخاذ أي قرار.
تموجت حوائط المسر، وبدأت تظهر تلك الكائنات الظلالية، وهي تزحف عليه

* { قرآن كريم } [سورة البقرة: الآية 216]

شعرت "وفاء" برعب قاتل خشية على ما قد يحدث لأمها؛ ولذلك وبشجاعة تحسد عليها، مرقت من جوار ذلك الشيء، وهي تركض في إتجاه أمها، وما أن وصلت إليها، حتى جذبتها كما كانت تفعل معها، وهي تقول:

- هيا بنا هرب من هنا سريعاً.

تعالت شهقة مباغته، وجاءهما صوت أحد الأطباء من خلفهما، وهو يصيح برعب:

- ما هذا الشيء؟! ماذا يحدث هنا؟

كتبت "وفاء" فاهها بكفها من الذهول الشديد، ثم صاحت غير مصدقة وهي تلتفت له:

- هل... هل ترى تلك الأشياء حقاً؟

أجابها وهو يتراجع بخوف واضح:

- وكيف لا أراها؟

ثم بدأ يعدو مبتعداً.

سألت "وفاء" أمها، والذهول يغطي على عقلها:

- ماذا يعني هذا يا أمي؟ أنا لا أفهم شيئاً.

حدقت أمها في ذلك الشيء الذي واصل تقدمه، ثم أجابتها بصوت مرتجف:

- نحن لم نسقط في العالم الكابوسي يا ابنتي، بل جاءت الكوايبس إلى عالمنا.

أتسعت عيني "وفاء" وهي تردد:

- يا إلهي.. يا إلهي.. ماذا سنفعل يا أمي؟ كيف الخلاص منهم؟
فكرت أمها سريعاً:

- ربما أفادنا المسدس في القتال معهم.. لقد دلفوا إلى عالمنا، وصار لهم وجود مادي.

- وكيف السبيل إليه، وهو داخل حجرتك؟

- سنركض مبتعدين، ونعود من الجهة الأخرى من الممر.. أفضل شيء أنه مفتوحاً من الجانبين.

بدأتا الركض فعلياً، وتلك الظلال تلاحقهما زحفاً على الحوائط، وذلك الشيء المرعب يواصل مطاردته لهما.

دقائق عديدة مرت ببطء شديد، وهما يركضان عبر طرقات المشفى،
حتى دارا مرة أخرى، ودلفا إلى ذلك المسر من الجهة المقابلة.
كان الفرع قد دب في أنحاء المشفى بالكامل، وحدثت حالة شديدة من
الهرج والمرج، فور مشاهدة كل من بها لتلك الأشياء العجيبة.
صاحت "وفاء" بكل ما يعتليها من رعب، وهي تشاهد ما يحدث
أمامها:

- يا إلهي.

ألقت أمها أثر صيحتها، ثم تراجعت برعب ممائل:

- يا إلهي الرحيم.

لقد كان ما يحدث أمامهما مفزعاً بما يوفق الحدود. مخيفاً إلى أقصى
درجة. مستحيلاً بما يفوق الوصف. كانت جثث الموتى التي من المفترض
أنها تترقد داخل أحد الحجرات المبردة، تسير ببطء مخيف، وتهاجم الجميع
وتلتهم لحومهم. طاقم الأطباء والمرضات. العاملين والمرضى. كان الأمر
أشبه بالجحيم. جحيم فوق الأرض.

صاحت "وفاء" وهي لا تدري ماذا تفعل:

- كيف الخلاص يا أمي؟ أشعر أنها نهاية العالم.

بدأ الأموات في التقدم إليهما، بوجوههم الزرقاء الشاحبة المخيفة،
وبخطواتهم الآلية.

هتفت أمها بذعر:

- لنختبئ بالحجرة.

أندفعت إلى الداخل بسرعة محمولة، ومن خلفها ابنتها، ثم أوصدت الباب بعنف، وهي تصرخ بهستيريا:

- أحضري أي شيء؛ كي نغلقه جيداً.

بحثت "وفاء" بعينها أرجاء الغرفة؛ كي تجد ما يصلح، وما أن لحت أحد المقاعد، حتى ألتقطته بسرعة، وأتجهت نحو أمها:

- لنضعه أسفل مقبض الباب.

تناولته أمها منها، ووضعتة كما أقترحت عليها ابنتها، وسندت ظهرها إلى الحائط المجاور للباب، وهي تتساءل بخوف شديد:

- هذا ليس كابوساً كي نستيقظ منه. هذه حقيقة مخيفة، وليس لها أي مخرج.

ثم أتجهت نحو (الكومود) وألتقطت الحقيبة من فوقه، وأخرجت المسلس:

- كم سنصرع منهم؟ واحد. أثنان. خمسة؟ كيف سنصرعهم وهم موتى بالفعل؟

قشم زجاج الباب في تلك القطعة المستطيلة التي تقع في ثلثه العلوي، وتناثرت الشظايا عليهما، وأمتدت أيدي الموتى عبرها، وهي تزوم بطريقة مخيفة.

صرخت "وفاء" في أمها:

- أبتعدي عن الباب يا أمي.

كانت والدتها قد أبتعدت بالفعل فور قشم الزجاج، توجهت إليها، وهي تتساءل بحيرة:

- إلى أين سنذهب؟ لا خلاص هذه المرة.

أرتج الباب بعنف، وأيدي الموتى تطرقه بقوة شديدة، وصياحهم تتعالى لتزيد من ذعرهما.

نفضت "وفاء" رأسها بقوة:

- هذا كابوس.. كابوس مخيف.

أنخلع الجزء العلوي من الباب عن إطاره، ومال إلى الأمام كاشفاً عن فراغ يظهر جزء ما يحدث بالخارج بوضوح. كان الكثير من الموتى يقفون بالخارج، يحاولون إقتحام الحجرة بكل قواهم، بينما أنشغل البعض الآخر بتمزيق لحوم الأحياء.

صوبت أمها المسدس تجاههم وبدأت تطلق النار، وهي تتلفت حولها في ذات الوقت بحثاً عن مخرج، ثم صاحت في ابنتها:

- لنلوذ داخل الحمام.

ركضتا إلى داخله بالفعل، وأوصدتا الباب خلفهما.

ضاقت عيني "وفاء" وهي تفكر في كل الأحداث منذ بدايتها وحتى هذه اللحظة. كانت تفكر في طريقة للخلاص. حل سحري يعيد الأمور إلى طريقها الصحيح، لكن هذا بدا لها في تلك اللحظة مستحيل تماماً.

دوى صوت ارتطام عنيف، وأشياء تتحطم وترتطم بالأرض.

صوبت أمها فوهة المسدس، وهي تقول بنبرات مرتجفة:

- لقد أقتحموا الحجرة.

زاغ بصرها، وهي تشعر أنها النهاية. لم تكن تخشى الموت. لكن الخوف كان يقبض قلبها كلما تخيلت أن نهايتها ستأتي بفعل أسنان جثث متحركة

تمزق لحمها، وتأكلها حية، وأقصى ما يؤلمها هو أن تتخيل مصرع ابنتها كذلك.

تعالت الطرقات على الباب بعنف؛ فبدأت تطلق النار، وهي تصيح:

- أبجشي عن مخرج يا ابنتي.

ثم أشارت إلى النافذة:

- جربي هذه.. هيا بسرعة.

ذهبت ابنتها تتفحص النافذة، ثم شهقت بألم ورعب:

- إنها مدعمة بالحديد.

تبليت عينيها بالدموع من خوفها على والدتها. لقد كانت تمثل لها كل شيء في العالم. هذه هي النهاية بالفعل. الموتى يحتشدون بالخارج، ولا يوجد أي مهرب أو حتى أمل ضئيل في الفرار من الداخل.

تجمدت ملامحها فجأة، وقد ومض الحل في عقلها. كان الحل بالفعل. الحل لكل تلك الأحوال، وطريقة الخلاص المثلى.

قالت لأمها بنبرة هادئة:

- أمي أنتِ تطلقين النار في الاتجاه الخاطيء.

ألفتت أمها، وسألتها بدهشة عميقة:

- ماذا تعنين؟ إلى أين أطلق إذن؟

أشارت ابنتها إلى رأسها، وهي تجهيها بنبرة عجيبة:

- هنا.

تجمدت ملامح أمها من المفاجأة، وأعتلى وجهها الشحوب، وهي تتساءل بنبرة مهتزة:

- ماذا؟ ماذا تعنين؟

سالت الدموع من عيني "وفاء"، وهي تجهيها:

- عقلي هو السبب يا أمي، كل تلك الأشياء من صنعه، عند موتي سيعود كل شيء كما كان، وستنجين بحياتك كذلك.

شهقت أمها وشعور عميق من جراء كلمات ابنتها يجتاحها، ثم بدأت شفتيها في الاهتزاز، وأنفجرت في البكاء بغتة. أخذت تشهق وهي تقول من بين دموعها بصوت مختنق:

- لا تقولي هذا أبداً.. لا تقولي هذا.

حاولت ابنتها أن تمنع نفسها من البكاء فلم تستطع؛ لكنها حاولت أن تتناسك، وهي تقول:

- هذا هو الحل الوحيد يا أمي. لا يوجد حل آخر.

تعالى صوت الطرقات مختلطاً بنحيب أمها:

- قلت لك "لا تقولي هذا"

أقرب ابنتها منها ببطء، وهي تحاول رسم ابتسامة شاحبة:

- لا تفكري في يا أمي. فكري فيما سيحدث للعالم. في الأطفال، والمسنين. في الفتيات الطموحات، في الشباب المكافح، في الأمهات والأباء اللذين قد يفقدون أحباءهم إلى الأبد. كل هذا سيذهب داخل عالم مرعب، عالم متوحش مليء بال مخلوقات المخيفة. لا تفكري في ابنتك فقط. فكري في كل أبناء وبنات هذا العالم.

أخذت أمها تفكر في منطق ابنتها، وقد أغرقت الدموع وجهها " هل هذا هو الحل الصائب بالفعل؟ هل يجب أن تضحي بابنتها التي هي أقرب مخلوق لها في هذا العالم؟"

قالت بنبرة بالغة الحزن والأسى:

- لا بد من حل آخر.

ربت ابنتها على كتفها، وهي تقول بخفوت:

- هذا هو الحل الوحيد.

أحتضنتها أمها بقوة، وهي تصرخ:

- لا.. مستحيل أن أفعل هذا.. سنظل معاً حتى نموت معاً.

أختلج قلب "وفاء" بين ضلوعها، وهي تشعر بطاقة هائلة من الحنان، تشع من صدر أمها؛ لكنها أرغمت نفسها على النطق بهدوء:

- وهل ترضين لي تلك الميتة البشعة؟ أيهما أصوب: أن أموت وحدي ويحيا العالم بأكمله، أم أن يفنى العالم أجمع؟ هذه هي البداية يا أمي. سينتشر الرعب أكثر بكثير مما يحدث الآن. لقد كنت معي وتعلمين هذا بالفعل.

زاغت نظرات أمها، وهي تشعر بالهلع. لقد كانت كلمات ابنتها صائبة تماماً. لا يوجد حل بديل، ولكن كيف؟ كيف تصرع ابنتها بيديها؟ أي منطق يقول هذا؟

شعرت "وفاء" بترددتها؛ فأمسكت كفها الذي يحمل المسدس، وقالت بنبرة حزينة:

- هيا يا أمي.

صوبت أمها فوهة المسدس نحو رأسها بأصابع مرتجفة، وحيرة شديدة مختلطة بالألم تشل عقلها عن التفكير.

أشارت ابنتها إلى صدرها، وهي تقول باكية:

- صوبي طلقتك هنا يا أمي.. لا أريد لوجهي أن يتشوه.

واصلت أمها نحيبها:

- لا أستطيع فعل هذا.. لن أستطيع يا حبيبي.. موتى أهون من أن أفعل هذا.

أرتج الباب بقوة، وهو يكاد أن ينخلع عن إطاره؛ فصاحت "وفاء":

- هيا يا أمي قبل أن يفوت الآوان.

مشاعر شتى اختلطت في عقل أمها. حبها لها، وخوفها لما سيحدث للعالم. ألم فراقها على يديها، وأحلام آلاف البشر. كان الإختيار غاية في السهولة، لكن التنفيذ كان مستحيلاً. لم تكن تملك الأعصاب والجراءة كي تقتل ابنتها بيديها:

- لا ترغيني على فعل هذا يا حبيبي.. أرجوك.

ابتسمت ابنتها ابتسامة شديدة الشحوب:

- بل ستفعلينها يا أمي من أجل العالم.

ثم صاحت فجأة كي تحت أمها:

- هيا.

أرتعدت أمها بشدة، وضغطت على الزناد كرد فعلي غريزي لصيحتها؛ لتطلق الرصاصة بقوة.

هتفت أمها بلوعة:

- لا اااااااااا.

كانت الرصاصة قد أصابت الحائط خلف أبنتها.

لقد فكرت كثيراً في حل يخرجها من هذه الحنة؛ فلم تجد إلا حل واحد فقط. حل يجعلها تحتفظ بابنتها حية، وفي ذات الوقت يوقف هذا الكابوس الحي الذي أنتقل إلى عالمنا.

هوت بكل قوتها على رأس "وفاء" بمقبض المسدس ، وهي تقول بآلم:

- اعذريني يا ابنتي.. لا يوجد حل آخر؛ فأنا لا أريد أن أفقدك.

ترنحت ابنتها لحظات، ثم قهاوت بين ذراعيها، والدماء تسيل من رأسها.

خفت أصوات الطرقات بطريقة تدريجية، وبدأ البريق يفارق عينيها:

- آه يا أمي الحبيبة.

ثم غابت عن الوعي.

عاد كل شيء إلى طبيعته بالفعل. تلاشت الظلال، وسكنت الجثث المتحركة، واختفى ذلك المخلوق المخيف. كأن ما حدث لم يحدث قطاً، ولا دليل عليه إلا الجثث المتناثرة داخل أرجاء المشفى.

السطح الأسود ممتد، والسيارة تتزلق عليه بسرعة كبيرة نسبياً. وفي الداخل كانت الأم تقودها عائدة إلى مترها. كانت هيئتها تشير الحزن والألم.

وجهها شديد الشحوب، وعيناها حمراء من كثرة البكاء، والمرارة تملأ
كيافها.

كانت محطمة القلب لما فعلته، لكن لم يكن بيدها شيئاً آخر. إما أن تقتل
ابنتها الوحيدة بيدها، أو تسقطها في غيوبة تجعل عقلها يهدأ، ويمتنع عن
بث المزيد من الرعب والدم.

لكن ما يلح على عقلها بشدة، وتخشاها كالموت ذاته، أن تكون قد
سجنت ابنتها دون أن تدري في ذلك العالم الرهيب.

عالم مخيف لن تستطيع الخروج منه مجدداً.

نفضت رأسها بشدة لتخرج تلك الفكرة من رأسها؛ لكنها ظلت تلح
عليها، وتغزو عقلها كالظلال السوداء.

